

جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم والتعليم الفنى
الإدارة المركزية لشئون الكتب





أبو الفَوارس

عَنترة بن شدَّاد

للصف الأول الثانوى

طبعة ٢٠١٨ - ٢٠١٩ م



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم والتعليم الفنى
الإدارة المركزية لشئون الكتب

أبــو الفــوارس
عنــترة بن شداد

للصف الأول الثانوى

تـألـيـف
أ/ محمـد فريـد أبـو حـديـد

تحرير وإخراج
مركز تطوير المناهج والمواد التعليمية

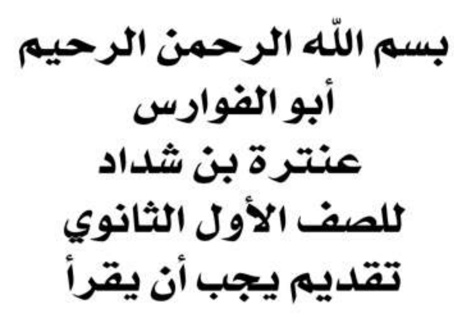
٢٠١٨ - ٢٠١٩



تعديل ومراجعة

د. أحمد السعيد شلبى

د. إسماعيل محمد عبد العاطى



بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الفوارس

عنترة بن شداد

للصف الأول الثانوي

تقديم يجب أن يقرأ

أبناءنا الطلبة والطالبات

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته... وبعد

فهذه قصة «أبو الفوارس عنترة بن شداد» نقدمها إليكم للدراسة، والتأمل، واكتساب المتعة الفكرية.

صورة متكاملة لعمل أدبي من إنتاج أديب من كبار الأدباء في القرن العشرين هو الأستاذ «محمد فريد أبو حديد» والعمل الأدبي يعتمد علي الحقيقة والخيال معًا كما يعتمد علي التصوير النفسي واللفظي، ويصور البيئة التي عاش فيها الأبطال، والعادات والتقاليد، والمثل والقيم التي يحرص عليها المجتمع وقد اختصرنا بعض الفقرات في النص الأصلي. والتي رأينا أن اختصارها لا يخل بوحدة العمل الأدبي، وأنها لا تقلل بحذفها من فائدة ضرورية من الأهداف المتوخاة من طرح هذا العمل على طلاب المرحلة الثانوية.

وحرصنا على أن تكون مستوعبًا ما تقرأه، مدركًا ما تدرسه، فاهتممنا بتسجيل معاني المفردات الصعبة، وتركنا لك القليل منها، لتكشف عنه في معجمك لتحصل على فائدتين مهمتين:

- إدراك معني الكلمة في سياق التعبير القصصي، وغيره.
- وضبط بنيتها - أي كل حروفها - لتنطقها سليمة كما نطق بها أجدادك العرب.

كما حرصنا علي إلمامك ببيئة القصة، وزمانها، ومكانها، وأبطالها، وأسمائهم ودور كل منهم، وأثر وجوده في دفع أحداث القصة إلي الأمام ليتأزم الموقف، ثم نصل إلى الحل النهائى.

ومن أجل هذا كتبنا تقديمًا تحت عنوان (بين يدي القصة)

ذكرنا فيه هذه الأمور باختصار غير مخل.

كما وضعنا أسئلة عقب كل فصل في بعضها تطوير مطلوب يناسب ما نقوم به الآن من تطوير مناهج اللغة العربية ونماذج الأسئلة وإجاباتها.

وذيلنا نهاية القصة بتعقيب شديد الاختصار عن وضع هذه القصة في الميزان.

وعليك أيها الطالب النجيب:

- أن تقرأ القصة كلها - كاملة - في منزلك؛ لتستمتع بها كعمل أدبي موجه، ولتلمّ بأحداثها، وتعيش بيئتها، وتحس بمشاعر أبطالها وتدرك أفكارهم.
- أن تنفذ توجيهات أستاذك حين يحدد لك ما يطالبك بقراءته للدراسة في المنزل - خارج الفصل، وإعداده للمناقشة في الفصل.
- وعليك حينئذ: أن تقرأ القدر المحدد قراءة واعية؛ فتلم بأفكاره

الأساسية ، وتكشف في معجمك في مكتبة البيت أو المدرسة أو أية مكتبة عامة عن المفردات التي ترى صعوبتها وتشك في مدلولاتها أو ضبط حروفها عند النطق بها.

– أن تضع تحت كل فكرة رئيسة ما يتبعها من أفكار جزئية.

– أن تسجل أثر البيئة في الحوار ومكوناته من ألفاظ وجمل وعبارات.

– أن تسجل أثر البيئة في سلوك شخوص القصة، وموقفك من هذا السلوك.

– أن تسجل العادات والتقاليد والقيم – ما يعجبك منها ومالا يعجبك – على أن تبدي رأيك في كل منها مع ذكر الأسباب.

– أن تسجل مقارنة بين تلك العادات والتقاليد والقيم، وما لدينا الآن من هذه الأمور – مع توضيح رأيك.

– أن تسجل الجمل والعبارات والصور التي أعجبتك – من القصة – أو أثارت انتباهك وتحللها إلي عناصرها مع ذكر رأيك.

– أن تسجل الألفاظ والجمل والعبارات والصور التي لم تعجبك مع توضيح أسباب عدم رضاك عنها.

– أن تحاول القيام بنشاط تعبيري بأن تقترح رؤوس موضوعات تعبيرية مشتقة أو مستوحاة من عبارات القصة أو سلوك أشخاصها.

– أن تحاول عمل معجم لفظي لألفاظ القصة حسب قدرتك وفراغ وقتك.

– أن تكتب موجزًا أدبيًا للقصة وتعليقاتك عليها.

– أن تختار بعض الجمل وتكتبها بخط جميل، لتكتسب مهارة الكتابة بخط جميل وأنت تحت تأثير القراءة.

– أن تضع أسئلة عن الجمل والعبارات والأحداث والأفكار في القصة.

– أن تلجأ إلي الأستاذ لتوجيهك.

– أن تدير حوارًا مع زملائك حول القصة بإشراف المعلم.

● **أما أنت أيها الزميل الفاضل:**

فإنا نوصيك خيرا ببنيك وبناتك من الطلبة والطالبات، ولن نناقش معك طريقة الإعداد فهذا له مكان آخر، ولكننا نأمل أن تسهم في تكوين الشخصية العلمية للطالب والطالبة، وأن تنمي قدرته الفكرية، وتستثمر رغبته في التعلم. وأن تشرف إشرافًا توجيهيًا على قيامه بكل نشاط يريده، أو يفكر فيه، وتشجعه عليه، وأن تذلل أمامه العقبات، وأن توظف ما اكتسبه من معلومات أو لغويات.

وأن تربط بين الحاضر والماضي، وتطلب منه أن يقارن بين العصرين، ويسجل المآثر الموجودة في كل منهما، وأن يلجأ إلى المكتبة ما أتيحت له الفرصة للاطلاع، وأن يحاول تلخيص القصة، وتجزئتها إلى أقسام أساسيةحسب تسلسل الحوادث وتطورها.

ونعلم جميعًا أن ما نبذله من جهد هو في سبيل الله، والله لايضيع أجر العاملين المخلصين.

ونسأل الله التوفيق والعون والسداد.

الإعداد التربوي

بيـــن يـــدى القصـــة

أولاً: مؤلف القصة

محمد فريد أبوحديد، من كبار كتاب القرن العشرين، وأحد رواد كتابة القصة التاريخية في مصر والعالم العربي، ولد سنة ١٨٩٣م بالقاهرة، وتلقي تعليمه بدمنهور والإسكندرية في المرحلة الثانوية ثم تخرج في مدرسة »المعلمين العليا سنة ١٩١٤م، وحصل على إجازة الحقوق سنة ١٩٢٤م، وترقى في الوظائف التعليمية فعمل مدرسًا ومشرفًا على الصحافة في وزارة المعارف وسكرتيرًا بجامعة الإسكندرية وعميدًا لمعهد التربية، ووكيلا لوزارة المعارف واختير عضوًا بمجمع اللغة العربية، حصل على جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٥م، وتوفي سنة ١٩٧٦م.

وقد ترك مجموعة من المؤلفات والمترجمات والقصص التاريخية يدور معظمها حول الحياة العربية القديمة والوسيطة مثل روايات المهلهل، والملك الضليل، وزنوبيا، وعنترة، وفتح العرب لمصر وصلاح الدين الأيوبي، وسير عمر مكرم.

ثانيًا: المكان والزمان

في الجزيرة العربية حيث عاش بطلاها وتنقلا، وزمانها في العصر الجاهلي قبل الإسلام ومن هنا تظهر القيم والعادات والتقاليد والسلوكيات الشائعة في هذا العصر.

ثالثا: الأشخاص

هناك أشخاص أساسيون تقوم القصة على أكتافهم، ولاتستغني عنهم، وهناك أشخاص ثانويون يسهمون في دفع الأحداث، ويساعدهم الأشخاص الأساسيون في الوصول إلى تحقيق أهدافهم.

بطلا القصة هما:

١- عنترة بن شداد: الشاعر الفارس البطل الذي ولد عبدًا في قبيلة عبس.

٢- عبلة بنت مالك بن قراد: وهي في الحقيقة ابنة عم عنترة، وقد أحبها عنترة وبادلته الحب، وهي من بنات سادة قبيلة عبس.

بقية الأشخاص:

٣- شداد بن قراد: أحد سادة عبس، وقد ولد له عنترة من أمته زبيبة، ورفض إعلان بنوته حتى اضطر إلى ذلك لإنقاذ القبيلة من أعدائها.

٤- مالك بن قراد: أخو شداد، وهو والد عبلة، وقد عارض زواج عنترة منها، فاضطر إلى الهجرة إلى شيبان، وحينما اضطر إلى الموافقة على الزواج غالى في المهر.

٥- عمرو بن مالك بن قراد: شقيق عبلة، وخصم عنترة.

٦- شيبوب: أخو عنترة من أمه زبيبة، عبد، يحب الحياة، بعيد عن الفروسية، كان ينقل لعنترة بعض الأخبار.

٧- عمارة بن زياد: أحد شباب سادة عبس، وخطيب عبلة، وخصم عنترة.

٨- قيس بن مسعود: سيد قبيلة شيبان، والذي استضاف مالك بن قراد وأسرته حين هاجر إليه حتى لايزوج ابنته عبلة من عنترة وقد أعجب بعنترة وسلوكه مع ابنه بسطام، فاستضافه وأعانه على التفاهم مع عمه.

٩- بسطام بن قيس بن مسعود: ابن سيد شيبان كان فارسًا شابًا.

١٠- النعمان بن المنذر: ملك الحيرة، كان يمتلك النوق العصافير التي أراد عنترة الحصول عليها لتكون مهر عبلة.

١١- أبوالحارث: من رجال النعمان بن منذر، وصاحب عنترة.

١٢- زبيبة: أم عنترة، وهي أمة شداد بن قراد.

١٣ - مروة: أخت عنترة لأبيه شداد، كانت تكره أن يحب عنترة عبلة، ولكنها أعانته على هذا الحب في آخر الأمر.



(١) مغنــى القافلــة

كان الربيع يغطي جوانب الوادي بكساء من الحشيش والزهر، والسماء الصافية لايشوبها سوى قطع متفرقة من السحاب الأبيض وكانت الشمس تميل نحو الغرب عندما اقتربت القافلة من فم الوادي عند ظلال أجمة(١) وسارت الإبل تخطو خطوًا وئيدًا(٢) لاتعبأ بشيء مما حولها ولا يستحثها(٣) شيء من أمامها ولا من خلفها، وكان يرن فى الفضاء صوت الحادي(٤) يتغني بأراجيز، يمزج فيها بين أنغام الحرب وأنغام النسيب(٥).

فكانت الإبل تسير رافعة رؤوسها نشيطة، كأنها تصغي في حماسة إلى ذلك الغناء المطرب.

وكان الفتى الحادي يسير في صدر القافلة آخذا بزمام بعير عليه هودج قد طرحت عليه ثياب ملونة مخططة من حرير يبرق في ضوء الشمس الغاربة، ويخفق في رفق مع النسيم الهادئ.

وكان الفتى شابًا أسمرَ اللون يُشبه قوامه الرمح الذي في يمينه، قامة عالية، ورأس مرفوع وصدر فسيح، وقد شَمّرَ عن ذراعين مفتولتين قويتين، وهو بينَ حينٍ وحين يلتفتُ نحو الهودج فتبرقُ عيناه في لمح خاطف، ثم لايلبث أنَ يتجهَ إلى أمامه ناظرًا إلى فم الواديَ مستمرًا في الغناء بصوته َالمليء وكان الناظرً إلى وًجهه يرى أنفه الأقنى(٦) ينحدر إلى فم قوي فيه شيء من الغلظ، ويلمحُ على جبينه عَبْسَةً فيها شيء يَنُم(٧) عن حزن كمين(٨) ولما بلغ الركبُ فمَ الوادى أوقف الفتى البعيرَ الذي كان آخذا بزمامه فوقف القطار كله لوقوفه، وأسرع العبيد والأتباع الذين كانوا يسيرون مشاة في آخر الركب فساقوا الرواحل(٩) التي أتت تحمل الزادَ والماءَ، وأخذوا يضربونها بعصيهم الغليظة حتى أناخوها في ناحية من جانب الوادي، وأما الفتى فَقَد أناخ بعيرَه وأزاح الستارَ عن الهودجِ ونظر إلى الفتاةِ التي كانت فيه، وقال لها باسمًا:

– منزلٌ كريمٌ يا عبلةً

فقالت الفتاة باسمة

– شكرًا لك يا عنترةُ

ومد الفتى يده: ليسندها فاتكأت على ساعده القوي ووثبت خفيفة وهي تقول:

– لقد أجهدك السير وأنت تأبى الركوب منذ اليوم.

فأسرع عنترة قائلا:

– وكيف يصيبني الجهد وأنا أحدو(١٠) بعيرك يا سيدتي؟

فنظرت إليه، وكانت عيناها تبتسمان، وسارت إلى ظل سدرة(١١). وهي تقول:

– لم أَسْمع شيئًا يشبه حداءك يا عنترةُ. لقد أحسَسْت كأن البعير يطربُ لإنشادِك.

فقال عنترةُ:

– إنه يطربُ ليشاركني يا سيدتي، فهو يعرفُ أنى أُنشدُ في وصفك أنت.

فضحكت الفتاة ضحكة تشبه غناءَ الطيرِ، وأسرعَ عنترَةُ فرمى شملَتَه علَى الرملِ ومدها لتجلسَ عليها،

---

(١) الأجمة: الشجر الملتف.
(٢) وئيدا: متمهلا.
(٣) يستحثها: يدفعها للسير.
(٤) الحادى: المغنى للإبل.
(٥) النسيب: شعر الغزل.
(٦) الأقنى: المرتفع أعلاه.
(٧) ينم: يدل.
(٨) كمين: مستتر دفين.
(٩) رواحل: جمع راحلة وهى ـ من الإبل ـ الصالحة للأسفار والأحمال.
(١٠) أحدو: أسوق.
(١١) سدرة: شجرة نبق.



ثم نظر إليها نظرةً باسمةً وأسرعَ خفيفًا يثب[1] في خطواته، لكي يرى سائر من في القافلة، من بنات ونساء ليساعدَ من تحتاجُ منهنّ إلى المساعدة.

وسارت الفتاةُ تَخْطر في ظلّ السدر تنظرُ إلى الإبل وهي تُنيخُ وأصواتُها تُدَوِّى.

تلك الفتاة هي عبلةَ ابنةُ الفارسَ العبسي مالك بنَ قُراد، وكانت آتيةً من عُرس ابنةِ خالتها في قبيلة هوازن عائدَةً إلى منازل قومها عبس في أرض الشربّة والعلم السعدي.

كانت عبلة تلبسُ ثوبًا معصفرًا[2] من الكتان يلمعُ في نورِ الشمس، وتضعُ حولَ رأسها خمارًا من الحرير المصريّ، يتغير لونهُ فى شعاعِ الضوء ويتألقُ فوق وجهها الجميل. وكان لونُها الخمريُّ مشربًا بحمرةٍ يَسري فيها رونقُ[3] الشباب، وعيناها السوداوان تضيئانِ فى حلاوة فإذا نظرت بهما ترقرقت[4] فيهما بسمةٌ وديعةٌ. وكان فى أذنيها قُرْطان من الذهبِ تتدلى منهما حَباتٌ منَ لؤلؤ البحرين أهداهما إليها أبوها مالك بن قُراد.

وأقبل نحوها نساءُ أعمامها وبناتهن ومن كان معهن من آلهن[5]، فأسرعت نحوهن تستقبلهن وكانت فيهن ابنةُ عمها مروة ابنة شدادَ فقالت لها تعابثها:

– أنت أولا ونحن بعدك. ألست يا عبلةُ أميرة فتياتِ عبس؟

فنظرت إليا سُميّةُ أمّها باسمةً، وقالت:

– أهي الغيرة مرة أخري يا مروة؟

قالت مروة ضاحكة:

– سوف أشكو هذا العبدَ لأبى؛ إنه عبدُ أبى شداد، ولكنه لايخدم إلا عبلةَ.

فقالت عبلةُ في عتاب:

– ألَا تترفقين به يا مروة؟ أليس هو عنترة بن زبيبة التي أرضعتك؟

فقالت مروة ضاحكة في خبثٍ:

نعم وهو الفتى الذي يُعْلى ذكر عبس بالإنشادِ في جمالِ بناتِها.

فصاحت عند ذلك إحدى الفتيات تقولُ:

– ما هذا الحديث ويكادُ العطشُ يقتلني.

وقالت أخرى: – ألا تعرفين مكان الحوض.

ثم اندفعت تجري نحو وهدة[6] في جانب الوادي الصخري وأسرعت الفتياتُ وراءها فلم يبق إلا سميّة مع بعض النساء وقد استلقت في الظلّ فوق الشملة التي كان عنترةُ بسطها لعبلةَ.

ولمَا فرغ عنترةُ من إناخة الإبلَ فرق العبيدَ و الأتباعَ فرقًا، فأمر بعضَهم بأن يذهبوا لسقاية الإبلِ وأمر آخرين أن يَضربوا أخبية النساء[7] قريبًا من الماء، وأمرَ غيرَهم أن يُوقدوا النيرانَ لإعداد الطَعام.

ثم ذهب إلى ناقة بيضاءَ فحلبَ منها في إناء ملأه، ووضعه في الظلّ فوق صَخرة عالية ليبرُدَ في الهواء.

ومضى بعد ذلك إلَى البئر فسقى جوادَه، ثمَّ ركبَه ودار حول الوادي ليرى هلَ هناكَ قومٌ ينزلون علَى مقربة من الماء، حتى إذاَ ما اطمأن إلى أنه في مأمن، وأن ليس هناك ما يخشاه أوْغلَ[8] بينَ الكثبان وجعل يجوس[9] خلالها، ويتأملُ ما على رمالها من آثار الأقدام وأخفاف الإبل ومخالبِ الحيوانِ، ثم

---

(١) يثب: يقفز.

(٢) معصفرًا: مصبوغًا بنبات العصفر.

(٣) رونق: جمال.

(٤) ترقرقت: لمعت.

(٥) آل: أهل.

(٦) الوهدة: المكان المنخفض.

(٧) الأخبية: الخيام.

(٨) أوغل: ذهب وأبعد.

(٩) يجوس: يتردد.

عاد يسيرُ وئيدًا وهو يغني وينقل طرفه[1] في جوانب الأفق، حتى اقترب من الماء فوثب عن فرسه وألقى زمامه على ظهره وبعثه إلى ناحية من الوادي.

واتجه عنترة بعد ذلك إلى الماء وهو لا يزال يغني، وكان العبيد قد فرغوا من سقايتهم. فسمع من وراء شجيرات صوت فتيات يضحكن ويمرحن في أقصى شعب صخري من شعاب الوادي.

وكان يعرف ذلك الشعب وفيه حوض واسع من الصخر تجتمع فيه المياه إذا أمطرت السماء فيكون مثل بحيرة صافية تظللها أغصان السيال[2]. فأطل من وراء الشجيرات فرأى عبلة وصاحباتها يتواثبن ويعبث بعضهن بالماء ويتقاذفن به. ورأى عبلة وهي تلهو بينهن وتجاوبهن فوقف يتأمل وجهها ويستمع إلى صوتها إذ تكركر في ضحكها، وعاود ذكريات أحلامه التي كان يكتمها في طيات صدره ولا يجرؤ على أن ينطق بسرها. وأحس قبضة حزن أليم تعصر قلبه إذ تذكر أنه لا يزيد على أن يكون عبد عمها شداد. نعم، فما كان عنترة سوى عبد من عبيد ذلك البطل العبسي الباسل الصارم. ولم يكن يجرؤ على أن يفوز من عبلة بأكثر من أن يدعوها قائلا: «سيدتي».

وفيما كان هائما في خياله تذكر إناء اللبن الذي وضعه فوق الصخرة؛ ليبرد في الهواء فأسرع إليه وعاد به فجعله على حجر قريبًا من عبلة إذا خرجت مع صاحباتها.

وجعل يفكر في نفسه حزينا وهو واقف ينظر إلى الفتيات، وهن لا يشعرن بوجوده. لقد ملأ وعاء اللبن على عادته كل يوم لتشرب منه عبلة، قانعا بما تكافئه به من نظراتها وبسماتها. ولكنه ما كان يجرؤ على أن يتنفس باسمها أمام أحد من عبس خوف أن يتحدث الناس بأنه عبد يتطلع إلى ابنة مالك أخي سيده شداد. لقد كان يحاذر أن يتحدث أحد بأنه ينظر إليها إلا كما ينبغي للعبد أن ينظر إلى مولاة له، فما كان مالك بن قراد ليرضى أن يتطلعَ عبدٌ مثله إلى ابنته الجميلة التي يتنافسُ على التقرب إليها سادةُ الشبان من كرام الأنساب، وما كان أخوها المتكبرُ عمرو بن مالك ليرضى أن يُعيِّره أصحابُهُ من فتيان عبس بأن عنترةَ العبدَ يطمحُ إلى أن يملأ عينيه من أخته.

وقف عنترة سابحا في خياله وهو ينظر إلى عبلة بين الفتيات ويستمع إلى صوتها بين أصواتهن وامتلأ قلبه شجنا[3]. أليس هو عنترة الذي يحمي حمي عبس إذا أغار المغير عليها؟ أليس هو الفارس الذي سار ذكره في قبائل العرب وتغني الركبان[4] بقصائده في تجميد عبس؟ أكان في عبس كلها بطل يستطيع أن يثبت له في نزال[5] أو ينكر فضله في الدفاع؟ ومع ذلك فقد كان لا يزيد على أن يكون عبد شداد بن قراد.

وفيما هو في خيالاته رأى عبلة تميل فوق حوض صغير لترى صورتها على صفحة مائه، وجعلت تصلح من شعرها الذي اضطرب في أثناء جريها ولعبها. فلم يملك نفسه واندفع من مكانه مسرعا نحوها وقال بصوت هامس:

- ألا ترين عرارة[6] يانعة من عرار الربيع؟

صرخت عبلة عند سماع الصوت فجأة، ولكنها اطمأنت عندما رأته، وقالت ضاحكة:

- لك الويل يا عنترة؟

فمضى عنترة قائلا:

- أو أقحوانه[7] باسمة سقاها الندى؟

---

(1) **الطرف**: النظر.

(2) **السيال**: شجر شائك، متوسط الحجم، له قشر أحمر.

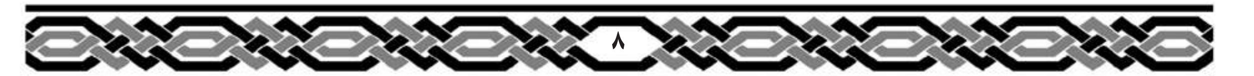
(3) **الشجن**: الحزن.

(4) **الركبان**: الجماعة فوق العشرة.

(5) **النزال**: المعارك.

(6) **العرار**: نبت طيب الريح، والواحدة عرارة.

(7) **الأقحوانة**: نبات أبيض لا رائحة له.



وأقبلت الفتيات عندما سمعن صوت عبلة فلما رأين عنترة إلى جانبها انفجرت منهن ضحكة مرحة، وأسرعن إليه يصحن به، ويتواثبن حوله، ويجذبن أطراف ثوبه وكل منهن تتجه إليه بكلمة من فكاهة، أو مزاح.

وقالت مروة ابنة شداد:

ماذا جاء بك إلى هنا؟

فمد يديه نحوها في ضراعة وقال باسما:

- لأكون في خدمتك يا سيدتي.

فقالت مروة ضاحكة:

- في خدمتي أنا؟

فضحكت الفتيات، وأقبلن عليه وكل منهن تقذفه بكلمة، وهو ينقل نظره بينهن ضاحكا حينا ومتظاهرًا بالغيظ حينًا، وهن يزدن منه ضحكا ويمضين في العبث به.

وأراد أن يصرفهن عنه فذهب إلى وعاء اللبن فأقبل به، وقدمه إلى عبلة قائلا:

- هذا شرابك يا سيدتي. لقد بردته الشمال، وهبت عليه روائح الأقاحي.

فهجم عليه الفتيات يردن أن ينزعنه منه، ولكنه منعه حتى قدمه إلى عبلة قائلا:

هذا شرابك يا سيدتي.

- حسبك يا عنترة، إنك تجرئهن علي.

فمد يده بالوعاء نحوها وقال:

- لا عليك منهن، فهن كما تعرفين حمقاوات عبس.

فعلا ضحك الفتيات وأحطن به فنزعن الوعاء منه وأخذته مروة قائلة:

- هات أيها العبد الآبق[1].

ثم شربت منه وتداولته صاحباتها، فلما فرغن من الشراب أقبلن على عنترة مرة أخرى، وأحطن به، واقتربت منه فتاة فصاحت:

- لا ندعك حتى تنشد لنا من شعرك.

فصاحت سائرهن.

- نعم أنشدنا يا عنترة.

وقالت مروة في خبث:

- أنشدنا وإلا قطعناك حتى لا ندع منك إلا أسنانك البيضاء.

فالتفت عنترة حتى وقعت عينه على عبلة وقال:

- لن أقول شيئا حتى تأذن لي سيدتي.

فاتجهن جميعا إليها وقلن لها:

- مري عبدك أن ينشدنا وإلا أحطنا بك أنت ونزعنا غدائر شعرك.

فقالت عبلة ضاحكة:

- حسبكن أيتها الفتيات سخفًا.

فصاحت بها مروة:

- مريه يا عبلة أن ينشدنا. مري هذا العبد الذي لا يأتمر إلا بأمرك.

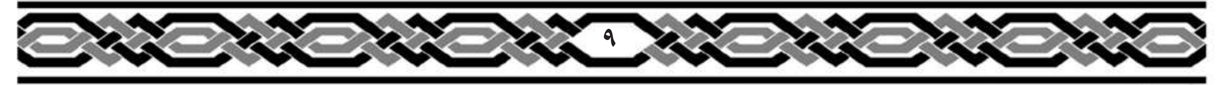
لقد انتزعنا منه وعاء اللبن، ولكنا لا نقدر أن ننزع منه الشعر.

فقالت عبلة وهي تظهر الغيظ لعنترة:

- ما أخبثك يا عنترة إذ تحرض هؤلاء عليَّ مرةً بعد مرة.

---

(١) الآبق: الهارب.



فقال عنترة:
ـ وماذا يغضبك على يا سيدتي؟ إنني لا أرضي بأن أكون عبدا لواحدة غيرك.
لست أرضى أن تكون سيدتي سواك.
فزاد ضحك الفتيات، وقالت مروة:
ـ عنترة عبد عبلة. هكذا نسميه منذ اليوم بعد أن كان عبد شداد.
فأقبلت عبلة عليها ودفعتها برفق في صدرها، وصاحت بعنترة في غضب باسم:
ـ قل شعرك يا عنترة، إن الغيرة لتأكل قلوبهن كما قالت سمية منذ حين. أنشد شعرك حتى يملأ الغيظ صدورهن.

فوثب عنترة في مرح وجعل ينشد متغنيا بقطع من شعره، والفتيات يضربن بأكفهن على وقع إنشاده، وعبلة تنظر إلى وجهه الأسمر الحسن القسمات وتتأمل حركته الرشيقة وهو يمثل مواقفه في القتال حينا، وطعناته العدو حينًا، أو يصف فرسه في معمعة[1] الحرب، أو سقوط الأبطال صرعى من حوله مضرجين بالدم، حتى انتهى إلى النسيب فجعل يصف محاسن فتاته ونبل شيمها[2] وعلو حسبها. وتغير مظهره عند ذلك فاعترته رجفة وتهدجت[3] نبرات صوته. واتجه إلى عبلة ببصره كأنه يخاطبها بما فى نسيبه من الأوصاف، ثم هدأت حركته بعد عنفها، ولانت نظراته بعد أن كانت تخطف كالبرق اللامع، وفتحت الفتيات أعينهن مأخوذات بما كان ينبعث في ثنايا شعره من حرارة، حتى انتهى من إنشاده، وهو يلهث وصدره يعلو ويهبط في عنف.

نظر نظرة طويلة إلى عبلة وهو صامت، وهدأت الأصوات لحظة، وعبلة تنظر إليه في دهشة عقدت لسانها عن اللفظ.

لقد كانت تلك أول مرة سمعته ينشد بهذه الحرارة، ويتجه إليها بهذه النظرة ثم انفجرت صيحة من الفتيات، واندفعن نحو عنترة يستعدن إنشاده، ولكنه كان مطرقا حزينا صامتا، وانفلت مسرعا من بينهن فذهب إلى فم الشعب بطيئا، فما زال حتى بلغ المكان الذي ترك فيه فرسه فوثب عليه فانطلق به بين الكثبان وهو غارق في شجونه الثائرة.

وذهبت الفتيات إلى حيث ضربت الخيام، وأقبلن على مَنْ هناك من النساء، فجعلن يتحدثن إليهن بما كان، وكل منهن ترسل في حديثها كلمة تصور بها ما أحست من اتجاهِ عنترة إلى عبلة في إنشاده العجيب، كانت أشدهن خبثا مروة ابنة شداد، فأرادت أن تغيظ عبلة ابنة عمها فجمعت الفتيات وجعلت تنشد، وهن يرددن مصفقات فقالت:

أمــا رأيتم عنتـرة؟	**يسير سير القسورة[4]**
في حـلة معصفرة	**ولمــة[5] مضـفرة**
وعمــة مكـــورة	**أمـا سمعتـم قـولـه**
أما عرفتم فعله؟	**ويــل لـه يا ويـلـه**
ينشد منذ الليلة	**عنــتر عـبد عــبلة**

وتعالى ضحكهن بعد ذلك، وجعلن يردد النشيد، ويعبثن بعبلة حتى غضبت وذهبت نافرة، فسرن وراءها وجعلن يجذبنها وهي تدفعهن، حتى دخلت إلى خبائها.

---

(١) معمعة: صوت الشجعان فى الحرب.
(٢) شيم: جمع شيمة وهى الخلق.
(٣) تهدجت: تقطعت.
(٤) القسورة: الأسد
(٥) اللمة: الشعر الذى يجاوز شحمةَ الأذن.



أسئلة الفصل الأول
مغنى القافلة

١ـ «وكان الفتى الحادى يسير في صدر القافلة اخذا بزمام بعير عبلة عليه هودج قد طرحت عليه ثياب ملونة مخططة من حرير يبرق في ضوء الشمس الغاربة، ويخفق في رفق مع النسيم الهادئ».

(أ) تخير الإجابة الصحيحة مما يأتي، واكتبها:

ـ جمع كلمة (زمام): أزمة ـ زمازم ـ زمازيم.

معني كلمة (هودج): الجمل ـ قبة فوق ظهر الجمل ـ الزمام.

ـ مضاد كلمة (صدر): عجز ـ وسط ـ عنق.

(ب) علام يدل وصف الهودج بهذه الصفات؟

(جـ) أين وقف الركب؟ ولمن كان ينشد الحادي؟.

(د) صف المكان الذي توقفت فيه القافلة

(هـ) قارن بين هذا المكان والاستراحات التي توجد في الطريق الآن.

(و) عرف بالفتاة التي كانت في الهودج.

(ز) القافلة كانت قادمة من (قبيلة هوازن ـ من أرض الشربة والعلم السعدي ـ من يثرب).

تخير الإجابة الصحيحة مما سبق؟

(ح) «وكان الفتى الحادي يسير في صدر القافلة»

ـ اضبط الجملة السابقة ضبطا كاملا.

ـ ثن كلمة الفتى واجمعها وغير ما يلزم.

٢ـ حدد الكاتب معالم شخصية كل من عنترة ـ عبلة، وضح ذلك

٣ـ لماذا دار عنترة بحصانه حول الوادي؟ وعلام يدل ذلك؟

٤ـ علل لما يأتي:

ـ كتمان عنترة ذكريات أحلامه ـ شكوى مروة من عنترة. ـ تفريق عنترة للعبيد.

٥ـ «وقف عنترة سابحا في خياله، وهو ينظر إلى عبلة بين الفتيات، ويستمع إلى صوتها بين أصواتهن، وامتلأ قلبه شجنا، أليس هو عنترة الذي يحمي حمى عبس إذا أغار المغير عليها؟... أكان في عبس كلها بطل يستطيع أن يثبت له في نزال»؟

(أ) هات مضاد كلمة (شجنا) في جملة، ومرادف كلمة «نزال» في جملة أخرى.

ـ أليس هو عنترة الذي يحمي حمى عبس إذا أغار المغير عليها؟

أجب عن السؤال السابق مرة بالإثبات ومرة بالنفي وغير ما يلزم.

(ب) لماذا امتلأ قلبه شجنا؟ وفيم كان يفكر؟

(جـ) ضع الكلمات الآتية مكان النقط فيما يأتي:

(السيال ـ العرار ـ الأقحوان)

.... نبات الأرض لا رائحة له.

.... شجر شائك له قشر أحمر.

.... نبت طيب الريح.

(د) لماذا قالت عبلة: «حسبك يا عنترة. إنك تجرئهن علي»؟

(هـ) لماذا رفض عنترة أن ينشد شعره؟ ولماذا رضي بعد ذلك؟

٦ـ كيف عرفت عبلة أن عنترة يحبها؟

٧ـ «وقف عنترة سابحًا في خياله، وهو ينظر إلى عبلة بين الفتيات»

ـ اضبط الجملة السابقة ضبطا كاملا.

ـ استخرج منها حالا مفردة ـ وأخرى جملة ـ وثالثة شبه جملة.

٨ـ اكتب موضوعا عن الحياة في البادية في ضوء قراءتك لهذا الفصل.

٩ـ لماذا ذهبت عبلة إلى خبائها غاضبة؟

١٠ـ (غرائر) هات ثلاث كلمات على وزن الكلمة السابقة.



(٢) البطـل الثـائــر

كان القمر يقترب من التمام فى شهر رجب الحرام، فلم يكن هناك ما يدعو عنترة إلى الخوف من غارة مفاجئة، فما كان العرب لينتهكوا حرمة ذلك الشهر الذى تعودوا فيه قضاء مناسك الحج إلى الكعبة أو إقامة أعياد آلهتهم فى منازل قبائلهم. ولهذا صار يضرب هائما حتى بسط القمر نوره، ولاحت قمم رءوس النخيل والأشجار مطبوعة على صفحة السماء كأنها لوحة فنان.

كان فى سيره يناجى نفسه بما فيها من شجون وهموم، وقد وقع فى قلبه أنه أخطأ وأفصح أو كاد يفصح عما كان يضمر فى قرارة صدره من تعلق بالفتاة التى ملكت عليه فؤاده.

كان يحدِّث نفسه بأنه لا يزيد فى نظر الناس على أنه عبد لا ينبغى له إلا أن يقوم على خدمة سادته الذين ائتمنوه، ولكنه كان مع ذلك يحس فى نفسه غضبة وثورة. وكان يحس فى نفسه أنه فتى الفتيان، وأنه بطل عبس كلها. فلقد طالما ناداه سادة القبيلة؛ ليفرج عنهم كربة الحرب إذا أغار عليهم الأعداء، وقد طالما لبى نداءهم وبرز فى صدر الفرسان، فلا يقف له العدو بعد أن يذوق من وقع طعناته ما يجعله يؤثر[1] الهزيمة والفرار. فإذا ما انجلت الكربة وعاد سادة عبس بالنصر وحملوا من أموال العدو وسلاحه ما غنمه لهم، حازوا ذلك كله لأنفسهم فقسموه بينهم ولم يجعلوا له إلا نصيبًا ضئيلاً، فكانوا لا يجعلون له سوى نصف سهم من الغنائم ويستأثرون هم بكل ما سلبه لهم من الأعداء.

وكان مع ذلك لا ينطق بكلمة شكوى فما كانت تلك الأموال كلها لتحمله على أن يتألم أو يشكو.

ولكن شيئًا واحدًا كان يملأ قلبه حزنًا وغضبًا، وذلك أنه كان فيهم عبدًا، لم يكن اسمه بينهم سوى عبد شداد.

وكان كلما تأمل حاله تعجب من نفسه كيف يرضى أن يقيم فى قوم يحميهم ويدافع عنهم ويجلب لهم النصر ويحمل إليهم الغنائم ثم لا يجد منهم إلا الإنكار والبخل ولا يسمع فى ندائهم إلا قولهم: «عبد شداد»؟، وزاد من عجبه أنه كلما تذكر سيده شدادًا أحس نحوه عطفًا.

كان حب شداد يملأ قلب عنترة فلا يزعزعه شيء مما يزعزع حب القلوب، وكان شداد صورة البطل عند عنترة وصورة السيد، كان يقسو عليه أحيانًا ويعنف معه فى الحديث أحيانًا، بل لقد كان أحيانًا يمد إليه يده بالسوط، فيتحمل منه الضربة جامدًا، ولا يزيد على أن يقول له:

– لن تستطيع أن تصرفنى عن حبك يا سيدى.

وكثيرًا ما سأل نفسه: أحقًا ما زعمته زبيبة أمه، إذ قالت له فى صباه إنه ابن شداد؟ لقد سمع هذا القول يومًا وهو صغير فامتلأ قلبه فرحًا وكبرًا، ولكن أمه كانت توصيه ألا يعيد قولها للناس خوفًا من أن يغضب سيدها الصارم. فلما كبر عنترة وصار فارس قومه أمسكت زبيبة عن قولها، فكان عنترة كلما أراد أن يسألها عن نسبه راوغته وقالت له: إن شدادًا سيدها الذى أكرمها، ورباه وربَّى سائر أولادها.

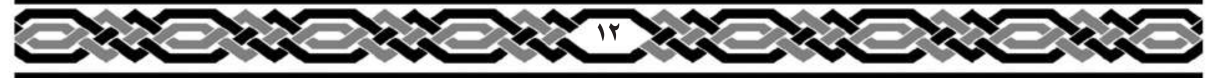
ولكن عنترة كان يسأل نفسه كلما خلا بها: ألا يكون هذا الرجل حقا أباه؟ فإذا لم يكن شداد أباه، فما سر ذلك الحب الذى يحمله له، ولا يستطيع أن ينزعه من قلبه مع كل ما يلقى من صرامته وكبريائه؟

مضى عنترة يهيم فى ضوء القمر وهو يسبح فى شجونه[2]، وكان يحس أن الحركة فى ذلك الفضاء الذى

---

(١) يؤثر: يفضل.

(٢) شجونه: أحزانه.



يغمره النور الرقيق تبعث فى نفسه راحة، وتخفف من شدة الثورة التى كانت تعصف بين أضلاعه. وكانت صورة عبلة تتمثل له عند كل خطوة يخطوها. كان يرى صورتها فوق كل صخرة متلألئة، وعند كل ثنية[١] ظليلة. كانت صورتها تخفق فى الفضاء اللامع وتنطبع على صفحة البدر المنير.

فهل كانت عبلةُ حقًا لا تزيد على أن تكون سيدة وهو عبدها، أو عبد عمها؟ لقد لاحت[٢] له الحياة باطلة كريهة عندما تأملَ أنه لا يستطيع أن يجهرَ بما يحملُه لها، فكان أحيانًا يلوم نفسه على أنه قد اندفع فتكلم وأنشد الشعرَ حتى بلغ من الأمر أن سبب لعبلة حرجًا وغضبًا، ولكنه كان يعود إلى نفسه غاضبًا ويلوم نفسه على أن يرضى بأن يبقى فى بنى عبس عبدًا. فما الذى يمنعه من أن يتكلم كما يتكلمُ الناسُ؟ وما الذى يقعدُ به عن أن يتطلع إلى عبلةَ التى امتلأ قلبُه بحبها؟ فهل رضى بأن يقضى كلَّ حياته عبدًا خاضعًا يكتمُ ما يحسُّه؟ هل يرضى بأن يبقى بين قومه عبد شداد، فلا يسمح لنفسه بأن ينطق بكلمة تنم عن[٣] حبها؟

وكان كلما سرح به الفكرُ عاد فسأل نفسَه عن حقيقة تلك الأقوال التى سمعها فى صباه من أمِّه إذ قالت له إن شدادًا أبوه. ألا يكونُ ذلك حقًا؟ وما الذى يمنعه من أن يذهب إليها فيسألها ويعرف منها حقيقة نسبه؟ فإذا كان عبدًا كما يزعمون وضع السيفَ فى صدره فخلصَ من الحياة. وأما إذا كان ابن شداد فلِمَ يرضى بأن يكون بين الناس عبدا؟

ولما استقر على هذا الرأى أحسَّ أن نور القمر يزيد فى عينيه بهاء وأن نسيم الربيع يهب على جبينه المتقد أكثر رفقًا، وأن رائحة الزهر تنبعث إلى شمه أزكى عطرًا، وأن منظر الشعاب ورءوس النخيل والشجر يبدو له قطعة من عالم سحرى يفيض جمالاً، ويناديه أن يزداد تعلقا بالحياة.

وعاد إلى مضرب الخيام خفيفًا بعد جولته، وذهب قاصدًا إلى خباء عبلة ليرى كيف باتت، وليدور حول الأخبية قبل أن يذهب إلى مضجعه ليستريح.

ودار حول آخر ثنية تفضى إلى فم الوادي، وهو منصرف إلى هواجسه[٤] فسمع صوتًا يناديه من ورائه: أما إنك لَحارسٌ غافلٌ.

فالتفت من المفاجأة، ولكنه تَسَمَّر عندما رأى أخاه شيبوب واقفًا فى ظل الثنية بقامته الطويلة والرمح فى يمينه مغروز فى الرمال.

فقال يخاطب أخاه:

لم يكن غيرك ليفعل ذلك أيها الخبيث.

فقال شيبوب: بئس حارس القوم أنت؟ تبعد عن منازل النساء وتخلو بنفسك إلى مثل هذا الوقت من الليل؟

فقال عنترة: ألسنا فى الشهر الحرام؟

فقال شيبوب ضاحكًا: وهل منع الشهر الحرام من أراد الانتقام؟

فقال عنترة فى كبرياء: صدقت ولكن العدو لا يجرؤ على أن يقترب منى.

فقال شيبوب: وهل يجد العدوُّ مثلَ هذه الليلة؟ إنك لتناجى النجومَ كأنك تحدثها. لقد رأيتك وأنت سائر، واتبعتك ببصرى حيث سرت، وقد خيل إليَّ أنك تخلو إلى شيطانك.

فقال عنترة: نعم يا شيبوب قد صدقت إننى أخلو إلى شيطاني، وإنى لأنظر إلى النجوم، فيخيل إليَّ أنها

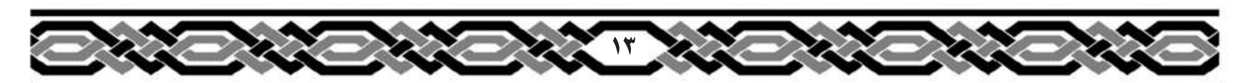
---

(١) ثنية: منعطف.

(٢) لاحت: ظهرت.

(٣) تنم: تدل وتشير.

(٤) هواجس: مخاوف.



تحدثنى.

فقال شيبوب ضاحكا: ألا تقول لى ما أوحت به إليك؟

فقال عنترة فى حزن: كانت تصيح بى: «أيها العبد، لم جئت إلى هذه الأرض»؟

فقهقه شيبوب وقال: إنها إذن لحمقاء، لقد أتيت إلى هذه الأرض كما يأتى الناس جميعًا، تقذف بهم أمهاتُهم إليها.

فقال عنترة: صدقت إنها أمى التى قذفت بى إلى هذه الأرض، إنها هى التى جاءت بى إلى هذه الحياة لأرعى إبل شداد ولأقضى نهارى وليلى فى فيافى[1] أرض الشربة؛ لأحمى إبله من الذئاب والسباع. هى التى قذفت بى إلى عبس؛ لكى أحارب من أجلهم، وأحوز لهم الغنائم التى يسمنون عليها، ثم يمرون بى فينظرون إلىَّ بمؤخر أعينهم قائلين: «هذا عبد شداد».

فقال شيبوب فى خفة: أهذا ما دفعك إلى السير؟

فقال عنترة فى حزن: نعم، هذا ما دفعنى إلى أن أهيم على وجهى وكان يلهب ظهرى كما يلهب السيد ظهر عبده بالسوط.

ومد يده فأخذ شيبوب من ذراعه وذهب به إلى جانبٍ فجلس إلى جانبه وجعل يمسح رأسه مداعبًا ثم قال له بعد حين:

– لا تؤاخذنى بما قلت، فإنى أحبك يا ابن أمى. إنى أعرف أنك الرجل الذى يحبنى أشد الحب وأخلصه وإنك عندى لأكرم من هؤلاء السادة الذين يشمخون بأنوفهم كِبْرًا وهم لا يساوون شيئا، إنك لسريع الجرى كالظليم[2].. إنك لشجاع القلب طيب النفس لولا هذا الرعب الذى يعترِيك عند القتال.

فأنا أحبك يا شيبوب وأجل مكانك وإن كنت أخالفك فى رأيك فيما تذهب إليه.

فتملص منه شيبوب برفق ونظر نحوه باسمًا حتى لمعت أسنانه البيضاء فى ضوء القمر وقال له:

– إنى والله أحبُك وأرثى لك من هذه الوساوس التى تؤرقك وتضنى قلبك. دعنى أيها المسكين أمضِ لشأنى فإنى تركت فى خيمتى ثريدا[3] وقمت أبحث عنك منذ أبطأت فى جولتك، فقد خشيت أن يكون قد أصابك شر.

فتبسم عنترة وقال: عد إلى ثريدك فانعم به، ولو كان فى قلبى فراغ لشاركتك.

فقال شيبوب وهو يهم بالقيام: كل أيها الرجل واشرب فوحق مناة ما يخرج المرء من هذه الحياة إلا بهذين: الطعام والشراب.

فنظر إليه عنترة فى هدوء وقال: اجلس يا شيبوب وحدثنى فإنى أحب أن أحس وجودك معى إننى أحس فى جوارك شيئا يشبه ما يحسه الطفل فى جوار أمه.

فضحك شيبوب وقال: ليت زبيبة أمك تسمع قولك هذا. إنها تقتل نفسها هما من أجلك، وتقطع قلبها حزنا عليك.

فغمغم عنترة كأنه يحدث نفسه: لقد طالما سألتها عن أبى وتأبى إلا أن تراوغنى فى الجواب كلما سألتها لقد سمعتها يوما تقول لى إننى ابن شداد، ولكنها لا ترضى أن تعيدها على سمعي، وكلما رأيت ذلك الرجل الذى يدعونه سيدى ويدعوننى عبده هممت أن أسأله فتخوننى قوتى.

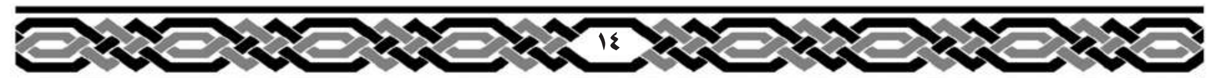
فضحك شيبوب وقال:

عذب نفسك كما شئت أن تعذبها، وأما أنا فقد رضيت بأننى شيبوب عبد شداد وابن زبيبة.

(١) فيافى: جمع فيفاء وهى الصحراء الواسعة، والطريق بين الجبلين.

(٢) الظليم: ذكر النعام.

(٣) ثريدا: فتة الخبز بالمرق.



لقد كان أبى من صميم جلدتي ، أذكر منذ كنت طفلا صغيرًا أننى كنت أعيش حُرًّا فى بلادى هذه قبل أن أحمل إلى هذه الصحراء ولا أزال أذكر أبى وهو عائد إلى البيت يلبس جلد النمر فوق كتفه، نعم أذكر تلك الأيام البعيدة كأنها حلم غامض، وكنت أنعم فيها بحريتي، أذكر ذلك كله وأمتلئ كبرًا لأننى لم أولد عبدًا، ولست أحب أن يكون لى أب سوى ذلك الأب الذى جاء بي، وأما أنت فلست ترضى إلا أن تكون ابنًا لأحد هؤلاء الجفاة الغلاظ الذين يسومونك الهوان،فاطلب من شئت منهم من الآباء، وهمَّ أن يمضى فى سبيله ولكن عنترة جذبه إليه من ساعده فأجلسه فى عنف فصاح شيبوب قائلا:

– أما إنك لفظ عنيف إذ تجذبنى هكذا فتكاد تدق عظامى دع ذراعى فإنك تعصرها عصرًا مثل كلَّاب الحديد وما زلت منذ الليلة تحمل علىَّ وتعنفنى.

فقال عنترة باسمًا:

لا تؤاخذنى يا شيبوب؛ فإننى الليلة سيء النفس وقلبى ممتلئ حزنًا، ولكنى لا أجد فى الناس من ينفس عنى سواك، إنك الرجل الذى أثق فى عطفه إذا تحدثت إليه، وآمن جانبه إذا انصرف عنى وأطمع فى عفوه إذا عنفت عليه، أنت شريكى فى حربى وبك أحمى ظهري، عينك الحادة تبصر لى ما خفى عنى وساقك تسعى فى حراستى، فحدثنى واصدقنى فنحن فى هذه الحياة وحيدان لا يعرف أحدنا إلا أخاه ولست تجد يا شيبوب فى هذه الأرض من هو أحنى عليك منى ولا من يعرف قدرك مثلى.

فوقعت هذه الكلمات موقعها من شيبوب فعدل عن عتبه وصمت حينا ثم قال:

– لست أحب أن أبعث إلى نفسك ما لا تحب يا عنترة، إن ما يرضيك أحب إلىَّ مما يرضينى. ولقد كنت لا أعرف لى صاحبًا حتى ولدت أنت فوجدت فيك رفيق لعبى. ثم كبرت وقوى ساعدك فوجدت فيك أملا جديدًا. فلما بلغت مبلغ الرجال وصرت فارس عبس أصبحت عدتى وملاذي، فأنا بك مباه معجب أحس أن ما تبنى من المجد هو مجدي، وأن ما تنال من السعد هو سعدي، ولست أبالى أنك ابن أمى فإنَّنى معك كأننا نسير فى مفازة[1] لا نجاة لأحدنا إلا بأن يسلم صاحبه؛ ولهذا كنت فى نصحى لك ألتمس أخف الأقوال عليك، فلا أظهر لك رأيى إلا فى قول عابث يقع من نفسك وقعا لينا، ولكنى أظن أن أمرك يوشك أن يصير إلى عقدة لا ينبغى لك ولا لى أن نغفل عن حلها.

وعند ذلك سمع صوت غناء ينبعث من ناحية الخيام يحمله النسيم متدفقًا متموجًا كأنه صوت الجن ينبعث من بطون الفلاة[2].

فقال عنترة يقطع حديث أخيه:

– أما تسمع هذا الصوت يا شيبوب؟ إنها ما زالت مع صاحباتها تغنى.

فقال شيبوب: وماذا يكون لهن إذا لم يكن الغناء حينا والبكاء حينا؟

فقال عنترة فى صوت لين : إنه صوتها. لست أخشى يا شيبوب أن أتحدث إليك عنها، بل يطيب لى أن ألهج معك بذكرها. إن صوتها يقع فى شغاف قلبى، وكل نغمة منه تسرى فى عروقى.

فضحك شيبوب قائلا: إنك تأبى إلا أن تقول الشعر فى كل ما تنطق به عنها، إننى أرحمك ولا أملك أحيانا إلا أن أعجب منك كيف تنظر إليها.

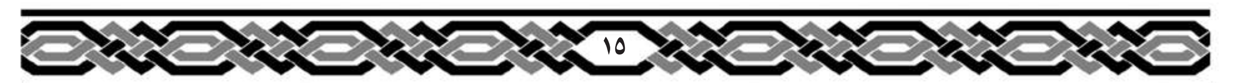
فقال عنترة : وأنى لك أن تدرك ما أحسه وأنت لم تُقاسِ مثل حبي؟

فقال شيبوب: مالى والحب يا عنترة؟ إن النساء بعضهن من بعض فليس لإحداهن عندى على الأخريات مزية،

---

(١) المفازة: الصحراء.

(٢) الفلاة: الصحراء والجمع فلوت وفلاً.



فما الذى يحملنى على أن أرى فى واحدة ما لا أراه فى سواها؟ كلهن يرقصن ويغنين ويضحكن ويثرثرن ويأكلن ويشربن. وكل منهن تتطلع إلى من يحب غيرها، لكى تكيد لها وتهزمها، لا فرق بين واحدة وأخرى.

وسكت الغناء عند ذلك فقال عنترة:

ماذا كنت تقول يا شيبوب؟ أعد على قولك فإنى لم أكن أسمعه، امض فى حديثك يا أخى فإنه يقع على سمعى وقوع الندى على العشب الأخضر.

فقال شيبوب جادًا :

إنك تعذب نفسك بهذا الوهم الذى يملكها، فأنت ترى عبلة بعين غطى الحب عليها، وأخشى عليك عاقبة هذا الوهم الذى يضللها.

فقال عنترة ساخرًا : ومم تخشى عليَّ؟

فقال شيبوب: نعم أخشى عليك. أخشى عليك أهلها وقومها. إنك تحسب أنك منهم وهم لا يرون إلا أنك عبدهم. أخشى عليك أباها مالكا وأخاها عمرًا، فهما لا يضمران لك حبًّا. عرفت ذلك ولمسته وسمعته.

أتظن أن الناس لا يتحدثون عن حبك لعبلة؟ أما سمعت الفتيات يتضاحكن ويتغامزن وأنت تنشد؟ لقد كنت أراك وأراهُنَّ، وأسمعك وأسمع أحاديثهن. وإنهن ليمكرن بك. ويقلن فى خلواتهن ما لا تسمع منهن. إن الناس يتحدثون عنك، وأنت تحسب أنك تخفى حبك فى ثنايا صدرك. فما اجتمع قوم فى نادٍ إلا ذكروها وذكروك، ولكنهم يذكرونك فى همس ليزيدوا من النقمة عليك. يقولون: إنك تقول الشعر فيها، ويقولون: إنك قد جعلتها بين الناس حديثا. ولم أكن هازلا وأنا أقول لك الليلة:

إن سرك يأبى إلا أن يذيع.

فقال عنترة فى شيء من الغضب:

– وهل يخيفنى أن يعرفوا؟ لقد كنت أخفى عن الناس ذكرها خوفًا منى عليها لا خشية منهم على نفسى.

فقال شيبوب: وهل غرتك تلك البسمات التى تراها منها، إنها لا ترى فيك إلا عبدًا مطربًا إنها لا تشتهى إلا حديثك وشعرك؛ لأنها فتاة معجبة بنفسها.

فتحرك عنترة فى غيظ وقال فى صوت أجش:

– بل تكذب يا شيبوب ويكذب من يقول مثلها.

فقال شيبوب مترددًا:

وإنهم ليقولون ما هو أقذع من ذلك فيك أنت غرٌّ تتطلع إليها، فقال عنترة فى صيحة مكتومة:

– لا يخفى ذلك عليَّ يا شيبوب، وقد سمعته بأذنى منذ كنت طفلا، ولقد كانت الكلمات تقع على أذنى وقع الطعنات من الرماح المسمومة، ألا تذكر كيف أثور بمن يعيرنى بأمى فأثب عليه، وأكاد أفترسه افتراسا ؟ ولكن مهلا يا شيبوب وكن أنت على الأقل بي رفيقا، ولا تعد هذه الأقوال على أذنى.

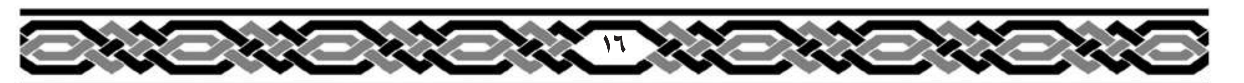
فقال شيبوب هازئا:

– ليتنى كنت لا أحبك فكنت أمتنع عن كل كلمة تؤذى سمعك، ولكنى لا أقدر أن أحجب عنك ما عندي، إنى أشفق عليك من عبلة نفسها.

فصاح عنترة : إنك تكذب إنك تكذب!

فقال شيبوب فى عناد:

لا بل أنت الذى لا تريد أن تعرف الحق. إنك تحبها وهذا الحب يحملك على أن تخدع نفسك عنها، ولا تريد أن ترى ما أمامك. أتحسب أن عبلة ترضى بك زوجًا؟ أتحسب أنها تختارك على سادات قومها؟ لعمرى إنها لو سمعت



أنك تخطبها لضحكت قائلة: «لا أريد من عنترة إلا شعرًا».

كاد شيبوب يمضى فى حديثه لولا أنه سمع أخاه يغمغم بلفظ لم يتبينه، فسكت حينا ثم اتجه إليه قائلا: أكنت تقول شيئا؟

فلم يجب عنترة بل مضى فى غمغمته حينا، ثم نطق بشعر يمد به صوته فى رفق ورقة:

أعاتب دهرًا لا يلينُ لعاتب
وأطلبُ أمنا من صروف النوائب
ولولا الهوى ما ذلَّ مثلى لمثلهم
ولا روِّعت أُسدُ الشرى بالثعالب
سيذكرنى قومى إذا الخيل أقبلت
تجول بها الأبطال من كل جانب

ولما انتهى من إنشاده اتجه إلى أخيه قائلا:

– أحس كأن ثقلا يهبط على صدرى إننى اعذرك يا شيبوب فلست تقدر على أن تنظر بعينى ولا أن تحس بقلبى وقد تكون أسعد حظا مني، ولكنى لا أرضى أن أكون إلا كما ترانى ماذا كنت تقول لى فقد كنت عنك لاهيا؟

فقال شيبوب ضاحكا:

– لن أعيد عليك قولي، إنك تهرب منى بسمعك كلما ظننت أننى قد وجدت إليك سبيلاً، ولا أملك إلا أن أعجب منك كلما رأيتك تخضع لهذا الوهم. أهذا أنت عنترة الذى يملأ معامع الحرب هولاً ؟!

فقال عنترة فى هدوء:

أظنك كنت تخوفنى غَضب مالك وابنه عمرو وقومهم من عبس، إننى ساخط عليهم جميعا ولست أخشى أن يكونوا كلهم عليَّ غضابا.

لست أبالى مالكا ولا ابنه ولا قومه إذا هم علموا حبى لقد كنت أكتمه عنهم حتى لا يصيب عبلة منه شيء أتخوفنى بغضبهم عليَّ أنا ؟ وحق مناة وآلهة العرب كلها ما أزنهم جميعًا بقطرة من دمع عبلة إذا مسها ما يبكيها.

وسكت لحظة ثم قال: إنها أملى فى الحياة ولولا هذا الأمل لما بقيت فوق الأرض يومًا.

فقال شيبوب هازئا:

– إذن فأحرق كبدك فى تمنى ما لا سبيل إليه.

فقال عنترة فى حزن : لست أملكه حتى أصرفه عنها.

وعاد صوت الغناء فجأة وحمله النسيم كما كان يحمله من قبل متموجًا متدفقًا فقال عنترة:

– اسمع يا شيبوب فإنها تغنى.

وأصاخ بسمعه ينصت إلى الغناء ثم قام خفيفًا وقال مبتهجًا:

– ألا تحب أن نقرب من خِبائها لنسمع؟

ثم جذب أخاه من يده وسارا نحو الخيام فلما اقتربا حتى استطاعا تبين اللفظ وقف عنترة فجأة وقال فى صيحة مكتومة:

– لقد صح ظنى يا شيبوب، أما تسمع ؟ إنها تغنى بشعرى.

ثم اندفع مسرعا بين الخيام فرأى الفتيات والنساء فى وسطها يجلسن فى حلقة حول النار، ونور القمر يسطع باهرا فلما رآه النسوة صحْنَ: هذا عنترة.

وقعت عينُه فى عينَى عبلة فقامت على استحياء مسرعة إلى خبائها وبنات عمها يتعلقن بأذيالها ليمسكنها وقضى عنترة الليلة مع أخيه على جانب الكثيب ينشده من شعره وقلبه يفيض بشرًا.



أسئلة الفصل الثانى
البطل الثائر

١- «وكان كلما تأمل حاله تعجب من نفسه، كيف يرضى بأن يقيم فى قوم يحميهم ويدافع عنهم، ويجلب لهم النصر، ويحمل إليهم الغنائم، ثم لا يجد منهم إلا الإنكار والبخل، ولا يسمع فى ندائهم إلا قولهم «عبد شداد»؟ وزاد من عجبه أنه كلما تذكر سيده شدادًا أحس نحوه عطفًا».

(أ) ضع مرادف (يجلب) فى جملة.

– ماذا أفاد عطف البخل على الإنكار؟ – ما دلالة تنكير «عطفًا»؟

(ب) مم كان يتعجب عنترة؟ ولماذا رضى بحالته؟

(جـ) ما السلوك السوى الذى كان يجب على عنترة أن ينفذه؟

(د) ما سر حبه وعطفه على شداد على الرغم من صرامته وكبريائه؟

(هـ) «دار حوار بين البطل ونفسه».

– لخص هذا الحوار. – بين دلالته. – وما النتيجة التى انتهى إليها الحوار؟

٢- أحداث هذا الفصل تطور العقدة الغرامية، وعقدة العبودية. وضح.

٣- قال شيبوب: «نعم أذكر تلك الأيام البعيدة كأنها حلم غامض، وكنت أنعم فيها بحريتي، أذكر ذلك كله وأمتلئ كبرًا لأننى لم أولد عبدًا، ولست أحب أن يكون لى أب سوى ذلك الأب الذى جاء بي، وأما انت فلست ترضى إلا أن تكون ابنا لأحد هؤلاء الجفاة الغلاظ الذين يسومونك الهوان، فاطلب من شئت منهم من الآباء».

(أ) تخير الإجابة الصحيحة مما يأتي، واكتبها:

– مفرد كلمة «الجفاة»: «الجافى – الفج – الجائف».

– مضاد كلمة «الهوان»: «الكثرة – العزة – الكبر».

– معنى كلمة «يسوم»: «يبيع – يطلب – يريد ذله».

(ب) تشير العبارة إلى الأصل الذى انحدر منه كل من شيبوب وعنترة. وضح.

(جـ) قارن بين حال شيبوب وحال عنترة فى ضوء العبارة السابقة.

(د) عين أسلوبى توكيد فى العبارة، واذكر الغرض البلاغى للأمر فى قوله «فاطلب من شئت من الآباء».

(هـ) شخصية شيبوب شخصية ثانوية، ولكنها تقوم بأعمال جوهرية، وضح ذلك.

(و) عين الصواب مما يأتى:

– شيبوب لا يرضى أن يكون عبد شداد وابن زبيبة. – عنترة ولد عبدًا، وشيبوب ولد حرًا.

– كلام شيبوب يقع على سمع عنترة وقوع الندى على العشب الأخضر.

– عنترة يعذب نفسه بحبه عبلة.

٤- حديث شيبوب عن عبلة يتسم:

– بالواقعية. – بالرومانسية. – بالكذب.

اختر الإجابة الصحيحة للجملة معللاً لما تقول.

٥- «إنى إذا رأيتها أضاءت لى الآفاق وإن كانت مظلمة، وإذا تنسمت ريحها أحسست دبيب السعادة وإن كان الشقاء يكتنفني، وإذا حدثتها.. فكأن أغاريد الطير تطربنى فى الأسحار.. فهى معنى الحياة وغاية آمالي».

(أ) ما معنى تنسمت؟ هات مفرد أغاريد فى جملة، وما الفرق بين الريح والعاصفة؟

(ب) تبرز العبارة جانبا من جوانب شخصية عنترة. وضح.

(جـ) أكانت عبلة تبادل عنترة شعوره؟ ناقش.

(د) ما الموانع التى تقف بينه وبين التصريح بحبه؟

٦- لخص الفصل مبرزًا شخصية شيبوب ونظراته فى الحياة.



(٣) الطريق إلى الحقيقة

عاد عنترة مع الركب إلى حلة عبس، وكان يوم عودته موعد العيد السنوى الذى تقيمه القبيلة فى موسم الحج فى شهر رجب. ولكن عنترة لم يكن فارغ القلب للعيد، فذهب إلى بيت أمه أول شيء بعد عودته، وكانت زبيبة منصرفة إلى غَزْلها، فلما رأته داخلا وثبت قائمة وقالت له وهى تفتح له ذراعيها:

مرحبا بك يا ولدى ما أشدَ شوقى إلى رؤيتك!

فذهب عنترة إلى جانب من الخباء فرمى فيه رمحه وسيفه، وجلس على فروة والغضب يبدو فى معالم وجهه. فقالت له زبيبة:

– أبك شيء يا ولدي؟

فنظر إليها عنترة ولم يجب فاستمرت قائلة:

– أيحزنك شيء أصابك؟ هل ألم بك فى طريقك ما أغضبك ؟ هل لك أن تفضى إلَّى بما يحزنك لعلى أستطيع أن أخففه عنك أو أحتال معك فى صرفه.

فقال عنترة: وماذا يجدينى أن أحزن أو أغضب؟

فقالت زبيبة وهى تحاول أن تتماسك: أى ولدى الحبيب فداك نفسي، لو استطعت أن أذهب عنك الحزن بفقد عيني لكان أحب شيء إليَّ أن أفقد عينى، ولو قدرت أن أبذل حياتى لكى أهب لك السعادة لبذلتها راضية سعيدة.

فخضع عنترة وأطرق حينا ثم قال لها:

– لن يجدينى ذلك كله شيئًا. أما كنت تعرفين أن الوليد الذى تضعينه سوف يعيش عبدًا؟ وكانت زبيبة تستمع إليه فى دهشة متعجبة من قوله وصاحت فى ألم:

– إنك تقطع نياط قلبى يا عنترة. فماذا يحملك عليَّ كل هذا؟ ألست عنترة فارس عبس؟ لقد عقم النساء أن يلدن مثلك.

فقهقه عنترة بصوت مخيف وقال:

دعى هذا، وخبريني بالحق عما جئت أسألك عنه، طالما سألتك وأنت لا تريدين أن تجيبى، ولقد جئت إليك لأسألك مرة أخرى أن تصدقينى حديثك.

فقالت زبيبة مسرعة:

– سلنى ما بدا لك يا ولدى فأنا لا أحب أن أكذبك.

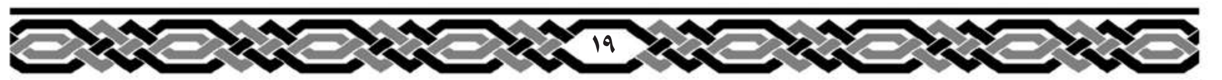
فقال عنترة فى مرارة:

– لست أحتمل أن أعيش بعد اليوم فى دنيا تحيط بى فيها هذه الأكاذيب كأنها الإبل المسعورة إذن فتعسا لهذا السيف الذى أحارب به أعداء عبس لأنه يكون سيفا عقوقا.

فقالت زبيبة هادئة:

– لقد عرفت يا عنتر أنى لا أكذب، ولو أردت أن أكذب على الناس جميعًا ما كذبت على ولدى.

أتحسب أننى أعرف أمرًا أخفيه عنك؟ لقد طالما تجسست وأخبرتك بما سمعت. وطالما تبسمت لمن أمقتهم، لعلى أظفر منهم بحديث أفضى به إليك. ولقد كنت أذهب إلى عبلة وأمها وأخدمهما لكى أعود إليك بكلمة يطيب بها قلبك. ألست أذهب كل يوم إلى سمية امرأة شداد، فأضحكها وأتملق مروة ابنتها؛ لكى أحمل



لك ما تقولان وما يقول لهما نساء عبس؟

فصاح عنترة:

– لا تراوغيني هذه المرة، وقولي لي صدقا. أما قلت لي يومًا إن شدادًا أبي؟ أما قلت لي إنني من صلبه وإنني عنترة بن شداد؟ ألا تذكرين يوم جئت إليك أبكي وأنا صبي أشكو إليك أنهم يعيرونني بك فقلت لا تحفل[1] بهم فإنك ابن شداد؟

فقالت زبيبة مندفعة:

نعم أذكر ذلك وهو حق.

أي ولدي إني ما أزال أذكرك طفلا وأنت تحبو مرحًا ضاحكا تعبث بالكلاب والحملان[2] وتندفع عنيفا كأنك فتى يافع، وأذكرك صبيا تجبذ[3] فصيل الناقة كأنك قط يداعب فأرا.

وأذكرك فتى تهز الحربة كما كان يهزها خالك وجدك.

وهذا أنت قد كبرت يا ولدي حتى صرت فتى الفتيان وأشجع الشجعان وفارس عبس كلها.

ثم وضعت رأسها بين كفيها وأخذت تبكي فلان عنترة وقال يستعطفها:

– إن قلبي يتمزق والغيظ ينفجر بي.

فقالت زبيبة:

– يا عنترة إن قلبي لا يحمل من الأحياء صورة أحب من صورتك وأراك تنظر إليَّ كما ينظر إلى هؤلاء كلهم: أبوك وأعمامك وآباء أعمامك.

فصاح عنترة: تقولين أبي وأعمامي؟ أتعيدين ذلك على سمعي؟

فقالت زبيبة:

– نعم أبوك وأعمامك، ألم أقل ذلك لك من قبل؟ إنهم يقولون لي كلما رأوني: قومي يا زبيبة إلى هذا الوعاء فاحمليه، أو إلى هذه الشاة فاحلبيها. وما كان ينبغي لك أن تكون مثلهم. فلست أمام نفسي زبيبة الأمة – إنني انا الحرة الحبشية (تانا) ابنة (ميجو) ولن أكون سوى الحرة (تانا) ابنة ميجو.

وكان عنترة يسمع قولها مطرقا، ويزأر زئيرًا مكتومًا؛ وتعتريه بين حين وحين هزة تنفضه نفضًا. فلما انتهت أمه من قولها عادت إلى البكاء. فقال عنترة في شبه صيحة:

– إنك تقولين عن شداد وإخوته إنهم أبي وأعمامي ومع ذلك فإن كل من يلقاني منهم لا يسميني إلا عبدًا ألست أنت التي أتيت بي إلى الحياة، وأنت أعرف الناس بمولدي؟ وحق مناة لو كنت حرة....

وما كاد ينطق بالكلمة الأخيرة حتى صاحت به زبيبة في حنق[4]:

– ويلك يا عنترة إنك فظ عنيف ولا تحس لي رحمة إنني أمقت قومك وما يقولون وأمقت كبرياءهم وجهلهم وأمقت هذه الآلهة الصماء التي يقسمون بها.

لقد عرفت قومًا غيرهم ودينًا غير دينهم، هو دين المسيح، واسمًا أحبَّ إليَّ من هذا الاسم الذي ينادونني به.

فقال عنترة:

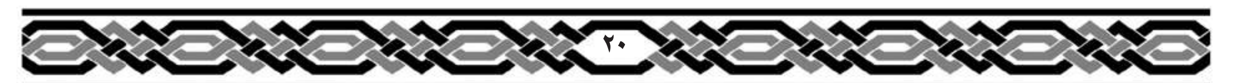
---

(١) لا تحفل: لا تهتم.

(٢) الحملان: جمع حمل وهو ولد النعجة.

(٣) تجبذ: تجذب.

(٤) حنق: غيظ.



– إنما يحزنك أنك زبيبة الأمة، يحزنك أنك فى قوم تكرهينهم وتكرهين آلهتهم، اصدقيني القول، أأنا ابن شداد حقا؟

فقالت زبيبة بين شهقاتها:

– إنك ابنه. إنك ابنه، وقد قلت لك ذلك من قبل فى صغرك، وما كنت أكذبك.

فصاح عنترة: أتقسمين أنك صادقة؟

فقالت زبيبة رافعة رأسها فى غضب: قلت لك أنك ابنه، ولن أقول لك إلا أنك ابنه. فصدق إن شئت أو كذب وافعل بى ما بدا لك.

فهدأ عنترة وصمت حينا ثم قال: أأكون ابنه ويبعدني؟ أأكون ولده ويجعلنى عبدًا ويرضى لى أن أكون بين الناس ذليلا؟ إننى أطعن أعداء عبس؛ وأدفع عنهم الذلَّ، وأعف عن المغنم، ومع ذلك يسموننى عبدًا وأنا ابن شداد أقسم بمناة لئن كان أبى لأحملنه على أن ينسبنى إلى نفسه، سأضرب فى الأرض حيث تقذف بى وسأصارع الأسود وأنتزع منها فرائسها، وسأقطع السبل[1] على كل عابر[2] وأسلب الأموال من كل مالك. ولن أستقر حتى ألقى منيتى ثائرًا حانقًا كما يلقى الكلب العقور منيته.

فتخاذلت زبيبة، ومدت يديها فى تضرع وقالت:

– لا تفعل يا ولدي، لا تفعل، لقد كنت أراوغك ولا أقول لك الكلمة التى كنت تسألنى عنها لأننى كنت أخشى هذا، كنت أخشى أن تذهب إليه وتسأله وتخاشنه، فلا تعود من ذلك إلا بتلف النفس. إنك منه وهو منك، وقد ورثت منه كبرياءه. ولقد كنت أخشى أن تصطدم به، وتقف له وجهًا لوجه، فما تقابل اثنان مثلكما إلا انجلى الموقف عن هلاك أحدهما.

وسكتت لحظة ثم قالت بصوت متهدج:

– إنه أبوك يا ولدى ولست أنكر أنه عزيز عليَّ، ولن أرضى أن أفقده كما لست أرضى أن أفقدك. إننى أذكر يوم رأيته كأنه كان بالأمس القريب، فاسمع حديثى وصدقنى.

كنت مع الركب أنا ومن معى من نساء وأطفال، لا نكاد نرى ما أمامنا من البكاء، فقد جئنا إلى هذه الأرض مع قوم خطفونا من أهلنا كما تخطف فراخ الطير وكانوا يلقون إلينا بقطع من فضلات الطعام، فلا نجد لها شهوة والجوع يقرص أحشاءنا حتى كاد الموت يأتى علينا، ولا نجد لأنفسنا حيلة إلا البكاء وتمنى الهلاك، كان أخوك شيبوب عند ذلك لا يزال طفلا، وكان جرير ابنى لا يزيد على عشر سنوات أوّاه.

إننى لا أملك نفسى كلما تذكرت كيف كان ولداى المسكينان وهما يجران أقدامهما، والحجارة تشققها والدماء تسيل منها وكانت الصحراء المهلكة تمتد أمامنا إلى غير نهاية وأخيرًا هبط علينا أبوك شداد فى جماعة من عبس وأخذونا، وكنا نتوقع منهم الموت ونتمناه لنستريح من الحياة. ولكن شدادًا كان بنا بارًا وكان ابناى له عبدين على عادة العرب من أقدم الأزمان وقد أولدنى شداد غلاما واحدا هو أنت يا عنترة هذه قصتى يا عنترة أقولها لك ولست ألوم أحدًا ولا أحقد على أحد. إننى لا أحمل إلا الولاء والوفاء.

فنظر عنترة إليها وقد هدأت ثائرته وقال ساخرًا:

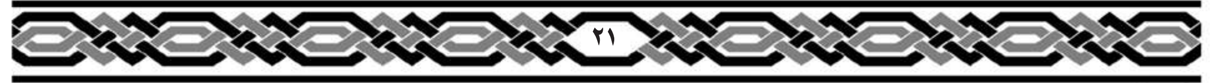
– إذن فهو أبي؟

فقالت زبيبة فى جدٍّ: قُلت لك قصتى. لم أنطق فيها بحرف غير صادق فإننى اليوم لا أطمع فى أن أستقبل الحياة. إننى راضية بما أنا فيه؛ لأننى لا أرى لنفسى مطمعا سوى أن أراكم أمامى.. ولقد اعترف

---

(١) السبل: الطرق.

(٢) عابر: سائر.



بك أبوك يومًا وأنت فتى صغير، إذ طمع بعض بنى عبس أن يدعيك[1] فمنعك قائلا: «إنه ولدي» وكاد يحارب أبناء عمه من أجلك.

وكان عنترة يسمع قولها شاخصًا[2] ببصره إليها. حتى إذا ما فرغت مدت يديها نحوه واقتربت منه، فمسحت على رأسه بيمينها ثم تهانفت[3] وخضع عنترة لها فأحنى رأسه، ووثبت من عينيه دمعه بادر إليها فمسحها، ثم تخلص منها برفق، وقال بصوت خافت:

– لا عليك يا أماه، لقد ألنت قلبى على الرجل بعد وصفك إياه وسأمضى إليه لأحدثه فى أمرى فلعله يلحقنى بنسبه ويزيل عنى معرة[4] الضياع، ولن أرضى بعد اليوم أن أبقى فى بنى عبس رقيقا وأنا من صلب شداد.

ثم وثب واقفًا وقامت أمه تتعلق به قائلة:

– لا تفعل يا ولدى. لا تفعل ذلك أبدًا.. هذا ما كنت أحاذر أن تفعل منذ كبرت.

إنه لن يجيبك إلا بما يجيب به العربى عبده. إنك عبده لأنك مني، لا لأنك منه. تريث فى الأمر حتى يقضى الله قضاءه ولا تيئس من رحمته.

فقال عنترة فى صرامة:

لن أدع حديثه حتى أرى ما يكون منه. فدعينى أذهب إليه. فإنى لن أثير قلبه سوف أخضع[5] له فى القول لعله يلين لى. ولست آيسا[6] منه فإنى ألمح فيه أحيانا رقة ومحبة. ولا أملك قلبى من الميل إليه كلما لقيته. فقالت زبيبة:

– ترفق بى وبنفسك يا ولدى.. إنه لن يرضى أن يجيبك خوفًا من قومه أن يعيروه.

فقال عنترة فى دفعة:

– أيعيره قومى بي؟ لن أقعد عن مطالبته وإن كلفتنى المطالبة حياتى.. فإما أن أكون ابنه فيعلن ذلك لملأ الناس. وإما أن أهيم على وجهى فى الأرض الواسعة ابتغاء حريتى.

فقالت زبيبة: تريث يا ولدى.. بماذا أقسم عليك حتى تطيعني؟

فنظر عنترة إلى وجه أمه وقال:

– أتخشين عليَّ إذا لججت فى خطابه أن يوقع بى؟ لن أرفع فى وجهه يدى يا أمى فاطمئنى. لقد كنت دائما أخضع له وأنا أعده سيدي، وسأكون أشد خضوعًا وأنا أعرف أنه أبى.

ثم تخاذل وجلس على حجر عند مدخل البيت ووضع رأسه بين كفيه وغاب فى إطراقة حينا وكان يردد أنغامًا خافتة ويهتز اهتزازًا شديدًا حتى جزعت أمه عليه فاقتربت منه وجعلت تمسح رأسه بيدها حزينة حتى مضت ساعة، ثم رفع رأسه وجعل يتغنى بأهازيج من شعره وهى تنظر إليه فى رقة وتستمع إلى غنائه.

ثم وثب قائما فى عنف، وذهب مسرعًا ولم يلبث أن غاب بين البيوت، وأهوت زبيبة على الأرض متهالكة تنظر إلى أعقابه وهى تئن قائلة:

ولدى ولدي!

---

(١) يدعيك: يجعلك ولده.

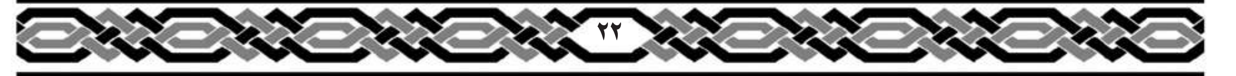
(٢) شاخصا ببصره: فاتحا عينيه لا يغمضها.

(٣) تهانف: التهيؤ للبكاء، وقد يكون معناه أحيانًا ضحك المرأة إذا استهزأت.

(٤) معرة: العار.

(٥) أخضاع: ألين.

(٦) آيس: بمعنى يئس.



أسئلة الفصل الثالث
الطريق إلى الحقيقة

١- أى ولدى الحبيب فداك نفسي، لو استطعت أن أذهب عنك الحزن بفقد عينى لكان أحب شيء إليّ أن أفقد عيني، ولو قدرت على أن أبذل حياتي؛ لكى أهب لك السعادة لبذلتها راضية سعيدة.

(أ) تبرز العبارة مدى حب الأم لابنها، وضح ذلك.

(ب) «لقد عقم النساء أن يلدن مثلك» اشرح العبارة وهل أثرت فى نفس عنترة؟ ناقش واستدل.

(جـ) لماذا كانت زبيبة تتجسس عند عبلة وسمية؟

(د) ما المواقف التى ذكر بها عنترة أمه بأنه ابن شداد؟

(هـ) ما قيمة جملة «فداك نفسي» ولم كررت كلمة لو؟

٢- تحدث عن مرحلة الطفولة لعنترة فى ضوء هذا الفصل.

٣- «لم تكن زبيبة راضية عن معاملة شداد لها» استدل على ذلك.

٤- من تانا ابنة ميجو؟ وما قصتها؟ وما الدين الذى كانت تدين به؟

٥- عين الصواب من العبارات الآتية:

- إنك لست ابنا لشداد.
- اعترف شداد بابنه عنترة.
- أسرت زبيبة فى إحدى المعارك.
- عاملها شداد برفق.
- لم تكن زبيبة صادقة.

٦- «وكان عنترة يسمع قولها شاخصًا ببصره إليها، حتى إذا ما فرغت مدت يديها نحوه، واقتربت فمسحت على رأسه بيمينها ثم تهانفت، وخضع عنترة لها فأحنى رأسه، ووثبت من عينيه دمعة بادر إليها فمسحها».

(أ) تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

- معنى كلمة «شاخصا»: (ممثلا- منحنيا- فاتحا عينيه لا يغمضها).
- مضاد كلمة «خضع»: (تمرد- أجاب- احتج).
- «فمسحت على رأسه بيمينها لأنها»: (وجدت به عرقا- لتنظيم شعره- لتظهر حبها له).

(ب) الموقف مليء بالعواطف الإنسانية السامية، وضح ذلك.

(جـ) ما أثر هذا الحديث فى نفس عنترة؟

(د) «قرر عنترة أن يواجه شدادًا فما موقف زبيبة من ذلك؟ وبم طمأنها عنترة؟

(هـ) استخرج من العبارة: خبرًا جملة- حالا مفردة- مفعولا منصوبًا بعلامة فرعية.

٧- حب عنترة لعبة جعله حريصا على إثبات حريته. ناقش ذلك مبينا رأيك.

٨- ما الفرق بين ديانة زبيبة وديانة شداد؟

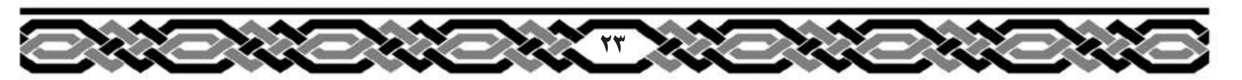
٩- يقول شوقى:

وللحرية الحمراء باب

بكل يد مضرجة يدق

ما الموقف الذى يتحقق فيه معنى هذا البيت؟ وعلى لسان من يجرى هذا البيت؟

١٠- حدد قيمة هذا الفصل فى تطوير «المأساة» فى القصة.



(٤) حوار ساخن

كان البدرُ قد طلع كاملاً على الحلةِ ونشر ألوانَه على الفضاءِ عندما خرج عنترةُ من بيتِ أمِّه. وكانت الحلةُ خاليةً إلا من عجائزِ الإماءِ والضعفاء من الشيوخِ والنساءِ، فقد خرج أهلُها إلى براحٍ واسعٍ فى ظاهرِ النجعِ؛ ليحتفلوا بيومِ مناةَ على عادتِهم كلَّ عامٍ.

وسار عنترةُ مسرعًا يغرزُ الرمحَ فى الرمال كأنه يطعنُها فى حقدٍ، حتى بلغ البراحَ الفسيحَ الذى تعودت عبسُ أن تجتمع فيه للاحتفالِ بالعيدِ. وكانت أصواتُ الغناءِ والضحكِ والصياحِ تنبعثُ إليه فى ضجةٍ يحملُها النسيمُ إليه عجيبةً غامضةً كأنه لم يشهدْ يومًا زحمةً مثلها.

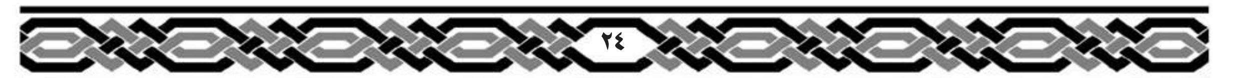
ولاحت لعينيه جذوعُ النخيل بارزةً فى حلقةٍ عظيمةٍ كأنها سِياجٌ، يَحْجُبُ عنه عالماً صاخباً مرحاً يختلف عن عالمِه الحزينِ العابسِ.

وخطرت له فى سيرِه صورةُ عبلةَ، وخُيِّلَ إليه أنه يسمعُ صوت غنائِها. أتكونُ عبلةُ هناك فى ذلك الجمعِ العابثِ اللاهى لا يخطرُ ببالِها ما هو فيه من تنكيدٍ وحزنٍ عنيفٍ؟ أتكونُ عبلةُ مع هؤلاء تضاحِكهم وتسامرُهم، وتغنى لهم وترقصُ وتصفقُ مع المصفقين ولا يخطرُ ببالها أنه وحده يناجى يَأسه وكمَدَه؟

وطال عليه السيرُ حتى بلغ موضع الزحام، ورأى الجموع الزاخرة تحيط بالنيران فى حلقاتٍ كل منها تضمُّ بطنًا من بطونِ القبيلةِ.

ومرَّ يخْبطُ الأرض برمحِه بين الحلقاتِ لا يلتفتُ إلى أحدٍ ممن كانوا يتواثبون إليه ويدعونه إلى الجلوسِ، حتى اقترب من سرادقِ الملك زهيرِ بن جذيمةَ.

لم يكن عنترةُ يعرفُ ماذا يريد أن يفعلَ بذهابه إلى شهودِ ذلك العيدِ فإنه لم يذهب إلى هناك لكى يشرب الخمر مع الشاربين، ولا لكى يتبارى هو والفرسان، ولا لكى يُنشد أشعارَه كما اعتاد أن ينشد فى مثل ذلك اليوم. لم تكن نفسُه فى ذلك اليوم خاليةً مستبشرةً حتى يشاركَ قومَه فى مرحِ العيدِ ولهوه وبهجتِه، ولكنه مع ذلك قد ذهب إلى هناك وهو لا يدرى ماذا يقصدُ منَ الذهابِ. أكانت صورةُ عبلةَ هى التى تجذبُه وتدعوه؟ أم كان ضيقُ



صدره يدفعه إلى الهروب من الوحدة لعله يجد في زحمة العيد ما يشغلُه عن التفكيرِ في همومِه وآلامِه؟ أم ذهب يرجو أن يلقى شدادَ بنَ قراد في ذلك الجمعِ الحاشدِ؟ لقد كانت صورةُ شداد هي التي تملأ صدره الحانقِ[1] منذ خرج من بيت أمه. فكان يتمنى أن يراه ليسألَه عما كان يسأل أمه عنه، ويحمله على أن يعترفَ به ويجعلَه ولدَه صريحاً.

ولما اقترب من سرادقِ الملكِ زهير بن جذيمةَ مرَّ بحلقات من فرسانِ الشباب فهبوا إليه وأحاطوا به ليأخذوه إليهم، وتنافسوا أيهم يسبقُ إليه. ولكنه وقف ينظر نحو السرادق العظيمِ ورمحه مركوزٌ في الرملِ، وارتسمَتْ على وجهه ابتسامةٌ ضعيفة فيها شيءٌ من السخريةِ وشيء من الحنق، والتفت إلى الفرسان قائلا:

ـ سوف أعود إليكم بعد تحيةِ سادتي.

ثم قهقه، وانفلت من بينهم مسرعاً مترنحًا متحديًا كأنه يقصدُ قتالا.

ولمح أمامَ السرادق فتياتِ عبسَ وهن يخطرن في رقصهن وغنائهن. فأدار بصرَه فيهن حتى وقع على عبلة وهي ترفع يديها وتغني. فخفق قلبه وتمتم قائلا:

ـ أكل هؤلاء ينظرون إليها؟

وسمع عند ذلك من ناحية السرادق اسم عبلةَ يترددُ في صيحةِ إعجاب فوثب وطعن الرملَ برمحِه، فما هي إلا لحظاتٌ حتى كان على خطوةٍ منها، فالتفتَتْ إليه وتلاقتْ عيناهما، فتبسمَتْ عبلة، ومالت برأسها في خجل، وسكتت عن الغناءِ.

فعلا الجمع صمتٌ عميقٌ مدةَ لحظةٍ مرت كأنها ساعة طويلةٌ، وتعلقت العيون كلها بعنترةَ، وكان مظهرُه ينمُّ عمَّا في صدرِه من غضب وثورةٍ. أما هو فلم يبتسم لعبلةَ، ولم يُلق إليها تحيةً، واندفع نحو السرادقِ ولا يزال يطعنُ الرمل في كل خطوةٍ يخطوها فلما بلغ موضع الملك حياه قائلاً:

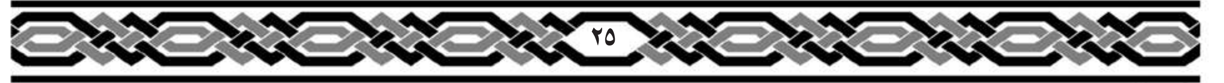
ـ عمت مَسَاءَ مولاي!

فقال الملك:

ـ عم مساء عنترة: لقد كنت أسألُ عنك منذ الليلة.

---

(١) الحانق: الشديد الغيظ.



وكان الملك جالسًا على تَخْتٍ منصوبٍ قد فرشت عليه النمارقُ[1] والوسائدُ، وكان الأمراءُ والشيوخ وأبناءُ السادة يجلسون من حوله ومن ورائه فى صفوفٍ مزدحمةٍ، فوق طنافسَ من صناعةِ المدائن[2] وشيراز.

فنظر عنترةُ إلى المكان فلم يَجِدْ به موضعاً يجلسُ فيه، ودار بعينيه فى ارتباك كأنه يبحث عن أحدٍ فى الجلوس، وفيما هو فى حرجِه سمع صوتا ينادى فى شىءٍ من السخرية قائلا:

- ألا تجد لك مكاناً يا عنترةُ؟

فنظر نحو الذى يخاطبه، وكان عمارةَ بن زيادٍ، أجملَ فتيان عبس، وأكرمَهم، وأعلاهم حسباً وأشرفَهم نسباً:

فقال عنترةُ فى حقدٍ:

- لو أنصفتَ لقمتَ لى من مكانك يا عمارة.

فهبَّ عمارة من مكانِه ثائرًا وقال:

- تعال فخذ مكانى إذا استطعتَ يا بنَ زبيبةَ.

- فقال عنترةُ ثابتاً:

- لم تأتِ بجديدٍ على الأسماعِ، فكل عبس تَعرف أمى كما تعرفُ أمَّك. ولكنى هنا أنا وأنت. فتعال إلىَّ إذا شئت يا عمارةُ.

فجرد عمارةُ سيفَه، واندفع نحوه، وأقبل عنترةُ عليه يدوسُ الجالسين للوصول إليه، وهب الناسُ من كلِّ مكانٍ يحجزون بينهما حتى لقد هبّ الملكُ زهيرُ من مكانِه صائحاً:

- تريثْ[3] يا عنترةُ، ويحك يا عنترةُ!

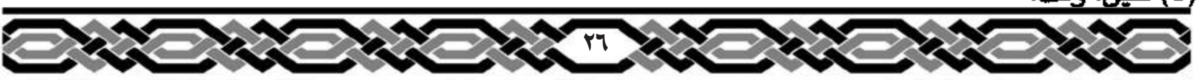
ولكن صوته لم يسمع فى الضجةِ الشاملةِ، وانتقض نظامُ الميدانِ كلِّه، فاختلط من فيه، واضطربوا وصاح النساءُ والفتياتُ فى فزعٍ، ومضى حينٌ[4] قبل أن يستطيعَ شداد ابن قراد أن يصلَ إلى عنترةَ، ويُسمِعَه صوتَه ويأخذَه من يدِه، وخرج به من السرادق

(١) النمرقة: البساط ومثلها الطنفسة.

(٢) المدائن وشيراز: مدينتان فارسيتان.

(٣) تريث: تمهل.

(٤) حين: وقت.



ولكن الجمعَ لم يلتئم[1] بعد ذلك، ولم تعد النفوس إلى صفائها وانفض الناسُ فى وجومٍ عائدين إلى منازلهم، فلم يكن لهم فى ذلك اليوم عيدٌ.

وذهب شدادٌ إلى جانبِ عنترةَ يسيران فى صمتٍ حتى بلغا شِعبًا من شِعابِ الوادى المؤدى إلى الحلةِ، فانتحيا فيه جانبًا عند مَهْبِط السيلِ، وجلس شدادٌ على قطعةٍ ملساءَ من الصخر، وجلس عنترةُ جاهمًا [2] عند قدميه ووضع رمحَه تحت رجليه.

وقطع شدادٌ الصمت قائلًا:

- أجئتَ يا عنترةُ عمداً لتفسدَ علينا ليلتنا؟

فنظر إليه عنترةُ نظرةً طويلة ثم أرخى عينيه وقال بصوتٍ عاتب:

- أتلومنى يا سيدى على ما كان ينبغى أن تلومَ عليه غيرى؟

أتلومنى؛ لأننى عبدُك؟

فقال شداد: أهذا جواب قولى؟

فقال عنترةُ:

- إن القولَ يسوق بعضه بعضاً. وإن فى نفسى لقولاً كثيرًا لستُ أدرى كيف أبدأ فيه وكيف أثنى، إن عندى لك قولاً هو أولى أن تسمعَه من هذا الذى تسألُنى عنه يا سيدى.

فقال شداد فى دهشة:

- قل ما بدا لك يا عنترةُ.

فقال عنترةُ:

- إننى لا أستطيعُ يا سيدى أن أنكرَ فضلَك. فأنت فارسُ عبس وشيخُها، وأنت ملاذُ[3] الخائفِ، ومطعمُ الجائعِ، ومُكرمُ الضيفِ، وناصرُ الضعيفِ، وقد حدثتنى أمى عنك حديثاً طويلا منذ كنتُ طفلاً.

قال هذا ثم سكت، ونظر إلى سيِّدِه شداد.

قال الشيخُ عابسًا:

- ما لك تسكت يا عنترةُ امضِ فى الحديث وقُل ماعندك.

واستمر عنترةُ قائلاً:

---

(١) لم يلتئم: لم يعد كما كان.

(٢) جاهمًا: حزينًا.

(٣) ملاذ: ملجأ.



ـ حدثتنى أمى عن رحمتِك بها وبِرِّك بأبنائها، ولكنها قالت لى قولا لم أسمعْه منك أنت يا سيدى . هذا ما يضيقُ له صدرى، وتثورُ منه نفسى.

فقال شداد جامدًا:

ـ قالت لك إنك ولدى؟

فقال عنترةُ ثابتا:

ـ قالت لى ذلك منذ كنتُ طفلا، كنتُ إذا لعبتُ مع أطفال الحى سبُّونى بأمى، وقالوا لى أقوالا لم أفهمها، فكنت أنتقمُ منهم وأضربُهم، فلا يزيدون إلا جرأةً، ويجتمعون فى حلقةٍ يعيِّروننى ويَسْخرون منى وكنت كلما ضقت بهم ذهبتُ إلى أمى، فشكوتُ لها. وسألتها عن أبى لكى أفاخرَهم به، كما يفاخروننى بآبائهم، ولكنها كانت لا تزيدُ على أن تبكى. ثم قالت يوماً إننى ابنُك، فأحسستُ الكبرياءَ تملأ نفسى، والقوةَ تسرى فى عروقى، فكان لا يقوى أحدٌ منهم على الوقوفِ أمامى. ولكنى كبرتُ وعرفتُ وخضتُ الحروب، وأردتُ أن أجدَ لى مكاناً فى عبس، فلم أجدْ أحداً يوسعُ لى مكاناً. فعدت إلى أمى أسألها عن حقيقةِ ما قالت لى فى طفولتى، فكانت تراوغنى وتدافعنى ولم تعدْ علىَّ قولَها إننى ابنُك حقاً. ولكنها قالتها لى اليومَ. فجئتُ إلى هنا ولكنى وا أسفاه لم أَجدْ لى بين عبس مكاناً. وجدتك أنت هناك تسمع وترى، وذلك الوغدُ[1] يسبُّنى بأمى.

ـ فقال شدادٌ فى جمودٍ:

ـ وماذا تريدُ بقولِك هذا؟

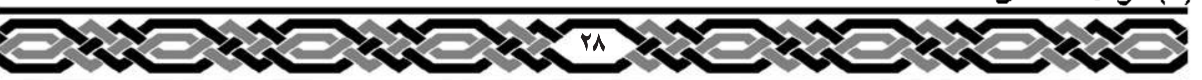
ـ فأجابَ عنترةُ فى دفعةٍ:

ـ لستُ أريدُ إلا ما يريدُه الولدُ من أبيه إذا كان أباه حقًا، أعبدُك أنا أم ولدك؟

فقال شداد: ألستُ أعطيك ما يعطى الأبُ ابنَه؟ ألستُ أكرِمُ مكانَك يا عنترةُ؟ ألستُ أدخلُك بيتى، وأجلسُك فى مجلسى وأركبُك معى. وأناجيك إذا اعتزمت مع قومى أمرًا؟ ألستُ أدعوك إلى حمايةِ الحمى، وإلى المشاركةِ فى الغَزَاةِ؟ ألستُ أنصرُك إذا ظَلَمْت، وأدفع عنك إذا ظُلمْت، ألم تَقفْ الليلةَ لسيدِ شبابِ عبس تُلقى إليه سبابًا بسباب، واعتداء باعتداء فلم أدع يدًا تصل إليك؟ أترى فى عبيدى غيرك من يباح له ما يباح لك؟ فماذا ينبغى منِّى بعد ذلك إذا كنتُ أباك حقًا؟

---

(١) الوغد: الأحمق.



فقال عنترةُ فى رقِةٍ: لستُ أنكر فضلَك، فإنى إذًا لجحود إنك لتكرمُنى، ولا تجعلُنى مثلَ هؤلاء العبيد الذين يَرعون إبلَك معى، ويحلبون لك النياقَ، ويحملون الطعامَ لضيوفك. وقد كنتَ تملك أن تجعلَنى مثلَهم لو شئتَ وتذلَ تلك النفسَ التى تقولُ أمى إننى ورثتها منك. ألا تقولُ لى مرةً إنك أبى؟ ألا تقولُ لى كلمةً تَقَرُّ بها عينى؟ قل لى هذه الكلمة يا أبى حتى أسمعَها من شفتيك أنت.

ومد يديه عند ذلك فى ضراعةٍ ونظر فى عين مولاه[1].

فقال شدادُ متبرماً[2]: أما إنك لتلجُّ لجاجةً[3] لا أحمدُها.

فقال عنترةُ معتذراً:

لستُ أحب اللجاجةَ يا سيدى. فاصرفنى عنك بكلمةٍ أعرفُ بها مكانى منك فإذا لم أكن ابنَك، لم يكن لى عليك من سبيلٍ فى نفسك، وفى هذه الذريةِ التى تخرجُ من صلبك.

فقال شدادٌ مغضباً: حسبك أيها الولدُ وأمسكْ لسانَك.

فقام عنترةُ ومد يديه نحوه قائلاً:

ـ أيها البطلُ لستُ أحبُّ أن أغضبَك. ولكنى لا أرضى لك أن تقذفَ بى بعيداً عنك إذا كنتُ من دمِك، إنّ لى فى الحياةِ حقا كما أنّ لكل رجل فى عبس حقاً. فكيف أعيشُ فى قيدِ الرق إذا كنتُ ابنَ سيدِ الأحرارِ؟ وهل تستحقُّ الحياة أن أحياها إذا هى خلت من الحريةِ؟ إننى أحبُّ الحريةَ؛ لأننى أحبُّ الحياةَ. وأحبُّ أن أعيشَ كالناسِ أقولُ «نعم» حيناً أو أقولُ «لا» إذ بدا لى أن أقولَ «نعم» أو «لا» أحبُّ أن أكونَ مثل سائرِ الناسِ فى ميزانِهم، أعاشرُهم وأعاملُهم على أننى واحدٌ منهم. أترضى لنفسِك أيها البطلُ أن تعيشَ عبداً؟

فصاح شدادٌ فى غيظٍ:

ـ أتقولُ لى ذلك؟

فقال عنترة: حاشاك أيها البطلُ أن تكونَ عبداً.

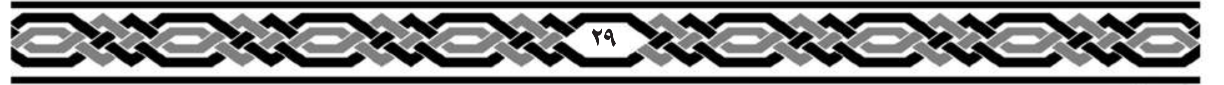
إنك لتكرهُ أن أقرنَ بين اسمِك وبين الرق فى كلمة واحدة، فكيف بى وأنا أرْغم على

---

(١) مولاه: سيده.

(٢) متبرما: ضائق الصدر.

(٣) تلج لجاجة: تلح إلحاحاً غير محمود.



أن أعيشَ كلَّ حياتى عبدًا ؟ هَبْك وقعت يومًا فى أسر أعدائِك فاتخذوك عبدًا، وجعلوا حولك الأغلالَ[١] كما فعلوا يوماً بمهلهل بن ربيعة أما كنت تؤثر أن تجاهدَ فى سبيل حريتك حتى تفوزَ بها أو تخرَّ[٢] صريعاً فى جهادِك؟ فإذا كنت أبى فإن دمك الحرَّ هوالذى يثورُ فى قلبى.

ـ فلانَ شدادُ، وقال عاتبًا:

إنك تُجرِّعُنى[٣] الغيظَ بما تُلقيه علىَّ من هذا القولِ الذى ينطلقُ إلى أذنى كأنه جمرٌ.

فقال عنترةُ فى رقةٍ:

ـ قلتُ لك إنى لا أحبُّ أن أغضبَك. فلا تَغضب على إذا دفعنى يأسى إلى مواجهتِك. لست أكرهُ أن توقعَ بى، وتضع سيفك فى صدرى. فتذهب عنِّى تلك الشجونُ التى تؤرقنى فى ليلى وتذلنى فى نهارى، وتجعل حياتى بغيضةً إلى نفسى، لستُ أكره أن أفارقَ الحياةَ على يديك فأخلص من هذه السبَّةِ التى يرددُها الناسُ كلما وقفتُ بينهم عند أولِ غضبةٍ يغضبونَها. فهم إذا عجزوا عن مفاخرتى بأنفُسِهم فَخِرُوا علىّ بآبائهم وقالوا لى يا بن زبيبةَ. ولو عرفتُ أبى لفاخرتُهم به، وأسندتُ إليه ظهرى. حتى أنت يا شدادُ إذا غضبتَ على قذفتنى بحمَمِك[٤] ، ودعوتنى عبداً وقد كنتَ جديراً بأن تكونَ أبعدَ الناسِ عن إذلالى إذا كنتَ أبى. فهل كذبتْ أمى فيما زعمته إذ قالت إننى منك؟

ـ فصاح شدادٌ فى غيظٍ:

ـ أما قلتُ لك أمسك لسانَك؟

ـ فمضى عنترةُ فى عنادٍ:

ـ لك أن تنكِرَ أبُوّتى، ولو فعلت ذلك لوجدتُ عنك مندوحة يا سيدى، فإنى أقدر على أن أضع السيفَ فى صدرى حتى يخرجَ من ظهرى، أقدر على أن أضربَ فى الأرض فلا يعرفُ أحدٌ مكانى، أقدرُ على أن أهيجَ فى الناس بسيفى ورمحى كما يثورُ الكلبُ العقورُ أو النمرُ الثائرُ. ولكنى لا أقدرُ على أن أدعَك تمضى عنى بغير أن تجيبَ عن سؤالى.فلابدَّ لك من إحدى خصلتين: إما أن تُقِرَّ بأبوتى وإما أن تنكِرَها.

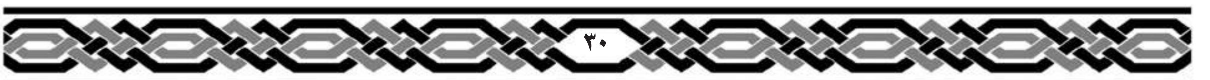
---

(١) الأغلال: القيود.

(٢) تخر صريعًا: تسقط قتيلا.

(٣) تجرعنى: تسقينى.

(٤) الحمم: الجمر.



وكان شدادُ مطرقاً فى أثناءِ هذا الحديثِ متردداً، فنظر إليه عنترةُ وطمع فى لينِه ومضى قائلا:

قل لى أيها البطلُ كيف أُقيمُ فى قومٍ أقاتلُ أعداءهم، وأحاربُ فى غزواتهم، وأحوزُ الغنائمَ من أجلهم، وأنا فيهم لا أزيدُ على أن أكونَ عبداً مسخرًا؟ أأفعل ذلك مأجورًا بطعامى وشرابى؟ أيكون سيفى جديرًا بأن يصاحبنى؟

وهل أرضى لنفسى أن أكونَ عبداً لك تملكنُى كما تملكُ هذه الإبلَ وهذه الخيلَ؟ أأرضى بالذلِّ فى نفسى، وأنا قادرٌ على حمايةِ غيرى؟ لئن كنتُ قادراً على أن أمنعَ حرَمكم، وأذودَ[1] عن حريتكم فإننى لأشدُّ الناس عقوقًا[2] لنفسى إذا كنت أحفظ كرامتكم وأهدر كرامتى.

ـ فرفع شدادٌ رأسَه وقال:

ـ أتمُنُّ علينا بحمايتِك؟

ـ فأجاب عنترةُ:

لستُ أَمُنُّ عليك،ولا على أحد بحمايتى.. ولكنى أقولُ الحقَّ الذى لا تستطيعُ أنت أن تنكرَه إننى أغزو وأتقدمُ الصفوفَ؛ لأقتحمَ جيشَ العدوِّ أولَ الناسِ لتسيروا ورائى. وإنى لأجروُ على لقاءِ كل فارس يتحاماه[3] الأبطالُ من سادتِكم، وإنى لأغنمُ الغنائمَ لكى تقسموها بينكم، فإذا مننتُم علىَّ بجزءٍ منها جعلتم لى نصفَ سهمٍ ورأيتم فى هذا فضلاً واعترافاً بحقى،إنى لأبذلُ ما فى يدى تكبرًا عن المال إذا حرص عليه كِرَامُكم، ولستُ أريدُ بهذا القولِ منًّا ولا فخرًا بل هو الحقُّ الذى تعرفُه، فإذا كان هذا يغضبُك فقل لى إنك غاضبٌ منه، فلا أعودُ إلى ذكرِه، وحسبى أن أباعدَ بينى وبينكم، فلا أكلفُكم من أمرى مشقةً.. ولكنى أحبُّ منك أن تجيبَنى عما سألتُ فإما أن تنكرَنى وإما أن تعترفَ بى.

وكان شدَّادُ فى أثناءِ هذا القولِ مطرقاً وقد وضع رأسه بين يديه صامتاً، فقام عنترةُ ووضع يده على كتفهِ فى رفقٍ وقال لهِ:

ـ أما زعمتَ مَرَّةً أنك أبى؟ لقد حدثتنى أمى فى ثنايا قصتها أنك اعترفتَ بى يومًا إذ طمع أحدُ بنى عبس فى أن يحوزَنى، فمنعتنى[4] وقلتَ إننى ابنُك. ألم تقل ذلك يومًا

---

(١) أذود: أدافع.

(٢) عقوق النفس: ترك الإحسان إليها.

(٣) يتحاماه: يتحاشاه.

(٤) منع: حمى.

يا سيدى؟ أما كدتَ تقاتل أبناءَ عمك عندما أرادوا أن يدَّعونى؟ كذِّب هذا إذا شئت بل كذب نفسَك إذا استطعت أن تقولَ كذباً.

وما كاد شدادٌ يسمعُ هذه الكلمةَ حتى رفع رأسَه ووثب قائما ولمس مقبضَ سيفه، وقال فى صيحةٍ عنيفةٍ:

ـ أتقولُ لى هذا القولَ أيها العبدُ الشقىُّ؟ وحق مناة واللات والعزى ما صبرتُ على أحرِ صبرى عليك، وأنتَ الليلةَ تقَرعنى[1] وتعنِّفنى. ولستُ أدرى ما الذى يمنعُنى من سفِك دمِك أيها العاقُ الجاحدُ؟ فهل أطمعك حلمى عنك؟ أو قد غرك أننى وقفتُ[2] دونك وأنت تشمخُ بأنفِك على سادتِك؟ إنها لنقيصةٌ أحسُّها فى نفسى أن أرقَّ لك كلما هممتُ بأن أغمدَ هذا السيفَ فى أحشائك.

فنزع عنترةُ سيفَه ورماه بعيداً عنه، وفتح جيبه[3] فكشف عن صدرِه الواسعِ وقال بصوتٍ أجشَّ:

ـ هَلُمَّ [4]فاغمد سيفَك فى صدرى، ولا تكتم غضبَك علىَّ، فإنك إن فعلتَ خفَّفت عنى ثقلَ ما أحملُ فى هذه الحياةِ. بل إنى أحرضُك على قتلى، فلستُ أريدُ أن أحيا فى العبوديةِ التى تريدنى عليها. أقتلنى وأنت هادئ النفسِ، لأنك تُريحنى من شقائى. فأدار شدادٌ عينيه عنه، وعاد إلى الصخرةِ فجلسَ عليها صامتاً وهو يلهثُ مما فى صدرِه من الغيظِ، وبقى حيناً ساكناً ثم تحركَ وقال بصوتٍ فيه رنة العتاب:

ـ ألا تعلمُ أن هذا الأمرَ لا أملكُه وحدى.

ـ فصاح عنترةُ كمن أصاب انتصارًا:

إذًا فأنت تعترفُ بى، فقال شدادٌ فى حزنٍ:

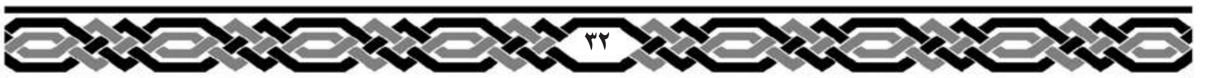
لستُ أنكرُ أنك ابنى.. فصاح عنترةُ فى حماسةٍ:

ـ لقد قلتَها، هذا حسبى منك يا أبى. قل ما شئتَ بعدها، وافعلْ ما بدا لك. فأنت أبى.

ـ وذهب إليه فمالَ على رأسِه فقبله.

ـ فقال شدادٌ فى حزن:

(١) تقرع: توجع باللوم والعتاب.
(٢) وقفت دونك: حميتك.
(٣) جيب القميص: طوقه.
(٤) هلمَّ: اسم فعل يلزم لفظاً واحداً بمعنى تعالَ.



.. لقد علمتَ يا عنترةُ أننى آثرتُك منذ كنتَ طفلا. وحنوتُ عليك، وآمنتُ إليك. ولقد علمتَ كيف كنتُ أعادى أعداءك حتى كاد قومى ينبذوننى، وكيف وقفتُ دونك حتى باعدنى إخوتى وبنو عمومتى. ولكنى إذا اعترفتُ بك على ملأ الناس لم يرضَ أحدٌ منهم بك، ورأوا أننى ألحقت بهم المعرة بانتسابك.

- فقال عنترة:

- أتكون المعرَّة أن تنسبَ إليهم عنترةَ؟

- فأطرقَ الشيخُ واجماً ووضع رأسَه بين كفيه، وقال:

- أمهلنى يا عنترةُ حيناً ولا تقسُ علىَّ. أمهلنى حتى أمهِّدَ لأمرى، وأتوسلَ إلى قصدى. ولن أفرطَ فيك أبدا فقد عجز الأحرارُ عن ولادة قرينِك.

- فقال عنترةُ فى نغمةٍ ساخرة.

- فأنا إذًا عنترة العبدُ حتى يرضى كل هؤلاء.

- فقال شداد:

- تَريَّثْ[1] بى حتى أحملهم على رأيى. تريث يا عنترةُ ولا تَعدْ بى إلى حديثك هذا، وتعال أحدثك الساعةَ عن أمر كنتُ أودُّ أن أبدأ به فى حديثك.

فقال عنترةُ فى حَنَقٍ[2].

- وما شأنى بالأحاديثِ يا سيدى؟

- فقال شدادٌ:

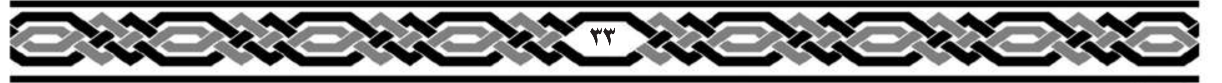
- إنه حديثٌ كنتُ أحبُّ أن أفضىَ به إليك:

- فقال عنترةُ فى صرامةٍ:

- لأكونن العبدَ حقّاً إذا رضيتُ أو سمعتُ شيئا أما وقد أبيتَ يا سيدى إلا أن أبقى عبداً حتى يرضى قومك، فلن أكونَ لك إلا عبدا، سأعتزلُ هذا الحىَّ، وسأقنعُ منك بما تعطى. سأذهب إلى مراعيك لأسوقَ إبلك وأرعاها. سأبعدُ عن الناس فلا أجالسُ الأحرارَ أبداً، وسأبعدُ عن الحروبِ فلا أحملُ سيفًا ولا رمحاً. ولكننى عرفتُ أنك أبى؛ فليس لى أن أتهمَ زبيبةَ أمى. وسأرضى عن حياتى، فلن أطعنَ قلبى بيدى. سأبقى حيا فإن لى أملا

(١) تريث: تمهل.

(٢) حنق: غيظ.



لايزالُ يحملنى على الحياة، ولن أحسَّ بعد اليوم ذلا فى قرارةِ صدرى فأنا عنترةُ بنُ شداد بن قراد.

ـ وأخذ سيفه ورمحَه فى هدوءٍ فقال له شدادُ:

ـ أذلك الذى أسمعُه عنترة؟

فصاح عنترةُ: نعم هذا عنترةُ العبدُ. هذا عبدُك يا شدادُ بن قراد، سأذهب إلى البريةِ لأرعى إبلَك، وأحلب نياقك، وأدفعَ الذئبَ عن غنمِك، سأجعل رمحى عصا أسوقُ بها الإبلَ، وسأجعل سيفى حليةً أزينُ بها صدرى، فلا شأنَ لى بالغزوِ بعد هذا، ولا ينبغى لى أن أقفَ بين الأحرارِ.

وإذا بدا لك يوماً أن تناديَ عنترةَ فلا تدعُه إلا لكى يحملَ لك وعاء اللبنِ، أو لكى ينحرَ لضيفِك جَزورًا[1]، وستجدنى لك كما شئتَ عبدًا خاضعًا. لن أردَّ قلبى عن محبتك: لأنه لا ينكُر أبوتَك. سوف أكونُ عبدَك، أخفى عنك طربى وغضبى، وسوف أديرُ عينى إذا نظرتَ إلىَّ حتى لا تلمحَ وميضَ حقدى، ولا أجهرُ بذات نفسى تحتَ سمعك. ولا أتحدثُ عنك إلا من خلف ظهرك، فإذا قربتَ منى فلن تسمع منى إلا ألفاظَ الوفاءِ والولاءِ.. هذه شيمُ العبدِ، فلا تَنتظرْ منى سوى شيم العبدِ، واقنع بهذا منى يا بطلَ عبس وكريمها! يا سيدى شداد بن قراد. هـأنذا أخضعُ لك، وأدعو مناةَ أن تحفظَك من سيوفِ الأعداءِ وهـأنذا أقبِّلُ قدميك تذللاً ومهانةً.

ولما قال عنترةُ هذه الكلمةَ أهوى إلى قَدَمَى أبيه فجأةً فقبلهما. ثم نهض مسرعاً، وذهب كأنه يهربُ من عدو، حتى اختفى وراءَ التبةِ، وخرج نحو الصحراءِ، وجلس شدادٌ ينظرُ فى أعقابه مدهوشًا، ونورُ البَدْرِ الساطعِ يُخَيِّل إليه أنه يهيم فى حلمٍ ثقيلٍ.

* * * *

---

(١) جزورا: ما يصلح لأن يذبح من الإبل.





١ ـ «لم يدر عنترة حقيقة ما كان يقصد بذهابه إلى زحمة العيد، فقد كان كل ما في ذهنه، وكل ما في قلبه غامضًا خافيًا مضطربًا.»

(أ) أى عيد يحتفلون به؟ وكيف كانوا يحتفلون؟

(ب) ما قيمة عطف «وكل ما فى قلبه» على ما قبلها؟

(جـ) كان سبب ذهابه إلى مكان العيد:

- لينشد أشعاره.
- لأن صورة عبلة تجذبه.
- لأن زحمة العيد تشغله عن التفكير فى آلامه.
- لأنه يريد أن يلقى شدادًا.

رتب هذه الأسباب حسب أهميتها بالنسبة لعنترة.

(د) علل لما يأتى:

- غرس عنترة الرمح فى الرمال بقوة.
- ابتسام عبلة له وعدم ابتسامه لها.
- جلس الملك على تخت منصوب وحوله الأمراء والشيوخ.
- عدم حدوث قتال بين عنترة وعمارة.

٢ ـ إننى لا أستطيع يا سيدي أن أنكر فضلك، فأنت فارس عبس وشيخها وأنت ملاذ الخائف، ومطعم الجائع، ومكرم الضيف، وناصر الضعيف، وقد حدثتنى أمى عنك طويلاً منذ كنت طفلاً».

(أ) (ملاذ ـ الجائع ـ الضعيف)

هات مرادف الكلمة الأولى، ومضاد الثانية، والجمع من الثالثة، وأدخل كل ما تأتى به فى جملة.

(ب) تظهر الفقرة لباقة عنترة، ودقة حديثه وضح.

(جـ) بم حدثته أمه؟ وما علاقة هذا الحديث بموقف عنترة؟

(د) بم أحس عنترة عندما أخبرته أمه بأنه ابن شداد؟



(هـ) سأل عنترة شداداً: أعبدك أنا أم ولدك؟ ماذا كانت الإجابة؟

(و) ذكر شداد بعض أفضاله على عنترة فما هى؟ وما هدفه من ذلك؟

٣ ـ لخص الحوار الذى دار بين عنترة وشداد. ثم بين الموقف الذى وصل فيه إلى قمة الانفعال.

٤ ـ أى الحجج كانت أقوى؟ حجج عنترة أم حجج شداد؟ ناقش ووضح.

٥ ـ قال عنترة فى إحدى قصائده:

يخبرك من شهد الوقيعة أننـــى أغشـى الوغى وأعفُ عند المغنم

اذكر الموقف الذى يتفق ومعنى هذا البيت.

٦ ـ «كذب نفسك إذا استطعت أن تقول كذبًا»

قال ذلك عنترة لشداد، ما أثر ذلك عليه؟

وكيف قابل عنترة تهديد شداد؟.

٧ ـ قال شداد: «تريَّث بى حتى أحملهم على رأيى. تريث يا عنترة، ولا تعد بى إلى حديثك هذا، وتعال أحدثك الساعة عن أمر كنت أود أن أبدأ به فى حديثك».

(أ) هات معنى تريث فى جملة.

ـ وضح المقصود بقوله أحملهم على رأيى.

ـ هل استجاب عنترة لأمر شداد؟ ولم؟.

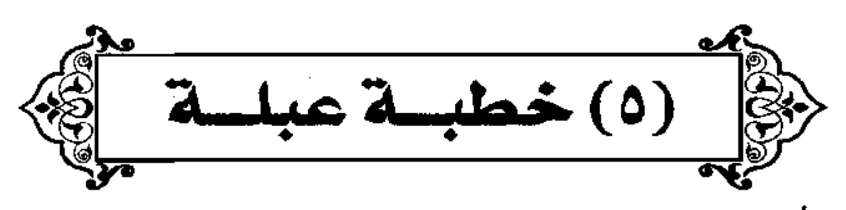
(ب) لماذا قرر عنترة أن يظل عبداً؟

(جـ) حدد عنترة الأعمال التى سيقوم بها فما هى؟ وعلام تدل؟

(د) استخرج من العبارة السابقة: منادى وأعربه ـ خبرًا جملة ـ مصدرًا مؤولا وحوله إلى صريح.

٨ ـ ما الموقف الذى أعجبك فى هذا الفصل؟ علِّق عليه.

* * * *



(٥) خطبة عبلة

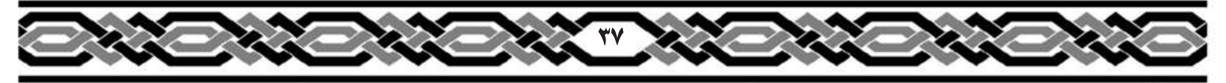
خرج عنترةُ من الشعْبِ هائمًا على وجهه لا يدرى أين يذهبُ، ولم يلتفتْ إلى ناحيةِ الحىِّ كأنه كان يكرهُ أن تقَع عينهُ على الحِلَّةِ التى تضم الذين يناصبونه العداءَ، ويضمرون له الحسدَ، ويتنكرون له. ولكنه تذكرَ عبلةَ التى ناط[١] بها أمله، وعلق عليها كلَّ سعادته، فكانت صورتُها تَمْثلُ أمامه بعيدةً عنه بُعْدَ النجم عن السارى[٢] فى الصحراءِ. ومضى فى سبيله تحت نورِ البدرِ الكاملِ، تسوقُه قدماه إلى حيثُ يبعدُ عن الموطنِ الذى لا يجدُ فيه إلا الهوانَ والغيظَ والظلمَ، وإن كان لا يدرى إلى أين يذهبُ فى تلك الأرضِ الواسِعَةِ، التى كانت تبدو أمامه ممتدةً إلى غير نهايةٍ، ولا يسمعُ فى الليلِ الساكنِ صوتاً سوى صفيرِ بعضِ حَشَرِ الأرض، أو نُباحِ كَلبٍ عند بيتٍ منعزلٍ فى وادٍ بعيدٍ.

وكان يخيلُ إليه مع هذا السكونِ أن يقتحمَ زحامًا شديدًا صاخبًا مضطربًا لما كان فى قلبه من ثورةٍ عنيفةٍ. ومازال يضرب فى شعابِ الصحراءِ تلك الليلةَ يسرعُ فى خطاه ويطعنُ الأرضَ برمحِه فى حنَق مع كل خطوةٍ يخطوها، حتى طلع عليه الفجرُ وهو مشرفٌ على الوادى الفسيحِ الذى كانت إبلُ شَدَّاد ترعى فيه. لطالما أقام فى ذلك الوادى منذ نشأ، فكان فيه ملعَبُه ومركبُه، وفيه موضعُ لهوه وأسمارِه. كان عنترةُ منذُ نشأ يرعى إبل شدّاد فى ذلك الوادى مع سائرِ العبيدِ، يصارعُهم ويسابقُهم، ثم كان فيه وهو فتى يبارى أصحابه، ويطاردُهم على متونِ الخيلِ. ففى تلك الأرضِ عرفَ أولَ ما عرفَ من الحياةِ، وفى تلك الأرض شهدَ أولَ ما شهدَ من مباهجِها، وأحسَّ أولَ ما أحسَّ من همومِها، لقد كانت مناظرُ ذلك الوادى الفسيحِ منذ صباه تحرِّكُ قلبَه وتملؤه بهجةً. وكانت مراعيه فى الربيع تبعثُ فيه النشوةَ، وتوحِى إليه بالغناءِ، وكان كلما ضاق صدرُه لا يجدُ ما يفرجُ كربتَه إلا أن يلجأَ إليه، فيجدُ فى براحِه وجمالِه وعزلتِه ما يعيدُ إليه اطمئنانَه، ويردُّ عليه ثقتَه بنفسه.

---

(١) ناط: علَّق.

(٢) السارى: السائر ليلا.



ومنذ عاد إلى ذلك الوادى العزيز أقبل عليه يجولُ فى أنحائِه، يجدُ أكبرَ العزاءِ فى صحبةِ الإبلِ والخيلِ، وفى الخروجِ إلى صيدِ الوعولِ[1] والظباءِ، أو الإيقاعِ بالذئابِ والضباعِ، ونسى أو كاد ينسى أرضَ الشربة حيث خلفَ قومَه من عبس فى حِلَّتِهم المضطربة بالأهواءِ، لولا خطرةٌ كانت تخطرُ على قلبه من عبلةَ، فيحاولُ أن يبعدَها عن خيالِه، فلا تزالُ تعاودُه حتى تغلبَه فيسبحُ مع الصورةِ الحبيبة فى عالمٍ حزينٍ يخيم اليأسُ عليه.

هكذا قضى أيامَه ولياليه هائمًا فى النهارِ بين الشِّعاب، سابحًا فى الليل بين الشجونِ، وهو فى كل لحظة تمرُّ به يزدادُ حقداً على قومِه الذين يزدرونه[2]، وعلى أبيه الذى يظلمُه وينكرُه ويأبى أن ينسبَه إليه مع أنه يعترفُ ببنوتِه.

وكان فى صباح يومٍ من الأيامِ راكباً على فرسِه، يملأُ صدرَه من هواءِ الربيعِ العليلِ، وكانت الشمسُ الباسمةُ ترسلُ شعاعَها رفيقاً فوق المروجِ الخضراءِ. وكانت السحبُ تزيِّنُ السماءَ بقطعٍ بيضاءَ كأنها قطيعٌ من وعلٍ[3] نجد العصماءِ، وكان العَرارُ[4] يبسم بنَوره[5] الأبيضِ ويبعثُ مع النسيمِ نفحاتِه العطرة.

وكان كلما وقعت عينُه على منظرٍ أنيقٍ تذكرَ عبلةَ، ونازعته نفسُه أن ينزلَ عن كبريائِه، ويعودَ إلى الحِلة أو يُلِمَّ بها إلمامةً قصيرةً، لعله يفوزُ بنظرةٍ منها أو ينعمُ لحظةً بسماعِ صوتها.

وسمع فى سيره وقعَ حوافرِ فرسٍ يأتى من ورائه مسرعاً. فانزوى فى ركن من جانبِ الوادى ليرى من يكونُ ذلك، فرأى بعد حين أخاه شيبوب يقصد الربوةَ التى اعتاد أن يجلسَ فوقها مشرفًا على الوادى.

فهمزَ فرسه وانطلق نحوه وكان لا يتوقعُ مجيئه، ووقع فى نفسه أنه آتٍ إليه بشىءٍ خطيرٍ. ولما صار قريبًا منه ناداه فى لهفةٍ:

- مرحبًا بك يا شيبوبُ.

ثم وثبَ عن ظهرِ الفرسِ وفتح له ذراعيه.

فأقبل إليه أخوه شيبوبُ وعانقه فى شوقٍ ثم قال له:

- إلى أين كنت سائرًا؟

---

(١) الوعول: الشياه الجبلية.
(٢) يزدرونه: يحتقرونه.
(٣) الوعل: نوع من المعز الجبلية.
(٤) نبات طيب الرائحة.
(٥) نور: زهر.

فقال عنترةُ:

ـ لستُ أعرف لنفسى غايةً أقصد إليها. فيم جئت أنت؟ فتبسم شيبوبُ وقال:

ـ إنما جئتُ لأراك.

فنظر إليه عنترةُ فى شكٍّ وقال:

ـ إن وراءك لأمرًا.

فقال شيبوبُ ولا يزال باسما:

ـ إنك لتحس ما فى نفسى قبل أن أنطقَ به. صدقت فقد جئت إليك بحديثٍ.

وسكت لحظةً ثم قال:

ـ كان الحي بالأمس يزخرُ[1] بمن فيه.

فقال عنترةُ فى صيحةٍ مكتومةٍ:

ـ فهل من جديدٍ؟

فقال شيبوبُ:

ـ ونحرَ مالكُ بنُ قراد عشر جُزرٍ[2].

ثم سكت.

فصاح عنترةُ:

ـ امضِ، وما قصةُ هذه الجُزر؟

فقال شيبوبُ:

ـ كانت وليمةً عظيمةً لعمارةَ بنِ زياد.

فصاح عنترةُ فى صوت مخنوق:

ـ عمارةُ بن زياد!

فقال شيبوب:

ـ ذهب عمارةُ يخطبها.

وكأن شيبوبَ ألقمه بهذا اللفظ حجرًا. فلم ينطق عنترةُ بجوابٍ بل وقف ينظرُ إلى الفضاءِ مبهوتا.

فقال له شيبوبُ فى رفق:

ـ املك نفسَك يا عنترةُ. لقد كنتُ من قبل أحدثك فى خفة وفكاهة؛ لأننى أعرفُ كبرياءك ولا أحبُ أن أثيرَها. ولكنى آت إليك اليومَ لأحدثَك جدًا، فإنى لا أرى مجالاً لخفةٍ ولا فكاهةٍ. أحبُ أن أحدثَك حديثاً يقطرُ جدًا.

فأطرق عنترةُ ساهماً وجعل يخرقُ الأرضَ برمحِه كعادتِه.

---

(١) يزخر: يموج.

(٢) جزر: جمع جزور، وهى الناقة.



فقال له شيبوبُ:

ـ إذا شئتَ مضيتَ معي إلى ناحيةٍ فإني متعبٌ من الركوب.

وذهب نحو جانب كثيب فمهد لنفسه مجلساً، وذهب عنترةُ وراءه يسير بطيئاً. فلما اطمأن بهما المجلسُ قال شيبوبُ:

ـ هذا مالك بن قراد يريدُ أن يختار لابنته زوجاً. وهو من هؤلاء العربِ الذين تعرفُهم. فلا مفرَّ لهم من أن ينظروا إلى الناسِ بأعينهم لا بأعينِ غيرِهم. وقد جئتُ أسعى إليك بهذا النبأ قبل غيرى حتى لا تركبَ الشططَ[1] فى أمرِك.

فقال عنترة:

ـ وأى شططٍ تعنى؟

فقال شيبوب: لقد عرفتُ أنك سوف تكرهُ فعلَ مالك. وأنك قد تطيعُ هذا الوهمَ الذى يضلُّ بك فتحسب أنه قد يرضى بك لابنته زوجاً.

فقال عنترةُ فى صوت أجش:

ـ دع ذلك وقل لى ما تريدُ أنت.. لا تحدثنى عن نفسى.

فقال شيبوبُ:

ـ لم آجئ إلا لأحدثَك عن نفسِك، وإنى أعيدُ عليك ما قلته لك مَرَّةً بعد مَرَّةٍ. إنك تخدعُ نفسَك يا ابنَ أمى وتجرى وراء سرابٍ تريدُ أن تروى به ظمأك. فهل لك أن تفكرَ فى أمرِك وتحكمَ فى الأمورِ بعقلك؟

فأطرق عنترةُ حزيناً ثم قال:

ـ إنك تريدُ أن أحكمَ بعقلى وأن أفكرَ فى أمرى، تريدُ أن أعترفَ بأننى عنترةُ العبدُ الذى لا يليقُ به أن يتطلعَ إلى عبلةَ.

فقال شيبوبُ فى رقةٍ:

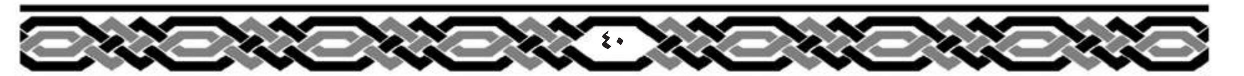
ـ إنك بغير شكٍّ فارسُ عبس، وإنك لجديرٌ بأن تكونَ سيدَها، ولستَ أولَ رجلٍ ظلمته الحياةُ.

فانتفض عنترةُ قائلاً:

ـ وما لى أرضى بظلم الحياةِ يا شيبوبُ؟ وما الذى يقيدنى حتى أقيمَ على الخَسف[2]، وأرضى بأن أبقى عبداً؟ وما الذى يحملنى على أن أحكمَ بعقلِك أنت فى أمرى؟ ليس الذى تريدُ منى حكَم عقلى أنا يا شيبوبُ بل هو حكمك. أما أنا فإنى لن أرضى لنفسى إلا أن تكونَ حيث ترضى.

---

(١) الشطط: المخاطر. (٢) الخسف: الذل، الظلم.



فقال شيبوبُ هادئاً:

- وماذا تملكُ يا أخي؟ هل تملكُ أن تحجرَ على مالك حتى لا يزوجَ ابنته بمن شاء؟

فصاح عنترةُ:

- ولكني أحبُّ عبلةَ. أحبها حبًّا ملك عليَّ عقلي فلا أفكر إلا فيها، ولا أحيا إلا من أجلِها. لقد قنعت أول الأمر بالرِّقِّ؛ لأنني كنتُ قريباً منها، ولقد رفضت اليومَ ذلك الرقَّ؛ لأنه يبعدُني عنها. أحبُّ عبلةَ حبًّا لا يستطيعُ مالكٌ ولا غيرُ مالكٍ أن ينزعَه من بين ضلوعي، ولن يستطيع أحدٌ أن يجعلني أرضى بأن يتزوجَها غيري.

فقال شيبوب:

- إذًا فحدثني ماذا أنت فاعلٌ، لتحولَ بين مالك وبين رضائِه بعمارة؟

فقال عنترةُ في حرارةٍ:

- لستُ أدري بم أحدثُك يا شيبوبُ؟! فأنت تذكرُني بكلِّ آلامي وكلِّ شقائي. تذكرُني بأني لا أزيدُ على أن أكونَ عبدًا ولا أستطيعُ أن أمحوَ صورتي التي تقَع في عيونِ قومي.

تذكرُني بأنني لن أجِدَ أباً ينصرُني ولن أجدَ نسباً يمهدُ لي سبيلي. بل إني لن أجدَ المالَ الذي يعينني على بعضِ أمري، ولكني يا شيبوبُ مع هذا كلِّه أملكُ شيئاً واحداً وهو نفسي التي لا ترضى، وسأكون في الموضع الذي أرضاه وإن كان ذلك قسراً[1] إنك تحدثني عن مالك، وعن قومي، فلم لا تحدثني عن عبلة نفسِها. إنك لم تعرفْ حقيقةَ نفسِها كما عرفتُها، فلا تواجهني بهؤلاء فلستُ أعرفُ منهم أحداً. وإنما أحبُّ عبلةَ وأعرفها.

فقال شيبوبُ في عنادٍ:

- أتحسبُها ترضى بك، وتدعُ عمارةَ بنَ زياد؟

فتحرك عنترةُ في غيظٍ وقال:

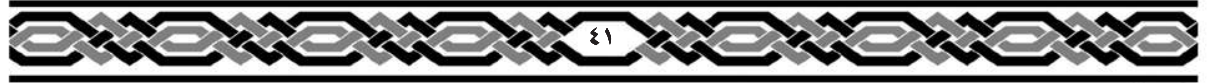
- إنك تتحدثُ كأنك أحدُ أعدائي.

فقال شيبوبُ في رقةٍ:

- لا تَذهبْ بك الظنونُ يا عنترةُ مذاهبَها. فإنك تعرفُ مقدارَ حبي لك وحرصي على خيرِك. ودع عبلةَ، وقل لي، أتحسبُ مالكًا يزوجُ ابنته لك، ويدعُ عمارةَ بن زياد؟ ولو كان أبو عبلةَ غيرَ مالكٍ، أتحسبُ أنه يفعلُ هذا؟ إنك لن تجد أحداً غيري يحدثُك بمثلِ قولي، ولكني لا أحبُّ أن أكتمَ عنك ما في نفسي.

---

(١) قسرًا: قهرًا.



وكان عنترةُ يحاولُ أن يمسكَ غَضبَه، ولمح شيبوبُ علامات ذلك الصراعِ بينه وبين نفسه، فقال له في عطف:

ـ لا تحنق عليّ لما أقول يا أخي، إني أشد حرصًا عليك مني على نفسي. ولو كان الأمر لي لعرفت أن قدرَك أعلى من كل قدر. فأنت عندي أكرمُ من هؤلاء جميعاً، وأشهم نفسا. وإنك لحامي حماهم، وسيدُ فرسانهم، وأنت أجملُ عندي من أجملهم.

فقال عنترة وقد ألانه قول أخيه:

ـ لستُ أشك في مودتك وحرصك على خيري، لقد صدقت إذ قلت إن مالكاً لا يلامُ على رضاه بعمارةَ زوجاً لابنته، ولو كنت في مكانهِ لما رضيتُ إلا بما يرضي، ولكن ما بالُ قلبي وعبلة؟ إنني أحبها ولا أقدرُ أن أحيا بغيرها، ولو ذهبت لغيري لكان في ذلك قتلي. فليس لي إلا أن أركبَ الوعرَ[١]، وأن أقدمَ على كلِّ خطر، إذ ليس في كل ذلك إلا الموتُ، وهو في كلِّ حالٍ ينتظرني.

وصمت لحظةً ثم قال:

ـ وما بال شدادٍ يأبى عليَّ كرامتي؟ لقد علمتُ أنه أبي. لقد قالها لي منذ يوم مناة.

فقال شيبوبُ:

ـ ألقيتَه في ذلك اليوم؟!

فقال عنترة:

ـ نعم لقيتُه، ثم خرجتُ بعد أن قضيت معه صدرَ الليل.

فسكت شيبوب حينا ثم قال:

لقد كنت يومَ مناة عنيفًا.

فقال عنترةُ فاترًا:

ـ وما الذي لم يعجبك من أمري؟

فقال شيبوبُ:

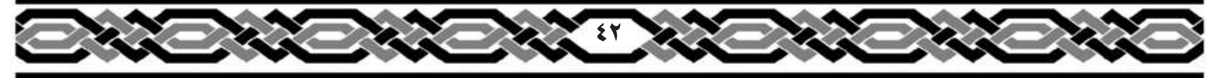
ـ أما تذكرُ ساعة وقفت أمام عبلة؟ أما تذكر كيف نظرت إليها وكيف نظرت إليك؟ أما تذكر أنها سكتت عن الغناء، وكيف خيم الصمت على الجميع في الميدان؟

فقال عنترة:

ـ أذكرُ ذلك كلَّه يا شيبوبُ كأنني ما أزالُ فيه، ولكن ما بالك تذكرُني بهذا؟

---

(١) الوعر: الصعب.



فقال شيبوبُ:

ـ أذكرُك به لأنني سمعتُ حديثَ الناس في جهرِهم وهمسِهم. سمعتُ ما قالوه على الملأ وتجسستُ على ما قالوه في الخفاءِ. لقد باتتْ عبس تتحدثُ عنك وعن عبلة، ومازالت تتحدث عنك وعن عبلةَ. لقد كانوا من قبلُ يسمعون شعرك فيقولُ بعضُهم «هذا في عبلةَ» ويقول بعضهم «هذا في غير عبلةَ». ويزعمُ آخرون أنه من عبثِ الشعراءِ. ولكنك في ذلك اليوم قلت للجميع «إنها عبلةُ، إنها عبلةُ».

فأطرق عنترةُ حتى ظن شيبوبُ أنه قد قسا عليه فقال:

ـ ولكني بعدتُ بك عن مسيل القول يا عنترة. قل لي كيف حدثت شدادًا يومَ مناة؟

فقال عنترة فاترًا:

ـ حدثته واعترف بي.

فقال شيبوب:

ـ ولكن أتحسبُ أنه ينصفُك؟ أتحسبُ أنه يعترفُ بك على ملأ عبس؟

فقال عنترةُ:

ـ لئن لم ينصفني وأنا ولدُه لكان لي ظالماً.

ثم جعل ينكتُ الرمل برمحه في حَنَقٍ.

فقال شيبوبُ:

ـ أراك لا تدع هذا الوهم وإن كلفك ركوبَ كلِّ وعر.

فقال عنترةُ:

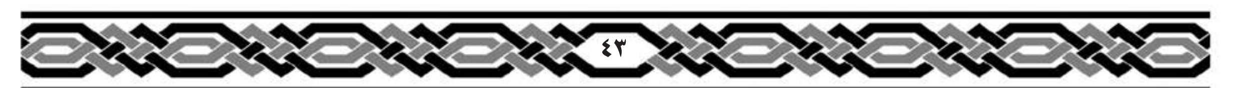
إذا كنتُ بين قوم لا ينظرُ كلٌّ منهم إلا إلى نفسِه فلا حرجَ على إذا نظرتُ إلى نفسي. إن هؤلاء يدعونني إذا اشتدت حولهم الكروبُ، ويلقون إليّ بالسيف، لأحمي حِماهم. فلأحاربنهم بهذا السيفِ انتصافاً لنفسي. لأحاربن شداداً إذا ضن على باسمي، ولأحاربن مالكاً إذا وقف بيني وبين حبي. ولأحاربن عمارة إذا تجرأ على أن يسلبني حياتي، لأحاربن لأحاربن!

وصمت لحظةً ثم وثب قائماً وقال:

ـ هلم يا شيبوبُ فإني عائدٌ إلى الحيِّ معك. إنني لن أطيقَ البقاء هنا.

ولم يستطع شيبوبُ أن يعيدَ عليه القولَ فقد انطلق بجوادِه ولم يجد شيبوبُ بداً من أن يركبَ ويلحقَ به عائداً إلى منازل عبس.

* * * *



أسئلة الفصل الخامس
خطبة عبلة

١ ـ «هكذا قضى أيامه ولياليه هائمًا فى النهار بين الشعاب سابحًا فى الليل بين الشجون، وهو في كل لحظة تمر يزداد حقداً على قومه الذين يزدرونه وعلى أبيه الذي يظلمه وينكره، ويأبى أن ينسبه إليه مع أنه يعترف ببنوته».

(أ) تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يلي:

ـ معنى كلمة «هائمًا»: (لا يعرف وجهته ـ مسرعا ـ محبا).

ـ مفرد كلمة «الشعاب»: (شَعْب ـ شَعُوب ـ شِعْب).

ـ مضاد «يزدرونه»: (يسبونه ـ يحترمونه ـ يحاربونه).

(ب) لِمَ كان عنترة يزداد حقدًا؟ وكيف صورت العبارة حيرته؟

(جـ) كانت مناظر ذلك الوادى تحرك قلبه، وتملؤه بهجة فلماذا؟

(د) تخير الأسباب المناسبة لمعاناة عنترة مما يلى:

حبه عبلة ـ حقده على عبس ـ ظلم شداد له ـ احتياجه للمال ـ إدمانه الخمر ـ طرده من القبيلة.

٢ ـ كيف استقبل شيبوب؟ وبم حدثته نفسه عن مجيء شيبوب؟

٣ ـ قال عنترة لأخيه شيبوب:

«لست أشك في مودتك... لقد صدقت إذ قلت إن مالكاً لا يلام على رضاه بعمارة زوجاً لابنته، ولو كنت فى مكانه لما رضيت إلا بما يرضى، ولكن ما بال قلبى وعبلة، إننى أحبها، ولا أقدر أن أحيا بغيرها، ولو ذهبت لغيرى لكان فى ذلك قتلى».

(أ) هات ما يلى ثم ضع ما تأتى به فى جملة .

ـ هات مرادف: « مودة » ومضاد «رضيت» .

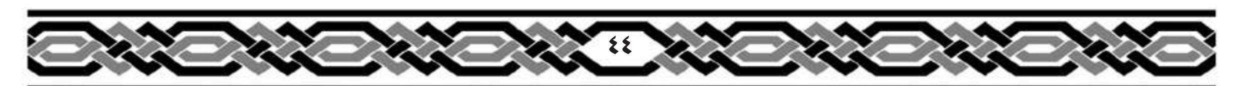
(ب) ما مدى صدق عنترة فيما يقول؟

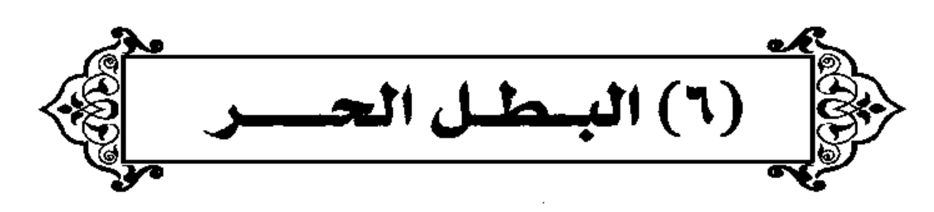
(جـ) علام صمم عنترة؟ وما حجته فى ذلك؟

(د) قال عنترة: «إننى لن أطيق البقاء هنا»

أيتفق هذا القول مع حبه لهذا الوادى؟ ناقش وعلل.

* * *





(٦) البـطـل الحــــر

أوقد عنترةُ فى الحِلَّةِ نارَ الشحناء[١] منذ عاد إليها. فما كان يمرُّ به يومٌ بغير أن يثيرَ خِصاما، وأن يهيجَ قتالا بينه وبين آل عمارةَ بن زياد، وخرجت عبس لقتال طيىء فلم يَخرجْ معهم، وسارت عبس مع الملكِ زهير بن جذيمةَ، فلم يتركوا فى الحيِّ إلا طائفةً قليلةً لحراسةِ المنازلِ، وكان أميرُ الحاميةِ شدادَ بنَ قراد.

ورأى عنترةُ الفرسانَ،وهم يخرجون من الحى متجهين إلى أرض طيئ، وكان قلبُه يثورُ عليه، ويتحرقُ من القعودِ عن القتالِ ولكنه مع ذلك قاوم ميله، وأصر على البقاءِ تشفياً[٢] من قومِه الذين لا ينصفونَه، ولا يزيلون عنه وصمةَ الهوان. فكان يخرجُ كلَّ يوم يجولُ فى الصحراءِ، ليفرجَ عن نفسه كربتها، ثم يعودُ فى المساءِ إلى خيمتِه، ليقضىَ بها الليل، فتضيقُ نفسُه وحشةً وكربًا، فيخرجُ إلى الفضاءِ فى ظلام الليل أو فى نور القمر، لعله يجدُ فى انطلاقِ الجو ما يخفف من وحشتِه وكربِه.

ولم يستطع أن يلقى عبلة طوالَ تلك الأيام، فإنها منذ أن خُطبت إلى عِمارةَ ضُربَ عليها الحجابُ، فكانت لا تخرجُ إلى موردِ الماءِ كما اعتادت أن تخرجَ، ولا تزور أترابَها فى بيوتِهن بل كن يأتين إليها لزيارتها حتى لا يراها عنترةُ. هكذا أمر أبوها مالكٌ وأخوها عمرو قبل أن يرحلا مع الجيشِ، فقد أنِفا مما سمعا من أحاديثِ الناسِ عنها.

وخرجَ عنترةُ يومًا على عادتِه ليجولَ جولته، فوقف على ربوةٍ ينظرُ إلى الحيِّ من بعيدٍ ويحدثُ نفسَه عما تنطوى عليه الأخبيةُ المرصوصةُ فى وادى الجواء. هناك كانت عبلةُ فى بيتٍ من البيوتِ لا يدرى فيم تفكرُ ولا فيمَ تتأملُ. أكانت راضيةً عن زواجِها من عمارةَ بنِ زياد؟ لقد كان عمارةُ فتى عبس وابن سادتها. كان أكرمَ الناس حسبًا وأعلاهم نسباً وأجملَهم صورةً وأسخاهم يدًا، حتى عرفه الناسُ بعمارةَ الوهابِ. أكانت عبلةُ راضيةَ بزواجها منه؟

كان عنترةُ يحسُّ عندما يتمثلُ صورةَ ذلك الشابِّ، وصورةَ عبلةَ إلى جانبه أن لهيبًا يتقدُ فيما بين جنبيهِ وأن الضوءَ يظلمُ أمام عينِه. وَلَكَمْ خيلَ إليه وهمُه المضطرب أن

---

(١) الشحناء: العداوة. (٢) تشفيًا: انتقامًا.

يهوىَ بجوادِه إلى بيتها فينزعَها منه ويفرَّ بها إلى حيث لا يراهما أحدٌ بعد ذلك ويقف دونها مقاتلاً. ولكنه كان يعودُ إلى نفسِه لائمًا لها على ما تخيلهَ في الوهم. فما كان ليجروَ على فعلٍ يجرُّ المشقةَ عليها أو يدخلُ الهمَّ إلى قلبها.

فكان يقنعُ بأن ينظرَ من بعيدٍ إلى الشعب الذى يحوى خباءها ويقضىَ الساعاتِ مغنياً بالشعرِ الذى يتحركُ به خاطرُه من ذكرها.

ووقف على رأس الربوةِ منشداً:

أعــاتبُ دهــراً لا يــلــيــنُ لــعــاتب
وأخفى الجوى[1] فى القلبِ والدمعُ فاضحى
وقــد هــان عــنــدى بــذلُ نــفــسى رخــيصــةً
ولــو فــارقــتــنــى مــا بــكــتــهــا جــوارحــى

وما كاد يتمُّ إنشادَه حتى طرقت أذنَه صيحةٌ عاليةٌ خرجت كأنها هزيمُ[2] الرعد انطلق فجأةً فى الفضاء. فنظر حوله فإذا به يرى خيلا تقبلُ نحو الوادى سابحةً فوق الرمال كأنها سِربٌ من الطير. وما هى إلا لحظاتٌ بعد ذلك حتى خرج من جوانب وادى الجواءِ[3] فرسانُ عبس وكانوا هناك على ترقبٍ لصدِّ العدو. وغمرَ الغزاةُ ساحةَ الوادى، وتفرق فوارسُ عبس بينهم يدافعون، ولكنهم كانوا قلةً لا يكادون يثبتون أمام العدوِّ فى مكان، فما هى إلا ساعةٌ حتى كان العدوُّ يحاربُ فرسانَ عبس عند فم الشِّعْبِ ويكادُ يحطمُ مقاومتَهم العنيفةَ.

وتحركت نفسُ عنترةَ إلى القتالِ مرارًا، وهمَّ أن يهبط من الربوةِ لكى ينصرَ قومَه، ولكنه كان فى كلِّ مَرَّةٍ يغالبُ نفسَه ويمانعُها.

وانفرط عقدُ العبسيين بعد حين، فصاروا يتدافعون ويتزاحمون عند فمِ الشِّعْبِ فى ذعر، وكلما اتجهوا وجهةً وجدوا العدوَّ يسدُّ سبيلَهم إليها فيرتدون خفافاً وهم لا يبصرون ما دونهم إلا بعد أن يصطدموا به. وتفلت الأمرُ من أيديهم حتى صارت رحى المعركةِ تدورُ بين حطامِ البيوتِ المقوضةِ، فكان فرسانُ عبس يرتدون خطوةً بعدَ خطوةٍ فيخبطون نساءهم وأطفالهم فى عمايةِ[4] القتال. والصياحُ والبكاءُ من ورائهم يعلو على ضجيجِ القتالِ. رأى عنترةُ ذلك كله من وراء العجاج[5] الثائر وقلبُه يثبُ فى

---

(١) الجوى: الحزن. (٢) هزيم الرعد: صوته العنيف.
(٣) وادى الجواء: يقع فى ديار عبس. (٤) عماية القتال: شدته. (٥) العجاج: التراب.

صدرِه، ولكن حَنَقَه كان يكبحُ غضبَه كما تكبح الشكيمةُ[1] الفرسَ الجموحَ. فكان يئنُّ كلما رأى منظرَ الهزيمةِ الطاحنةِ، ويزمجرُ كالوحشِ الجريحِ، ولكنه حمل نفسَه على البقاءِ في مكانِه قسراً.

ثم خُيِّل إليه أن المعركةَ قد بلغت إلى قريب من دار عبلةَ. ولاحت له صورتُها كأنه يراها تحت سنابكِ[2] الخيل، أو كأن فارسًا من طيئ قد عدا عليها فأخذها أسيرةً، كي يتخذَها أمةً له كما أخذ شداد أبوه زبيبةَ أمَّه من قبل. فلم يَملكْ نفسَه واندفع نازلا عن الربوةِ حتى بلغ مكانَ فرسِه الأبجر[3] ووثب عليه وهمزه متجهًا نحو ميدان المعركةِ. ولكنه ما كاد يسيرُ حتى رأى أباه شدادًا مقبلاً يركضُ جوادَه في عنفٍ نحوه. فوقف في مكانه حتى صار حيالَه وناداه شدادًا قائلا:

ـ أما ترى قومك يصرعون تحت عينيك؟

فركز عنترةُ رمحَه وهو راكبٌ وقال له شامخاً بأنفه:

ـ أي قومٍ لي؟

فقال شدادٌ والفرسُ يتراقصُ تحته ويحمحمُ:

ـ هلم يا عنترةُ فإن العدوَّ يطحننا.

فقال عنترةُ:

وما لعنترةَ والقتال؟ ليس لعنترةَ قومٌ يا سيدي شداد..

فصاح شداد:

ـ دع هذا الهراءَ[4]؛ وأسرع، فإن العار ينتظرُنا.

فصاح عنترةُ في وحشيةٍ:

ـ العارُ ينتظرُكم؟ أليس هو العار الذي يجللني؟ أليس الذي ينتظركُم هو الرق الذي أرسفُ أنا في أغلالهِ[5]؟ اذهب أيها الشيخُ، فذق ذُلَّ الأسرِ عند طيئ كما ذقته عندكم طولَ حياتي.

فصاح شدادٌ:

ـ قلت لك دع الهراءَ، وأقبل إلى القتالِ، إن الحُرَم توشكُ أن تستباحَ.

---

(١) الشكيمة: الحديدة في فم الفرس. (٢) سنابك الخيل: حوافر الخيل.
(٣) الأبجر: عظيم البطن. (٤) الهراء: السخف. (٥) أغلال: قيود.



فقهقه عنترة في صوتٍ أجش وقال:

ـ أى حُرَم لعبدٍ مثلى أيها الشيخ؟ فهل تريدُ منى أن أتطوعَ للقتالِ عن سادتى الذين لا يعرفون مكانى؟ لا شأن لعنترةَ بالقتالِ، فاذهب عنى.

فصاح به شدادٌ:

ـ لقد أصابك الخَبَلُ[1] أيها العاقُ.

فصاح به عنترةُ:

ـ لا تؤاخذنى يا مولاى، فإنى نسيت الأدبَ فى خطابك، ولكنى عبدٌ وما شأنُ العبدِ بالقتال؟

ثم عاد فقهقه في صوتٍ مخيفٍ.

فقال شدادٌ فى ضراعةٍ:

ـ أما يخزيك أن ترى نساءك تسبى؟ أما يُخزيك أن ترى قومك صرعى؟

فقال عنترةُ متحديا:

ـ لقد تركتُ القتالَ منذ عرفتُ أننى لا ينبغى لى أن أسايرَ الأحرارَ. ليس لى قومٌ أقاتلُ عنهم. وليس لى إلا أن أحلبَ النياقَ وأن أحفظَ الأغنامَ والإبلَ من عدوانِ الذئاب.

هذا رمحى أصطنعه هراوة[2] فى يدى، أهش به على غنمك يا شداد بن قراد. وهذا سيفى ولكنه فى غمده، أضربُ به الفحولَ المتمردةَ عند مواردِ المياه. هذا يا سيدى ما أحس به من بلاءِ الحياةِ فلا ينبغى لمثلى أن يشاركَ السادةَ فى الدفاعِ.

إن الحرَّ هو الذى يسندُ الأحرارَ. فاذهب إلى هؤلاء الذين يحق لهم القتالَ. اذهب إلى أصهارك وإخوتك وأخوالك الذين لا يرضون لعنترةَ أن يكونَ حرًّا يستطيعُ أن يسايرَ الأحرارَ.

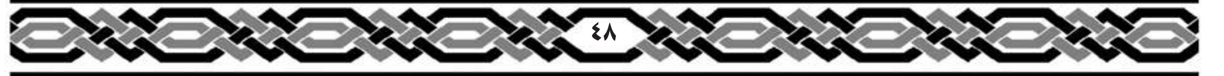
اذهب إلى عمارةَ بنِ زيادِ الذى كنتم تأكلون الثريدَ فى وليمتهِ. اذهب إلى بنى قراد فهؤلاء هم الأحرارُ الذين يحسنون القتال. أين مالكٌ أخوك؟ وأين عمرو ابنه؟ وأين زَخَمةَ الجوَّاد؟ وأين أبناؤه؟ أين هؤلاء جميعا ؟وأين سواهم ؟ إنهم فى غنى عن عنترةَ ابنِ زبيبةَ.

وعاد إلى الضحكِ كأنه قد اختبل عقلُه.

---

(١) الخبل: الجنون.

(٢) هراوة: عصا.



فصاح شدادٌ:

ـ هَلُمَّ معى ثكِلتك[1] أمك قبل أن أنكّل بَوجهك الأسود.

فصاح عنترةُ فى شبه جنون:

ـ اذهب أيها الشيخ عنى، فإنك تسخرُ من نفسِك. اذهب عنى فوحقُّ مناةَ، وكل آلهة العرب الجوفاء إننى لا أعرفُ القتالَ، لن تجدَنى إلا كما أردتَ، عبداً يشمتُ فيكم كلما رأى الذلَّ يطوى كبرياءكم. اذهب فقل لقومك هذا مصرعُ البغى والكبرياء. قل لهم ما اتخذ قومٌ بعضهم عبداً إلا كان بعضهم فيهم عدوا. أنا عبدُ عبس ولستُ من عبس، أنظر إليكم وأرى طحنكم. وأمتعُ نفسى بقهرِكم وذلكم.. وماذا يضرُّ العبدَ عنترةَ إذا نكلَ العدوُّ بالسادةِ الذين يخدمهم؟ أنا اليومَ عبدُ عبس، وسأكونُ غدا عبدَ طيئ. وإذا رعيت لك إبلك اليوم فى عبس فسأرعى إبلَ سيدٍ آخرَ فى طيئ. هذا ما تعلمته فيكم من الكرامةِ، وما أخذتُه عنكم من المروءةِ فاذهب عنى لا أبا لك يا شدادُ بن قراد.

وكان الشيخ يسمع قوله وهو لا يصدق أذنيه، فقال والغيظ يخنقه:

ـ لقد هممتُ أيها الشقىُّ أن آتى إليك فأضع هذا السيفَ فى صدرِك. أهذا عنترةُ الذى يخاطبُنى؟ أم هو عبدٌ من الزنج لم تقع عينى عليه قبلَ هذا؟

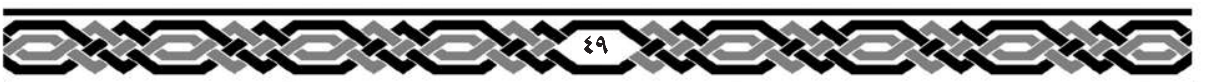
فصاح عنترةُ:

ـ هذا هو العبد الذى صنعته أنت أيها الشيخُ. تعال فضع سيفَك حيث شئت فإنى لن أحرك يدى فى الدفاعِ عن نفسى. أتعجبُ من قولى وتسألُ أهذا عنترةُ الذى يخاطبُك؟ بل أنا الذى أسألُ: أهذا هو شيخى وسيدى الذى يخاطبنى؟ ألا تذكرُ يوم تركتنى أذهبُ عنك، لأعودَ إلى العبيد أمثالى فأرعى إبلك وغنمك؟ أراك قد نسيت ذلك اليومَ ونسيتنى. أوجدت القتالَ أحرَّ مما يقوم عليه فتيانكم فذكرتنى؟ أما تدعنى أيها الشيخ أحلبُ نياقى وأرعى غنمى ثم أسرق وأشمت وأتذلل؟ أما كان ينبغى لك أن تبعدَ عنى حتى لا تسمعَ شماتتى وحقدى؟! أما كان أجمل بك وبى لو كان حقدى عليك يتنفسُ من وراء ظهرك كما ينبغى لعبدٍ مثلى؟

فاقترب شدادُ منه وأمسك بكتفه فهزها فى عنفٍ وقال له:

ـ إنك تضيعُ الفرصة فى حديثٍ باطلٍ. هلمَّ معى لا أمَّ لك؟

(١) ثكلتك أمك: فقدتك.



فنزل عنترةُ عن فرسِه وأهوى على قدم شداد فى الركاب فقبلها، ثم وقف أمامه قائلاً:

هـأنذا أقبل قدمك كما فعلتُ من قبل مرة أخرى. على أن أمسحَ نعليك بوجهى، وأن أحمل لك أدواتك وسهامَك، وعليّ أن آتى لك بالطعامِ والشراب، وأن أخدمَ ضيفَك وأقفَ بين يديك صاغراً، وعلى أن أرهفَ[1] أذنى لهمساتِ أمرك فاتحاً عينى لكل إشارةٍ من يدِك.

اذهب يا سيدى، فأنا عبدُك الذى ينتظرُ خدمتَك. فإذا وضعت الحربُ أوزارَها، وعدتَ إلى بيتِك، ولم يأخذْك العدوُّ عبداً فسوف تجدنى كما شئتَ عبداً. سوف تجدنى عند قدميك جاثياً[2] مطيعاً ذليلاً. وأما القتالُ فقد قلتُ لك إنه ليس من شأنى، فلستُ أحسنُ إلا الحلبَ والصرَّ[3]، ولا شأن لى بالضرب والكر.

وكان شدادٌ يسمعُ هذه الكلماتِ وهو يتحركُ فى غيظٍ ينظرُ تارةً إلى عنترةَ وتارةً إلى الشِّعْبِ المضطرب الذى يدورُ فيه القتالُ. ولما انتهى عنترةُ من قوله صاح شدادُ فى عنفٍ:

ـ أهكذا تتخلى عنى؟ أما ترى العدوَّ وقد حطم بيوتى وأخذ نسائى؟ أما تراه قد بلغ فمَ الشّعب حيث منازل أبيك وأعمامك؟

فصاح عنترة ساخرًا:

ـ منازل أبى وأعمامى

فقال شداد فى بعض لين:

ـ نعم منازل أبيك وأعمامك. إنك تشمت بنا والحُرُّ لا يعرفُ الشماتةَ. إنه يشترى نفسه فى مثلِ هذا اليومِ يا عنترةُ.

فإذا أردتَ أن تكونَ حرًّا فاعلم أن الحريةَ لا تُوهَبُ عطاءً، إنما إذا وهبت كانت كقطعةٍ من العظامِ تلقى إلى كلبٍ جائعٍ ينتظرها صاغرًا. هلم يا عنترةُ وأزل عنا معرةَ هذا اليومِ.

---

(١) أرهف أذنى: أنصت فى اهتمام.

(٢) جاثيًا: جالسا على ركبتيه.

(٣) الصرّ: هو خيط يشد فرق الخلف، لئلا يرضعها ولدها.

فوثب عنترةُ على فرسِه قائلاً:

- وماذا يكونُ اسمى منذ اليومِ ؟

فصاح شداد فى حَنَق[1].

- حسبُك أيها الأحمقُ لا أمَّ لك.

ماذا يغنى الاسمُ عن الرجلِ إذا كان فى نفسه عبداً.

فقال عنترةُ فى عناد:

- قل لى يا بن شداد ولو مَرَّةً. قل ذلك يا أبى حتى أسمعك تدعونى ابنك. بم أنادى فى القتال إذا لم أكن عنترة بن شداد؟

فصاح شدادٌ وهو يهمزُ فرسه:

ويك[2]. عنترة بن شداد إنما العبدُ من يقولُ لك منذ اليوم غيرَ هذا.

فاندفع عنترةُ فى أثرِه حتى صار بإزائه، ثم همز فرسه الأبجر فسبق كأنه طيرٌ سابحٌ فى الهواءِ وقال متلفتا إلى أبيه:

- الحقْ بى يا أبى وقاتل إلى جانبى، فسأنادى اليومَ فى قتالى!

إنى امرؤٌ من خيرِ عبس منصبا
شطرى[3] وأحمى سائرى بالمنصل[4]

وإذا الكتيبةُ أحجمت وتلاحظت
ألفيت خيرًا من مُعَم مُخوَّل

ثم جعل ينشد وهو مقبلٌ على الميدان

بكرت تخوفنى الحتوفَ كأننى
أصبحت عن غرضِ الحتوفِ بمعزلِ

فأجبتها إن المنيةَ منهل
لابد أن أُسقى بكأس المنهل

فاقنى[5] حياءك لا أبا لك واعلمى
أنى امرؤٌ سأموتُ إن لم أُقتلِ

إن المنيةَ لو تمثَّلُ مثِّلت
مثلى إذا نزلوا بضَنْك المنزلِ

ولقد أبيتُ على الطوى وأظله
حتى أنال به كريمَ المأكلِ.

* * * *

(١) حنق: غضب.

(٢) ويك: عجبًا لك.

(٣) شطرى: نصفى.

(٤) المنصل: السيف.

(٥) اقنى: احفظى.

أسئلة الفصل السادس
البطل الحر

١ ـ «ولم يستطع أن يلقى عبلة طوال تلك الأيام، فإنها منذ خطبت إلى عمارة ضرب عليها الحجاب، فكانت لا تخرج إلى مورد الماء كما اعتادت أن تخرج، ولا تزور أترابها في بيوتهن، بل كن يأتين إليها لزيارتها حتى لا يراها عنترة».

(أ) ما المقصود بقوله «ضرب عليها الحجاب»؟

ـ يقال ورد الماء إذا ذهب إليه، فماذا يقال إذا انصرف عنه؟

ـ هات مفرد أترابها في جملة.

(ب) لماذا تخلف عنترة عن الانضمام إلى الجيش الذاهب إلى طيئ؟

(جـ) فيم كان يفكر؟ وما الأوهام التي كانت ترد إلى خاطره؟

(د) لماذا رجع الجيش بسرعة من الغزوة؟

(هـ) استخرج من العبارة السابقة: مصدرًا مؤولاً، وبدلاً، وخبرًا لفعل ناسخ، وفعلا مضارعًا صحيحًا وآخر معتلاً.

٢ ـ «... وتفلت الأمر من أيديهم حتى صارت رحى المعركة تدور بين حطام البيوت المقوضة، فكان فرسان عبس يرتدون خطوة بعد خطوة فيخبطون نساءهم وأطفالهم في عماية القتال، والصياح والبكاء من ورائهم يعلو على ضجيج القتال».

(أ) تخير الإجابة الصحيحة مما يأتي، واكتبها:

ـ معنى كلمة «المقوضة»: (المهدمة ـ المستباحة ـ المفتوحة).

ـ مضاد التعبير «تفلت الأمر من أيديهم»: (انتصروا ـ فروا ـ أمسكوا بزمام الأمر).

ـ «عماية القتال» تعني: (ظلام المعركة ـ الغبار المتطاير ـ شدته).

(ب) تصور العبارة هزيمة العبسيين وضح.

(جـ) تحركت في نفس عنترة عاطفتان، فما هما؟

(د) انقل العبارات الصحيحة مما يأتي:

ـ لم يستطع عنترة أن يكبح جماح غضبه.

ـ حمل نفسه على البقاء في مكانه قسرًا.

ـ ركب عنترة حصانه (الأبجر) عندما اقتربت المعركة من دار عبلة.

ـ ناداه شداد فلبى النداء.

ـ لم يستجب للنداء قائلاً وما لعنترة والقتال؟

٣ ـ دار حوار بين عنترة وشداد:

ـ لخص هذا الحوار.

ـ وبين رأيك فيه.

ـ دور هذا الحوار فى تطوير أحداث القصة.

٤ ـ «قال شداد: لقد هممت أيها الشقى أن آتى إليك فأضع هذا السيف فى صدرك. أهذا عنترة الذى يخاطبنى؟ أم هو عبد من الزنج لم تقع عينى عليه قبل هذا؟... فأجاب عنترة... تعال فضع سيفك حيث شئت فإنى لن أحرك يدى فى الدفاع عن نفسى...».

(أ) وراء كل من شداد وعنترة دوافع جعلتهما يقولان هذا الحوار. وضح دوافع كل منهما.

(ب) لماذا قبَّل عنترة نعلى شداد؟

(جـ) وضح المقصود بالعبارات الآتية:

ـ «فلست أحسن إلا الحلب والصر، ولا شأن لى بالضرب والكر»

ـ «الحُر لا يعرف الشماتة، إنه يشترى نفسه فى مثل هذا اليوم يا عنترة».

(د) أيهما كان أقوى حجة؟ شداد أم عنترة؟ علل.

٥ ـ «ويك عنترة بن شداد! إنما العبد من يقول لك منذ اليوم غير هذا»

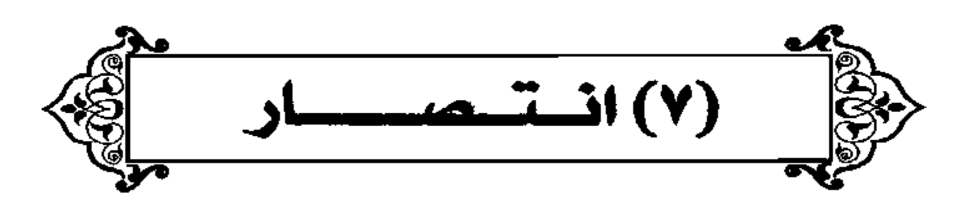
ـ ماذا تمثل هذه العبارة فى أحداث القصة؟

ـ ما معنى «ويك»؟ وبم أكد شداد كلامه؟

ـ ما أثر هذا الكلام على عنترة؟

٦ ـ تخير بعض أبيات عنترة واكتبها فى لوحة بخطك.





(٧) انـتـصـار

كان القتالُ لا يزالُ يدورُ بين البيوتِ، وقد حطم الأعداءُ أعمدَتها وقطعوا حبالَها، وخرج النساءُ سراعًا يحملن الأطفالَ إلى أطرافِ الشعب يلذن بالصخور، ويصعدن فى جوانبِ الوادى. وكان من بقى من الفرسانِ يحاولون ما استطاعوا أن ينافِحوا[1] بالسيوف والرماحِ، فكان الأعداءُ يدوسونهم تحت سنابك الخيلِ.

وأقبل عنترةُ نحو الشعب فكان أولُ همِّه أن يرى بيتَ مالك بن قراد، فلمحه من وراء المعمعةِ خاليًا مهدمًا، قد بُعثر أثاثه، ومُزقت جوانبُه، ودخل فى صفوف العدو الذى كان عند ذلك قد أوشك أن يقضى على كل مَن دونه فلم يبق أمامَه من مكافحٍ إلا قلةٌ من كهولِ عبس، يحاولون ما استطاعوا أن يثبتوا فى مواضعَ متفرقةٍ وقد بدأ الكَلال[2] على خيولهم، وترددت على حركتِهم مظاهر الاستعدادِ للفرار.

وكان بعضُ فرسانِ طيئ قد أحسوا ريحَ النصرِ فهدءوا عن القتالِ، وأقبل بعضُهم على سَلبِ البيوتِ من كلِّ ما بها من سلاحٍ ومالٍ، وطاردَ بعضُهم من لاذ بالفرار من نساء وأطفال، يريدون أن يأخذوهم أسرى، وكان أكبر همهم أن يأخذوا النساء ليكن لهم إماء فقد كان هذا عندهم أكبرَ زهوٍ للانتصارِ، وصاح عنترةُ بصوته المجلجل «أنا الهجين[3] عنترة».

إنى امرؤٌ من خير عبس منصبًا	شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

ثم أهوى على المقاتلين من فرسان طيئ فى حَنَقٍ منحدرًا كأنه صخرةٌ تتهدى[4] من قمةِ الجبلِ، فكان يضربُ العدوَّ حينًا بسيفهِ الذى فى يمينه، ويطعنُه حينًا برمحِهِ الذى فى يسارِه، ويصدمُه بفرسِه الأبجر الذى كان يندفعُ تحته كأنه يشاركُه الحنق والحماسةَ، وتساقط الطائيون واحداً بعد واحد، وسمع الذين أقبلوا منهم على السلب صيحة عنترةَ فوثبوا على أفراسِهم سراعًا، وأقبلوا إليه جماعاتٍ يريدون أن يحيطوا به، فأسرع عنترة نحو فارس ضخم من الذين صرعهم فى قتالِه فنزع عنه درعَه، وشدها

---

(١) ينافحوا: يضربوا. (٢) الكلال: التعب.
(٣) أنا الهجين: المولود من أبوين من أصلين مختلفين. (٤) تتهدى: تنحدر.

على جسمه متسربلا بها، ثم وثب على فرسِه، فما بلغ الفرسان مكانه حتى كان قد ثبت على ظهرِ الأبجر وهمزه، فاندفع في صدرِ الصفوفِ المرصوصةِ التي تتجهُ إليه مثل سيلٍ عنيفٍ، وكانت صدمةً هائلةً اهتز لها عنترةُ وزمجر من وقعها. ولكن الأبجر استطاع أن ينفذ به في الصفوف المتلاصقة، وصرع في سبيله فرسين ألقيا صاحبيهما، ومضيا في عدوهما أسفل الوادي، ولكن الأعداء عطفوا أعنة الخيل نحو عنترة، ليكروا عليه مرة أخرى. ولوى عنترة عنان الأبجر عائدا إليهم، وكان صفهم قد تضعضع في هذه المرة ولم يبق كالصخرة المصمتة. فأهوى عنترةُ على الفرسان يطعنُ ويضربُ ويجندلُ منهم واحدا بعد واحد حتى تردد من بقي منهم وآثروا النجاة.

وكان أشتاتٌ[1] من فرسان عبس قد سمعوا صيحةَ عنترةَ، فأقبلوا نحوه من الثنايا التي لاذوا بها، ودب الأملُ في قلوبهم عندما رأوا عنترة يحصد في العدو حصداً، فأقبلوا سراعا وعادت الجرأة إلى قلوبهم، فلم يستطع العدو أمامهم ثباتاً، وولى الأدبارَ تاركاً وراءه ما كان قد جمع من أموال وسبايا.

ونادى عنترة فرسانَ عبس أن يطاردوا العدو، ولوى عنانَ فرسِه نحو وادي الجواء يبحث عن عبلةَ، ولكن أنَّى له[2] أن يجدَها في ذلك الحطامِ؟ وأنَّى له أن يعرفَ أثَرها في ذلك الاضطرابِ الشامل؟ لقد أوغلَ النساءُ والأطفال في شِعاب الوادي وغابوا في شقوق الصخرِ، وما كان ليستطيعَ أن يعرفَ هل نجت عبلة أو أصابتها طعنةٌ، وهل بقيت فيمن بقي أو عمد إليها فتى من طيئ فجعلها همَّه من القتال ونجا بها.

فاندفع في جوانبِ الوادي ينادي بآل قراد. ويسألُ كل من يراه عن نساء شداد وإخوته، وما كان يريد من ذلك إلا أن يجيبه قائلاً «قد رأيت عبلة»، ولكنه لم يَجدْ لها بعدَ طول البحث أثراً. لقد كانت كلُّ فتاةٍ تنظرُ كيف تحتال في النجاةِ بنفسها، وكانت كلُّ أم تبذلُ قصاراها لكي تفرَّ بفلذاتِ كبدِها. وكان في أقصى الشعب جرفٌ من صخر إذا نزل المطر انحدرت مياه السيول من فوقه، في شلال متدفق، فلما بلغ عنترة موضعَ ذلك الجرفِ لمح جمعا من النسوةِ يصرخن في أعلاه ويولولن. فأسرعَ نحوهن وصاح:

ـ هل فيكن أحدٌ من آل شداد؟

---

(١) أشتات: الذي تفرقوا.

(٢) أنى: كيف.

ـ أنا مروة ابنة شداد.

فصاح عنترةُ:

ـ كيف أنت يا مروة؟ وكيف أمك وإخوتك؟ هل أصاب أحداً منكمَ شرٌّ؟

وكان وهو يسأل سؤاله يريد أن يعرف أول ما يعرف أين عبلة.

فسمع ولولةً عالية، وصرخت مروة قائلة:

ـ لقد أخذوا عبلة!

وكأن طعنةً قد أصابت قلبَ عنترةَ عند ذلك.

فزمجر قائلاً:

لهم الويلُ منى!

ثم همز الأبجرَ، فانطلق به فوق جانبِ الوادى حتى صار فوق السهل الفسيح الذى عليه الطريقُ إلى بلادِ طيئ.

ولم يدرِ ماذا هو صانعٌ، ولم يقف لحظةً ليفكرَ فيما ينبغى له أن يفعلَ، بل اندفع فى سبيلهِ لا يريدُ إلا شيئاً واحداً، أن يعثرَ على أثرِ القومِ الذين فروا بعبلةَ. وسار فى هضبةٍ صلبةٍ، والجوادُ يعدو به، فيقدحُ بحوافرِه من الصخر شررًا، حتى اتصل بالطريق التى اعتادت القوافلُ أن تسيرَ فيها إذا اتجهت نحو الشام، وكان ليناً على حوافر الأبجرِ فانطلق فيه، وعضَّ على شكيمته كأنه هو الذى يطارد الأعداءَ.

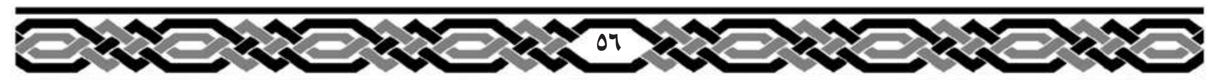
وفيما كان عنترةُ ناظرًا إلى الأفق لا يلتفت إلى جانب الطريق، سمع صرخةً عن يساره كصرخةِ المستغيث. فشد عِنانَ فرسه ليهدِّئ من عَدْوِه، والتفت نحو مبعثِ الصرخةِ، فرأى أمامه امرأةً تعدو فى السهلِ الرملى مقبلةً نحوه. وتعجب إذ يرى امرأةً مثلها وحيدةً فى ذلك البراحِ المقفرِ، وسأل نفسَه ماذا عسى أن تريدَ منه. ولو كان ذلك رجلا لما تردد فى أن يسير ويخلفَه وراءه، فما كان فى صبره متسعٌ لغير مطاردةِ الذين مضوا بعَبلةَ. ولكنه رآها امرأة، ولعلها كانت من عجَائزِ عبس، أو لعلها سبية من قبيلة تريدُ أن تستنجدَ به، وما كان لعنترةَ أن يصمَّ أذنَه عن صراخِ امرأةٍ تناديه. وتأمّلَ المرأةَ وهى تقبلُ نحوه فتعجب من سرعة عدوها فوق الرمال خفيفةً كأنها فتى من الفتيانِ. حتى إذا ما اقتربت منه صاح بها فى ضجرٍ:

ـ أبك شر أيتها المرأةُ؟

فسمع الجواب ضحكةً عاليةً أثارت غضبَه، وكاد يسبُّها ويمضى لولا أن سمع صوتَ أخيه شيبوب يقول له:

ـ أما تعرفنى؟

ففتح عينيه فى دهشةٍ، وأسرع نازلاً عن فرسه، وصاح به: ما الذى أتى بك إلى هنا؟



وكان شيبوبُ قد اقترب منه، وهو يلهث من أثر الجرى، ومنخراه الواسعان تتحركان مع أنفاسه وكأنهما منخرا الأبجر. فلم يَملكْ عنترةُ أن تبسم من منظرِه وقال له:

ـ أين كنت فى هذا القتال يا شيبوبُ؟

فقال شيبوبُ فى أنفاسٍ مضطربةٍ:

ـ كنتُ أرقبُ القتالَ مع النساءِ من وراءِ ثنية «العقاب»، حتى رأيتك مقبلاً مع شدادٍ نحو الميدانِ، فاستبشرتُ وناديتك. ويك عنترةُ!

ألم تسمعنى؟

فقال عنترةُ فى ضجرٍ:

ـ ولكن ماذا أتى بك إلى هنا؟ قل وأسرع فليس فى الوقت فضلةٌ لهرائِك.

فقال شيبوبُ:

ـ ثم رأيتك تفرى[1] فى العدو فريًا، فخرجت من وراء الثنية، وعزمت على أن ألبسَ درعى، وأسرعَ إلى جانبك.

ـ ولكنى عندما شددتُ الدرع حول جسمى لمحتُ ثلاثةَ فرسانٍ يقبلون نحو جمعِ النساءِ من ورائى. فرأيتُ كأن الموتَ يقبل علىَّ وتداريت وراء الثنية وهناك سمعت ولولةَ النساء وبكاءَ الأطفال، فكاد قلبى يتمزقُ.

فقال عنترة فى حَنَق:

ـ ليته تمزق أيها العبد!

فقال شيبوب:

ـ إذًا كنت لا تعرفُ شيئاً عن عبلةَ.

فصاح عنترةُ:

ـ وأين عبلة؟ أتعرفُ أين هى؟

فقال شيبوبُ مشيراً إلى خلفِه:

ـ نعم هى هناك. ولو تمزق قلبى لما قدرتُ على أن أسيرَ مع الفرسان هذه المسافة الطويلة.

ـ فقال عنترةُ:

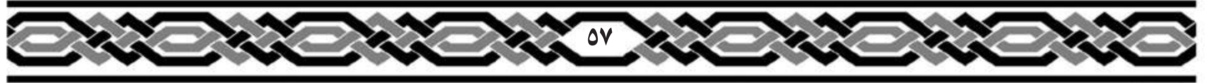
ـ أَسِرْتَ مع الفرسان؟

فقال شيبوبُ:

ـ نعم ولكن صبرًا، فإنى لا أقدرُ على أن أقصَّ عليك ما رأيتُ إذا كنت تستمرُّ على مقاطعتى.

---

(١) تفرى: تطحن.



فهدأ عنترةُ بعضَ الشيء عندما عرف أن شيبوبَ يعلمُ موضعَ عبلة، وصبر حتى قصَّ أخوه عليه قصَّتَه.

عندما أقبل الفرسانُ من وراء شيبوبَ ألقى سلاحَه حتى لا يفطنوا إليه، وأسرع إلى حطام بيتٍ قريبٍ فأخذ منه ثياب امرأةٍ عجوزٍ فلبسها، ثم سمع ولولةَ النساءِ وهن يصحن قائلاتٍ: «لقد أخذوا عبلةَ».

وخطر له عند ذلك خاطرٌ جريءٌ، فأسرع فى ملابس العجوز نحو الفرسان الثلاثة وهم يهمون بالفرارِ بعبلةَ: فوقف فى وجههم صائحاً مولولا يقول:

ـ سيدتى، سيدتى.

فأقبل عليه اثنان منهم وحملاه وألقياه على ظهرِ فرسٍ، ثم ركبوا أفراسَهم سراعا نحو الفلاة فكان أحد الفرسان يُرْدف[1] عبلةَ، والآخر يردف شيبوبَ وهو يحسبهُ خادمتَها العجوزَ، والثالثُ يأتى من خلفهما ليردَّ عنهما من قد يأتى إليهما من وراء.

فمازالوا يسيرون حتى كلت أفراسُهم من السير، وعزموا على قضاء الليلةِ عند ماء «الربابية» ليريحوا الأفراسَ ويستريحوا من عناءِ المعركة، ثم يستأنفوا السير بكرةً[2] بغنيمتهم النفيسة عائدين إلى بلادِ طيئ.

وسمع عنترةُ القصةَ فى اهتمامٍ ولهفةٍ، فلما انتهى شيبوبُ منها قال عنترةُ:

ـ وهل هى بعيدةٌ من هنا؟

فقال شيبوبُ:

ـ أنسيت يا عنترةُ ماءَ الربابية ألا تذكرُ يومَ... وكاد شيبوبُ يدخل فى قصةٍ أخرى لولا أن قاطعه عنترةُ قائلاً:

ـ أهى بعيدةٌ من هنا؟

فقال شيبوب:

ـ لقد ظنونى عجوزًا حقًّا فرموا بى إلى جانبِ الخباءِ، وذهبوا يملئون الحوضَ لأفراسهم، فانطلقت بعد أن رأيت عبلةَ فى خبائها.

فقال عنترةُ فى رقة!

ـ وكيف هى يا شيبوبُ؟

---

(١) يردف عبلة: يجعلها خلفه.

(٢) بكرة: الصباح الباكر.

فقال شيبوبُ متأثرًا:

- كانت لا تسمعُ القولَ من شدةِ البكاءِ... ومع ذلك فقد تبسمت لى عندما قلت لها هامسا «سوف أذهبُ إلى عنترةَ وأجىء به إليك».

ولكنها تعجبت مني، ولم تدر من تكونُ هذه العجوز السوداء. لم تعرف المسكينةُ أننى أنا شيبوبُ، فتركتُها وانطلقت عائدا نحو أرض الشربة، وكان ذلك قبل أن يزيد[1] الظل على قامتي.

فنظر عنترةُ إلى ظلِّ أخيه، وكان قد بلغ طول قامتين وقال له:

- أتركبُ ورائى يا شيبوبُ؟

فهز شيبوب رأسَه قائلاً:

- سوف أعدو أمامك، ولن يستطيعَ الأبجرُ أن يدركَنى، وَعَدَا يجرى خفيفًا متجهًا إلى بئرِ (الربابية)، وسار عنترةُ وراءه والأبجرُ يغوصُ بحوافرِه ثقيلاً فى الرمال حين بعد عن الطريق.

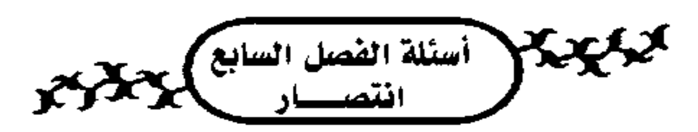
وكانت صدمةً يسيرةً على عنترة إذ التقى بالفرسان الثلاثةِ عند ماء الربابية. فما هى إلا ساعة حتى قتل أحدَهم وفر اثنان منهم بعد أن أصابتهما الجراحُ، وركب عنترة فرسه عائدًا بعبلةَ رديفة وراءه. وركب شيبوبُ وراءهما على فرس الطائى القتيلِ، وهو يغنى ويزغردُ كما يزغردُ النساء.

وبلغوا حِلة عبس فى صدر الليلةِ وكانت القبيلةُ قد امتزج فيها فرحُ الانتصارِ بحزنِ المصابِ، إذ فجعت فى كثيرٍ من فرسانِها، وكانت أكبر فجيعة لها أن فقدت عبلةَ ابنةَ مالك من بين النساءِ.

فلما عاد عنترةُ بعبلة لم يبقَ فى الحِلة إلا الفرحةُ الشاملة بالانتصارِ. وقضت عبس أياماً فى عيدٍ متصلٍ؛ إذ كانت نجاتُها إحدى العجائبِ التى جرت المقاديرُ بتدبيرِها.

* * *

(١) قبل أن يزيد الظل على قامتي: أى قبل وقت الأصيل.



أسئلة الفصل السابع
انتصـــار

١ ـ وصاح عنترة بصوته المجلجل «أنا الهجين عنترة».

إني امرؤ من خير عبس منصبًا   شطري وأحمي سائري بالمنصل

ثم أهوى على المقاتلين من فرسان طيئ في حنق منحدرًا كأنه صخرة تتهدى من قمة الجبل».

(أ) أدخل معنى (المجلجل) في جملة، واذكر معنى كلمة «الهجين».

ـ اشرح بيت الشعر وبين العاطفة التي تسوده.

ـ وضح قيمة التشبيه في السطر الأخير.

(ب) بعبارتك صور المعركة في ضوء هذا الفصل.

(جـ) كان لصيحة عنترة أثر في جمع ملوك عبس، وضح ذلك.

(د) لِمَ اتجه عنترة نحو وادي الجواء؟

(هـ) كيف عرف عنترة بخطف عبلة؟ وما أثر ذلك عليه؟

٢ ـ «وفيما كان عنترة ناظراً إلى الأفق لا يلتفت إلى جانب الطريق سمع صرخة عن يساره كصرخة المستغيث، فشد عنان فرسه ليهدئ من عدوه، والتفت نحو مبعث الصرخة، فرأى أمامه امرأة تعدو في السهل الرملي مقبلة نحوه».

(أ) تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يلي :

ـ جمع كلمة «عنان» : (أعنة ـ عناوين ـ عنانات).

ـ مضاد كلمة «تعدو» : (تجلس ـ تمشي ـ تقفز).

ـ موقع جملة «تعدو» : (خبر – صفة ـ حال).

(ب) من كانت هذه المرأة؟ ولماذا تنكرت ؟

(جـ) كيف خطفت عبلة؟ ومن الذين خطفوها ؟

(د) صف المعركة التي أنقذ بها عنترة عبلة بأسلوبك.

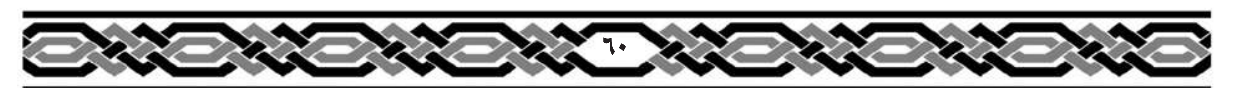
(هـ) ما شعور عبلة أثناء خطفها؟

(و) صور فرحة «عبس» بالانتصار وعودة عبلة.

٣ ـ ارسم لوحة للمعركة.

٤ ـ ظهرت في المعركة بعض العادات والتقاليد البدوية، اذكرها وعلق عليها.

• • • •





(٨) علاقة قلقة

بلغت أنباءُ الغزوةِ زهيرَ بنَ جذيمةَ ملكَ عبس وهو في طريقِه إلى بلادِ طيئ، وسمع أن الطائيين قد خادعوه، وأطبقوا على الحِلة في غيبته، فحطموها وقتلوا من فيها وأسروا أطفالها ونساءها وساقوا سرحَها[1]. حتى لم تبقَ فيها بقيةٌ إلا حطامُ البيوتِ، بعد أن دُكت وقُطِعت حبالُها، وكان لهذا النبأ وقعُ الصاعقةِ على زهيرٍ وجيشِه، فقد خرجوا يطلبون تحطيم طيئ والانتصارَ عليها بعد أن أعدوا لتلك الغزوةِ عدتها، فإذا هم يسمعون أن ذلك العدو هو الذى تسللَ إلى ديارهم فاستطاع أن يحرزَ فيها انتصارًا يبقى ذكره أبد الدهر، ويلحق بعبس عارًا لا يمحى. فأسرع عائدًا يعترضُ الطريقَ لعله يلقى فيها جيشَ طيئ فينتصفُ منه، أو يلحقُ بمن هلك من قومه حتى لا تلصقَ به معرةُ الأبدِ. ولكنه لم يلقَ في الطريق جيشًا من طيئ، حتى عجب وحسب أنهم قد خادعوه تلك المرةَ أيضاً، فاتبعوا طريقا أخرى حتى لا يلاقوه. ولكنه عندما بلغ أرض الشربة والعلم السعدى وجد الحِلة في عيدٍ صاخبٍ، ورأى قومه يستقبلونه بالتهنئةِ والبشرى، وكان شدادٌ في صدرهم وإلى يمينه ابنُه عنترةُ.

فقال شدادٌ لزهير عندما حياه:

لئن كانت لنا بقيةٌ فالفضلُ فيها لعنترةَ بن شدادٍ.

فكان هذا اعترافاً صريحًا ببنوةِ عنترةَ، سمعته عبس من شدادٍ لأول مرةٍ، وكانت ضجةُ الهتاف عند ذلك من شباب القبيلةِ تنم عما يضمرون لعنترةَ من الإعجاب.

ولم يسع السادةَ إلا أن يمدوا أيديهم إلى عنترةَ يصافحونه، ويعترفون بما له على قومِه من فضلٍ سوف يبقى ذكرُه أبدَ[2] الآباد.

ومضت أيامٌ كانت فيها الأعيادُ متصلةً، وكان عنترةُ فيها واسطةَ العقدِ في الأسمارِ والولائمِ. فلم يدع العبسيون وسيلةً يعبرون بها عن شكرهم لعنترةَ إلا توسلوا بها. وإذا أنشدت الأشعارُ في حلقات الندىّ كان شعرُ عنترة، على كل لسان، وإذا أقبلت الفتياتُ إلى حلقات الرقصِ كان غناؤهن باسم عنترةَ، وما كان أحب إليه أن يسمعَ اسمَه الجديد عنترة بن شداد من أفواههن إذا هن هتفن باسمه.

(١) سرحها: إبلها وغنمها. (٢) أبد الآباد: على مر الدهور.

ولم يستطع مالك ولا ابنه عمرو أن يتعرضا له إذا تحدث إلى عبلة، ولم يستطع عمارةُ بن زياد أن يُظهِرَ غضباً إذا هو رآها تجلسُ إلى جانب ابن عمها البطل أو تسايرُه وتناجيه. بل لقد تحدثت المجالسُ فى همس قائلة: أما آن لعمارةَ أن يدعَ الفتاة لمن أحبها وهتف فى شعره باسمها وهو أولى الناس بها. وقالوا إن عبلةَ كانت لولاه تصبح أمةً سبيَّة فى أرض طيئ، وهيهات لعمارةَ أو غير عمارةَ أن يستطيعَ ردَّها.

وسار عنترةُ فى ليلةٍ من تلك الليالى مع عبلةَ، يشيعها إلى بيتها، وجرى الحديث بينهما متنقلا كفَرَاش الربيع، فكان عنترةُ أحيانًا يصفُ لها بعضَ مغازيه، وأحيانًا يصفُ لها أخاه شيبوبَ فى خبثه ونوادر حيله، فتضحكُ عبلةُ وترمي شيبوب فكاهةً من فكاهاتها. وكان أحياناً يحدثُها عن وحدتِه وهمومِه، وما كان يراه فى الصحراء فى الليالى المظلمةِ عندما باعد قومَه من أجلها، ثم أنشدها من شعره وحدثها بنجوى قلبه، حتى خطِرت له خاطرة من ذكر حديثِ عمارةَ وخطبته إياها، فسألها فجأة:

ـ أحقًّا ما يقولون يا عبلةَ؟

فقالت عبلةُ باسمةً:

ـ وماذا يقولون يا ابنَ العم؟

فوقعت كلمتها على نفسه وقعَ أنغام المزاهرِ[1] وقال لها مداعبا:

ـ إنك تسألينني كأنك لا تعرفين ما أقصدُ يا بنةَ العم. لقد عهدتك تدركين ما وراءَ اللفظِ قبل أن أنطق به.

فمالت برأسِها ناظرة إليه بعينيها الباسمتين وقالت: أحقًّا ذلك يا عنترةُ؟ فقال عنترةُ: ألا تذكرين إذ كنت تسألينني عن أمر فأقول: «لا» فتضحكين منى، فإذا سألتك عن ضحكك قلتِ إننى ما قصدتُ أن أقول لا؟ إنك تحسين بالإلهامِ ما لم يقع بعدُ فى سمعك. فما الذى جعلك تسألين عما يقولون كأنك لا تعرفينه؟

فقالت عبلةُ: أما كنت أنت الذى لا تدركُ إلا ما وراء اللفظِ، إنك لتسمعُ من حديثى ما لم أقل لك، وإنك لتزعم أنك تعرفُ من معانى قولى ما لم أقصد من قولى، ألا تذكرُ إذ سألتنى بالأمس عن عمارةَ، فلما أجبتك لم يعجبك جوابى، وأبيت إلا أن تزعمَ أننى أراوغُك، ألا إنك أنت الذى تراوغنى وتكابرنى.

---

(١) المزاهر: آلات موسيقية. المفرد: مزهر.



فقال عنترة، لقد فهمت قصدى بإلهامك منذ ذكرت عمارةَ. أنه هو الذى يتحدثُ الناسُ عنه وعنك.

فقالت عبلةُ: أفٍ لك ولعمارة! إن الناسَ لا يزالون يتحدثون فى شأنه وشأنى، وليت شعرى أىَّ أحاديث الناسِ تقصد؟ فليس لهم من هم فى ليل ولا نهار إلا أن يتحدثوا. إنهم يتحدثون إذا أكلوا، ويتحدثون إذا شربوا، وهم أكثر حديثًا حين تحمى سورة[1] الخمر فى رءوسهم. وهم يتحدثون إذا صحوا وإذا ناموا، فأىُّ هذه الأحاديثِ تقصدُ يا عنترةُ؟

فقال عنترة:

ـ لست أبالى ما يقولون فى ليلهم أو فى نهارهم إذا كان حديثُهم لا يعنيك أنت.

ـ فقالت عبلةُ: وماذا يهمك من هذه الأحاديث وقد طالما سمعتك تزعمُ أنك لا تبالى بثرثرتهم؟

فقال عنترةُ فى نغمة عتاب: لا تعبثى بى يا عبلةُ، فإنى أحبُّ أن أسمعَ منك كلمةً.

فقالت عبلةُ: أيَّةُ كلمة تحب أن تسمعَ منى؟ قلها لى حتى أرددها كما شئتَ.

فقال عنترة متألما:

ـ أنا بين يديك أضعفُ من فرخ اليمامِ، وأخف من ريشة فى الهواء. ذرينى يا عبلة أعرف ما فى قلبك.

فقالت عبلةُ فى دلال:

ـ وأين ادعاؤك أن لك شيطانًا يلهمك؟

فقال عنترةُ فى حماسةٍ:

ـ إن هذا الشيطانَ لم يستطع يوماً أن يسبرَ غورَ[2] قلبك. إنه لا يسبرُ إلا غورى، ولا يكشفُ إلا عن قلبى. أما أنت فإنى أجلسُ معك وأسير إلى جانبك، وأعرج[3] إلى السماء إلى حيث أحيا فى عوالمَ سحرية من السعادة تلهينى عن كل هذه الأرضِ، ثم أنصرفُ عنك وقلبى فى حيْرة بين الأمل الذى يلوح لى والقلقِ الذى يساوِرُنى. وأنظر حيناً إلى الأرض فأراها جناتٍ فيحاءَ، تحيطُ بها الأنهارُ وتنفجرُ فيها العيونُ، ويبتسمُ فيها

(١) سورة: حدة.
(٢) لم يسبر غور قلبك: لم يكشف ما بداخل قلبك.
(٣) عرج يعرج: ارتقى.



الزهر ويغنى الطيرُ، ثم لا ألبثُ أن أحسَّ الشجونَ تثورُ بى فلا أرى حولى إلا صحراء بلقعًا[1] ولا أعرف أأنا أطأ الأرضَ بقدمى أم فوق لجة[2] تضطرب بى، ومع ذلك فإن شيطانى فى شغلٍ عنك بى.

فقالت عبلةُ فى مرحٍ:

- هذا هو شعرُك دائمًا يا عنترةُ. أعد علىَّ قولك وأطل فى الحديث فإنه ينزلُ على سمعى كما يقعُ الندى على أوراقِ الشجر.

فقال عنترة فى ألم:

- أليس يصلُ إلى قلبك غيرُ حديثى؟ ألم يعجبْك منى غيرُ شعرى؟ إنى أحدثُك وأصفُ لك حروبى، وأطربُ كلما سمعتك تستزيدين من وصفى، وأصفُ لك همومى فتهونُ علىَّ إذا سمعتك تعطفين بالرحمةِ على همومى. ولكنى إذا حدثتك بحديثِ قلبى لم أسمع منك إلا الإعجابَ بقولى. إن كل ما يعجبك منى إنما هو حديثى وهو شعرى. وما أنا عندك إلا حديثٌ وشعرٌ.

فقالت عبلةُ فى شىء من الضيق: وماذا يرضيك أن أقولَ يا عنترةُ؟ فأجاب عنترةُ فى صوتٍ متهدجٍ:

- أنا أقنعُ منك بأيسر ما يقنع به العبدُ يا عبلةُ. لقد ضقت برقى، وحطمت قيودى؛ لكى أكونَ بين الناس حرًّا. ولكنى لا أحبُّ إلا أن أبقى لك أنت عبدًا. لقد خدمتك أخلص ما تكونُ الخدمة ولم أستشعر منك يومًا كبرًا، ولكم جثوت تحت قدميك وأنا أقدم لك إناء اللبن لتشربى منه، وكنت أقولها لك من أعماق قلبى: «هنيئًا يا سيدتى!»، كنت أنت عُلالتى[3] فى حياتى، وكنت أطمع أن أكونَ عندك شيئًا، كنت أطمعُ أن أسمعَ من قلبك ولو نبضة واحدة تستجيبُ لخفقان قلبى.

فضحكت عبلةُ ضحكةً مرحةً بعثت رعدةً فى قلب عنترةَ. وقالت:

- ماذا أقولُ لك يا عنترةُ فى جواب قولك؟ ليتنى أستطيعُ أن أقول شعرًا فأرضيك بمثل قولك. ولكن هيهات يا عنترةُ! فلن تجدَ منى إلا قولا ضئيلاً: إنك ابن عمى.

فقال عنترةُ فى شىء من الحَنَقِ:

- إننى ابنُ عمك. إنها كلمة جوفاء لا تحملُ معنى.

---

(١) بلقعا: جرداء. (٢) لجة: مكان كثير المياه. (٣) علالتى: ما يتلهى به.

فاستمرت عبلةُ في ضحكِها وقالت:

ـ ألست يا عنترةُ عجيبًا؟ ليتني أعرف السبيل إلى كلمةٍ ترضاها، فأجاب عنترةُ في حرارة:

ـ أنت لا تعرفين السبيلَ إلى تلك الكلمةِ؛ لأن قلبك لا ينطوي عليها. وما طلبي ولجاجتي في أمرٍ إذا كان ما أطلب مستعصياً؟ قولي لي قولاً صريحاً يا عبلةُ. لا تتجملي في الجواب ولا تترفقي. قولي لي حقيقة ما تحسينه نحوي. قولي إنك لا تزيدين على أنك تعجبين بشعري وتشعرين بالسرور من قصصي وحديثي. وقولي إنك ترحمين تذللي لك وتعطفين على ولائي. قولي إنك لا تنظرين إليّ إلا كما تنظرُ السيدةُ إلى عبدٍ يخدمها. قولي لي ذلك كلَّه ولا بأسَ عليك فإني أعرفُ كيف يبدو لك وجهي. لقد طالما وقفت أمام الغدران أنظر إلى صورتي فلم أر فيها غير لوني الأسود وعينيَّ الصارمتين المتقدتين يطير منهما شعاعٌ مخيفٌ. قولي لي ذلك ولا بأسَ عليك إذا أنت لم يطربك مني غيرُ حديثي وشعري. فأين أنا من الفتى الجميل عمارة بن زياد؟

قالت عبلة في غضب:

ـ إنك تذهلني بسيلِ حديثك الحانقِ، حتى لقد ارتجَ[1] عليَّ القولُ فلا أجدُ لك جوابًا.

فقال عنترة غاضبًا:

ما أحمقني إذ أحاولُ أن أنتزع القولَ منك قسرًا!

فقالت عبلةُ وقد ذهب عنها مرحُهَا:

ـ يُخَيلُ إليَّ أن قولك يحملُ من الجد فوق ما كنت أحسبُ ، ماذا جنيتُ يا عنترةُ حتى أستحقَّ منك هذا العتابَ القارصَ؟ لقد بعدت في القول عما بدأت فيه. ألا تقول لي أنت ماذا تعني؟

فقال عنترةُ في حرارة:

ـ إنني أسألُكِ عن نفسك أنت. قولي لي الحقَّ ولا تترفقي. قولي لي إنك فوق نظراتي وفوق عبادتي.

فقالت عبلةُ في تبرمٍ[2]: قول عجيب وحق مناة، ألاح لك مني ما تكرهه؟

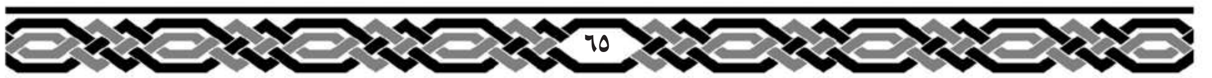
فقال عنترة بصوتٍ متهدج:

ـ أنت تتجاهلين ما تعرفين يا عبلةُ. تتجاهلين ما يتحدثُ به الناس جميعاً في نواديهم وطي بيوتهم. ألم يخطبك عمارةُ بنُ زياد، وأنت به راضيةٌ؟ ألم يولم له أبوك وليمة كأنه ملكٌ؟ أما كنت تخدمينه وتسعين في البيت تستحثين الإماءَ؛ لكي يبالغوا في إكرامه؟ هذه أنت منذ الليلة تراوغين ولا تريدين أن تتحدثي بشيءٍ وتخفين كل ذلك في أعماق قلبك.

---

(١) ارتج على القول: لم أقدر عليه.

(٢) تبرم: ضيق وضجر.



فقالت عبلةُ واجمةً:

عجباً منك يا عنترةُ. أهذا هو ما تعني؟

قال عنترةُ مندفعاً في غضبه:

ـ أليس هذا شيئاً عندك؟ إنك تتخذينني هزواً ولا تريدين أن تكشفي لي عن الحقيقةِ. الويلُ لعمارة والويل ثم الويل لك!

فنظرت عبلةُ إليه في دهشة، ثم دمعت عيناها وقالت:

ـ إنك ترميني بسهام في هذه الدفعاتِ الحانقةِ، وتلقي علي من الذنوب ما لا ذنب لي فيه.

واندفعت تسيرُ عنه مغضبةً.

فأسرع عنترةُ وراءها وهو يقولُ في ضراعةٍ:

ـ عفواً يا عبلةُ فإن شقائي هو الذي حرك لساني. أأقول لك الويل وإن دمعةً من عينيك أفتديها إذا استطعت بحياتي؟ ويلي أنا وتعساً لي! وحاشاك أن يحل الويل ساحتك يا بنةَ عمي.

ولكن عبلةَ سارت في طريقها صامتةً ومسحت دمعها بطرف كمها. واستمر عنترةُ قائلا:

ـ ألا تقولين لي إنكِ عفوتِ عني؟ أحقا أنت غاضبةٌ من فلتة لساني؟ قولي لي يا عبلةُ ما سألتك عنه ينصرف كل شقائي.. قولي أحقا ترضين عمارةَ بن زياد؟

فقالت عبلةُ في جفاء:

ـ وما شأني بزياد أو ابن زياد؟

فقال عنترةُ مترفقاً:

ـ قولي كلمة يستقر لها قلبي. إنهم يتحدثون ويملئون صدري شقاء. فهل رضيت به حقا؟

فقالت عبلة في حَنَقٍ وعناد:

ـ وما أنا وذلك ولست إلا فتاة في بيت أبي.

فقال عنترة في لهفة:

ـ ورضاؤك!

فقالت في شبه سخرية:

رضائي!

فقال عنترة ضارعاً:

ـ نعم رضاؤك يا عبلة. أنا لا أعبأ إلا برضائك أنت. فقالت عبلةُ في تحدٍّ:

ـ وما رضائي الذي تسأل عنه؟ فهل أنا إلا فتاة في بيت أبيها؟

فقال عنترةُ فى وحشيةٍ:

ـ إذًا تذهبى إلى بيت ابن زياد لو رضى أبوك؟ أتكونين له زوجةً إذا قبل مالكُ بنُ قراد؟ أتذهبين إلى بيت ابن زياد كما تذهب الأمةُ مع سيدها ؟

فقالت عبلةُ فى كبرياء:

ـ كف لسانَك يا عنترةُ. لست أمة، وما ينبغى أن يقال لى لفظ الأمة. إنما الأمة غيرى.

فصاح عنترةُ فى حَنَقٍ:

ـ نعم، الأمةُ غيرك يا عبلة. إنها زبيبة أمى.

فقالت عبلةُ فى جفاء:

قل ما بدا لك؛ فلن أجيبَك.

فقال عنترةُ فى صوت أجش:

ـ الآن قد برح الخفاء يا عبلةُ، وانجلى الظلامُ الذى كان يحجب الحقيقةَ عنى. الآن عرفت ما كنت أبغى. ما كان أحمقنى إذ كنت أسعى إلى أن أعرفَ هذا الذى عندك فأرتد إلى بيتى أشقى الناس بعد أن كنت أمرح فى جهالتى. إذًا فهو زوجك ابن زياد الذى ترضينه ويرضاه أبوك. وأما أنا فلستُ إلا ابن زبيبة الذى يحدثك، ويزجى لك وقت فراغك.

ثم ثار وقال فى وحشية:

ـ إننى ابن زبيبة الأمة، ولن يذهبَ ذلك العارُ عنى. فلأذهبن إذًا مع سيولِ الدماءِ وعواصفِ اللهبِ. ألا فاعلمى يا عبلةُ أن ابنَ زياد لن يقتربَ منك، فأنت لى أنا، أنا الذى أحببتك ولا أستطيعُ أن أحيا إلا بك. أنا ابن زبيبة الذى اشتريت نفسى بسيفى من أجلِك. نعم من أجلك أنت التى لا تعرفين منى غيرَ شعرى. ألا فاذكرى يا عبلةُ قولى، سوف أبعثُ إليك ليلةَ زفافك برأسِ هذا الفتى الوسيم؛ ليكون هديةَ عرسِك. ولن تزالَ العرب تتحدثُ بذِكْرِ هديتى.

وكانا قد قربا من بيت مالك بن قراد، فوقف عنترةُ يعترضُ سبيلَ عبلةَ وهى متجهةٌ إلى بيت أبيها، مادا إليها يده كأنه مستغفرٌ، واللفظ الحانق يكذب استغفاره. ومضت عبلة نافرةً باكيةً إلى خبائها. ووقف ينظر إليها حتى غابت، فاشتعلت فى صدره ألسنةٌ من النار، وضاق صدرُه، فدار على عقبيه فجأة واتجه نحو الصحراء وهو يخبطُ الأرضَ برمحِه، ولا يدرى إلى أين يتجهُ فيها.

أسئلة الفصل الثامن
علاقة قلقة

١ ـ «ومضت أيام كانت فيها الأعياد متصلة، وكان عنترة فيها واسطة العقد فى الأسمار والولائم. فلم يدع العبسيون وسيلة يعبرون بها عن شكرهم إلا توسلوا بها».

(أ) تخير أدق إجابة من الإجابات الآتية:

ـ معنى «واسطة العقد» : (أغلى شىء ـ محل الاهتمام ـ يلفت الأنظار).

ـ الجمع بين الأسمار والولائم يدل على: (ذيوع الشهرة ـ كثرة الكلام ـ زيادة التكريم).

ـ ماضى «يدع» ودع: (لم يستعمل ـ يستعمل بقلة ـ يستعمل بكثرة).

(ب) من مظاهر اهتمام العبسيين بعنترة:

ـ التغنى بشعره.

ـ رقص الفتيات بين يديه.

ـ عدم التعرض له عندما يتحدث إلى عبلة.

ـ مطالبة عمارة بترك عبلة لعنترة.

رتب هذه المظاهر بحسب أهميتها.

(جـ) لِمَ لَمْ تفصح عبلة عن حبها؟ وما مظاهر ذلك؟

(د) ما موقف كل من عبلة وعنترة من أحاديث الناس؟

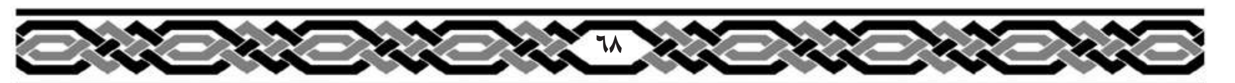
(و) استخرج من الفقرة تشبيهًا، وأسلوب توكيد وبين قيمة كل فى الكلام.

٢ ـ قالت عبلة: «ألست يا عنترة عجيباً؟ ليتنى أعرف السبيل إلى كلمة ترضاها، فأجاب عنترة في حرارة: أنت لا تعرفين السبيل إلى تلك الكلمة؛ لأن قلبك لا ينطوى عليها، وما طلبى ولجاجتى فى أمر إذا كان ما أطلب مستعصياً...».

(أ) ألست يا عنترة عجيباً؟ أجب عن السؤال السابق بالإيجاب مرة وبالنفى مرة أخرى.

ـ أى التعبيرين أدق: لا تعرفين السبيل إلى تلك الكلمة أم لا تعرفين تلك الكلمة؟ علل لما تقول.

ـ (لجاجتى ـ مستعصياً) هات معنى الكلمة الأولى فى جملة ومضاد الثانية فى أخرى.



(ب) ما الكلمة التى ينتظرها عنترة من عبلة؟

(جـ) «قولى لى حقيقة ما تحسينه نحوى»؟

ما حقيقة إحساس عبلة كما تصوره عنترة؟ وما سبب ذلك التصور؟

(د) كشف عنترة عن بعض الجوانب الخفية فى علاقة عبلة بعمارة وضح ذلك.

٣ ـ حوار عنترة مع عبلة تراوح بين اللين والشدة، اذكر من المواقف ما يؤيد ذلك.

٤ ـ «الآن قد برح الخفاء يا عبلة، وانجلى الظلام الذى كان يحجب الحقيقة عنى، الآن عرفت ما كنت أبغى... إذن فهو زوجك ابن زياد الذى ترضينه ويرضاه أبوك، وأما أنا فلست إلا ابن زبيبة الذى يحدثك، ويزجى بك وقت فراغك».

(أ) ما معنى «برح الخفاء»؟ وماذا أفاد عطف انجلى الظلام على برح الخفاء؟

ـ «يزجى» هات معنى هذه الكلمة فى جملة.

(ب) ما الذى قرره عنترة بعد هذا الحوار؟

(جـ) عرَّضت عبلة بأم عنترة ، فكيف كان ذلك؟ وما أثر هذا التعريض؟

(د) أترى أن عنترة كان صادقاً فيما قال؟ علل لما تقول.

(هـ) «لم تستخدم عبلة دهاء المرأة هنا» تخيل الموقف لو أنها استخدمت دهاءها.

(و) أتهديد عنترة بقتل عمارة دليل على كره عبلة أم شدة حبه لها؟ علل.

(ز) استخرج من الفقرة السابقة:

ـ منادى وأعربه.

ـ ظرفًا وبين نوعه.

ـ اسمًا من الأسماء الخمسة واذكر علامة إعرابه.

◆ ◆ ◆



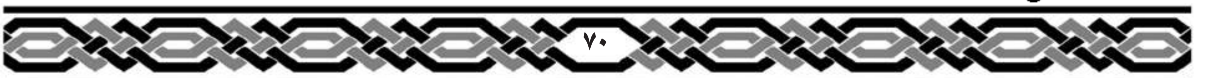
(٩) رحيـــل عبلـــة

خلا وادى الجِوَاءِ من منازلِ مالك بن قراد منذ نزح بأهله إلى أرض شيبانَ، وقد ضاقت به الحياةُ فى قومه منذ جهر عنترة بما ينطوى عليه قلبهُ من حبِّ عبلةَ والتعلقِ بها، وما اعتزمه من عداوةِ كل من يجرؤُ على طلبِ زواجها. وكان مالكٌ يضمرُ فى قرارةِ نفسه إحساساً بالمعرة من أن يعطى ابنتَه لعنترةَ وإن كان فارسَ قومِه وحاميهم. وما كان مثلُه ليصهرَ إلى رجلٍ ولدته زبيبة الأمة. فيمزج دماءه بدماء عبد وإن كان ذلك عنترةَ الفارسَ ابن أخيه شدادٍ. وكان عمرو بن مالك أشدَّ من أبيه أنفة[1] وكبراً، فكان يؤْثرُ صديقه عمارة بن زياد المنحدرَ من سلسلةِ الأمجادِ من الآباءِ والحرائرِ من الأمهاتِ والجداتِ. ولم تكن عبلةُ بأقل ضيقاً وتبرماً بالإقامةِ فى عبس من أخيها وأبيها، فقد وجدت نفسها قطبَ الأحاديث فى أندية قومها وهدفَ الحسدِ من صاحباتها، لا يخلو يوم من نفرة فى الحى من أجلها، حتى كان القتال يدور بين طوائف متنازعة فى قبيلتها، فمنهم من كان يهتف بعنترة، ومنهم من كان يتحيز لعمارة، وهم فى كل يوم وفى كل ليلة يتصادمون ويتنازعون حول اسمها فانطوت على نفسها كئيبةً لا ترضى بأن تزورَ ولا أن تخرج للقاء من يأتى إليها زيارة وكانت صاحباتُها كلما جئن إليها لم يجدنها على عادتها مرحةً مستبشرةً تملأ المجالسَ بهجةً وتبثُّ فيها روحاً من صوتِها العذبِ الضاحكِ. وكان ألَمُها يزدادُ كلما تذكرت ما كان بينها وبين عنترةَ فى تلك الليلةِ إذ قسا عليها، وقال لها إنها ستذهبُ إلى بيت عمارة كأنها الأمة. ولم يتردد فى غضبه أن ناداها بالويل، وأغلظ فى حديثه لها، ولم يرض منها بما كانت تهدهد به نفسَه من مواساتها واعتذارِها، بل إنه هددها بهديته الدموية إذ قال إنه سوف يرسل إليها رأسَ عمارةَ ليلةَ زفافها.

وكانت فى اعتكافِها ساكنةً تقضى أكثر الوقت ضعيفة فى فراشها وتبكى أحيانًا ولا تدرى ما الذى أبكاها، حتى حال[2] لونُها، وذبلت نضرتُها، وامتلأ صدرُها كآبةً وهمًّا. وضاق المقامُ بأبيها مالك، وحار فى أمره كيف يطيقُ الحياةَ وهو يسمعُ الناسَ

---

(١) أنفة: شموخ وغزة ونفور. (٢) حال: تغير.



ينشدون شعرَ عنترةَ في ابنته ويستعيدونه في مجالسِهم، فكانت أنفته تثورُ، ولكنه كان لا يستطيعُ أن يقاتلَ الناسَ كلَّ يوم وهم لا يفعلون أكثرَ مما يفعله العرب في إنشاد قصائدِ الشعراءِ. ولكن ولدَه عمرًا كان لا يقدرُ أن يمسكَ نفسه، فكان لا يمر بقومٍ يتغنون بذلك الشعرِ إلا بادرهم بالسب وهمَّ بقتالهم. فأشفق مالك من ذلك كله، ولم يجد مخرجاً من الأمر إلا أن يعلنَ قومه بأنه لن يزوجَ ابنته لعمارة ولا غير عمارة، ثم غادر أرضَه ورحل إلى أرضِ أصهارِه بني شيبان.

وأما عنترةُ فإنه لم يطق البقاءَ في عبس بعد أن رحلت عنها عبلةُ، فهام[1] على وجهه في الصحراءِ، فكان لا يلم[2] بالحيِّ إلا بين حينٍ وحينٍ، وكانت زيارتُه لا تزيدُ على أن تكونَ زيارة لوادي الجواءِ ليقضي أربَهَ[3]، فيتنسمُ نسيمه وينشدُ عنده بعضَ شعرِه، ثم يعودُ إلى صحرائه ليضربَ في شعابها.

وجاء يوماً إلى أرضِ الشربة، وزار طَلَلَ[4] دارِ عبلةَ في وادي الجواء. وقد برزت وجنتاه، وغارت عيناه، واصفر لونه الأسمرُ، وصارت عيناه تأتلقان، كأن شعاعهما بريق السيف في ضوءِ القمر.

وجاء إلى طللِ الدارِ فجال بين مواضع نيرانِه وآثار أوتاده وبقايا نُؤيه[5] التي كانت تحيط بخيامه، ثم وقف مبهوتاً يمسك أعلى رمحِه المركوزِ في الرمل مسنداً بذقنه عليه كأنما هو تمثال في خرائب معبد مندثر:

وجعل يترنم قائلاً:

ولقد نزلت فلا تظني غيرَه
منى بمنزلة المحبِّ المكرمِ

هلا سألت الخيلَ يا بنة مالكٍ
إن كنتِ جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهدَ الوقيعةَ أنني
أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنمِ

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمَها
قيلُ الفوارسِ ويكَ عنترَ أقدم

---

(1) هام: خرج لا يدرى أين يتجه. (2) يلم: ينزل. (3) أربه: حاجته.
(4) الطلل: آثار الديار. (5) النؤى: هى الحفيرة حول الخيمة تمنع عنها السيل.

ولـــقـــد ذكــرتكِ والـــرمـــاح نـــواهـــلٌ

مـــنـــى، وبــيـضُ الــهـنـدِ تـقـطـرُ مـن دمـى

وقضى ساعةً وهو يتأملُ ما تحت عينيه. فهناك كان خباؤها، وهناك كانت تقبلُ عليه باسمةً، وهناك كانت تضحكُ مكركرةً، وهناك كانت تقفُ ناظرةً إليه فى عطف وهو يصفُ لها آخرَ مغازيه.

ثم تذكَّرَ كيف أتى إليها عندما سمع بمرضها فلم يأذن له أبوها برؤيتها فلما أرسل إليها أمَّه لم تجد سوى البكاءِ، ولم تسمع منها إلا كلمات يبدو فيها الحَنَقُ والحزنُ ونظر إلى بيوت الحى المنثورةِ فى أنحاء الوادى فأحس من نفسه دفعةً إلى أن يمضىَ إليها فيهدمها على من فيها، ويطعن فيهم برمحِه، ويضرب بسيفه حتى لا يبقى منهم أحدا في الديار التى كانت هى صاحبتها وهى النازلة فيها. فما تلك البيوتُ بعد أن خلت من عبلةَ؟ وما تلك القبيلة كلها بعد أن رحلت عبلةُ عنها؟

وجعل يتغنى وهو متكئٌ بذقنه على يديه، مستنداً على رمحه، لا يحس شيئا مما حوله، حتى جاء أخوه شيبوبُ من ورائه وهو لا يحسُّه وكان يقول:

خـــلـيـلـىَّ أمـســى حبُّ عــبـلـةَ قـاتـلـى

وبـــأســى شــديــدٌ، والــحــســام مــهــنــدُ

حــرامٌ عــلــىَّ الــنــومُ يــا بــنــةَ مــالك

وَمَــنَ فــرشُــه جَــمْـرُ الـغضـا[1] كـيـف يـرقـدُ؟

وألثم[2] أرضــا كــنـتِ فـيـهـا مـقـيـمـةً

لـعـل لـهـيـبـى مـن ثـرى[3] الأرض يـبـردُ

لــئــن يشـمـت الأعــداءُ يــا بــنــة مــالك

فــإن ودادى مــثــلــمــا كــان يــعــهــد

فناداه شيبوبُ من ورائِه:

ـ ها هى ذى ركائبُك يا عنترةُ حاضرة.

---

(١) الغضا: شجر غليظ الجمر والنار.

(٢) ألثم: أقبل.

(٣) ثرى الأرض: تراب الأرض.



فنظر عنترةُ إليه فى فتورٍ، ونزع الرمحَ من الرملِ وسار يجرُ رجليه حتى ركبَ فرسه. وسار أخوه يسوقُ الإبلَ المحملةَ من ورائه، يسمعُ إنشاده كأنه يهمسُ به إلى نفسه، حتى بعدَ عن الحى وأوغل[1] فى الصحراء.

وأقبل الليلُ فتقدم أخوه نحوه وسأله النزولَ، فقال عنترةُ واجمًا:

لوددتُ أن أسيرَ ليلى ونهارى، فإنى لا أريدُ أن أستقرَّ يا شيبوبُ.

فقال شيبوبُ مازحاً:

ـ ولكنى لستُ مثلَك يا عنترةُ. ولابدَّ لى أن أذوقَ من الطعام بعدَ كلِّ يومٍ.

فنزل عنترةُ وانتحى مكاناً من كثيب فَرَقَد فوقه، وذهب شيبوب ليوقد النار ويعد الطعامَ. فلما فرغَ من ذلك عادَ إلى أخيه يحملُ صحفةَ[2] ثريدٍ، فأراد عنترة أن يرضيه فأكل معه لقيماتٍ، وهو يغمغمُ بين حين وآخر ببعضِ الشعرِ.

واتجه شيبوبُ إليه بعد حينٍ فقال:

ـ هذا الفضاءُ الفسيحُ يشملُنا وحدَنا، فكلُّ ما فيه من أوديةٍ وتلالٍ وأغوارٍ لنا وحدنا. ولو كان فى هذه الأودية أموال لم يمتنع علينا شىءٌ منها، فنحن نملكُ هذه الأرضَ كلَّها يا عنترةُ.

فقال عنترةُ فاتراً:

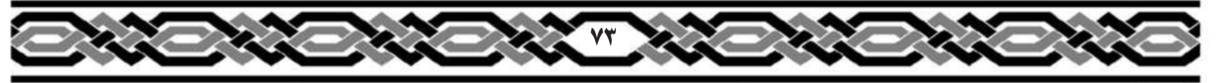
ـ ولكنى لا أطلبُ من هذه الحياةِ شيئاً يا شيبوبُ. فما أصنعُ بالمال وقد فقدتُ عبلة؟ ماذا أصنع لو ملئت لى هذه الأرض خيلا وإبلا، وفاضت لى عيونًا، وأخرجت لى من حصاها لؤلؤاً وياقوتاً؟ ماذا أصنع بهذا كلِّه وقد فقدتُ عبلةَ؟

ويل للإبلِ ومن يملكونها! فمسعلُ بن طَرَّاق الكندى يملك من الإبلِ ألوفًا وهو يسوقها صداقًا إلى مالك يريد أن ينزعَ منى عبلةَ. وفى بنى شيبان قيسُ بن مسعود يملك منها الألوف وهو يهبها لعله يفوز بعبلة لابنه بسطام. وعمارةُ بنُ زياد يملكُ منها الألوفَ ويسوقُها إلى مالك لكى يزوجه بعبلةَ. كل هؤلاء يملكون الإبل فتعسًا لها وبعداً لمن ملكها !

---

(١) أوغل فى الصحراء: دخل فيها.

(٢) صحفة ثريد: إناء الطعام.



فقال شيبوبُ في مرحٍ:

ـ لو كنت أنا عنترة لقصدت إلى بنى شيبانَ فنزعتُ عبلةَ من بين ظهرانيهم وخرجت بها إلى البريةِ كما يخرجُ الأسدُ بفريستهِ.

فقال عنترةُ متحركاً فى ضجر:

ـ بل أذهبُ إليها لكى أذرفَ دمعى وأدفقَ لها ما بقلبى لعلها ترضى عنى، لقد كدت يوماً من الأيام أهم بأن أفعلَ ما تذكرُه الآن. فلقد كنت حريصاً على أن أفوزَ بعبلة. ولكنى لا أنظرُ اليومَ إلى أن أفوزَ بها. لقد بلغت منى فوق ما يبلغُ النساءُ من الرجال. فأنا لا أطمعُ اليوم فى أكثر من أن أستردَّ رضاها.

ولاحت عند ذلك سحابةُ من الطيرِ تضيءُ بشعاعِ القمرِ ميممة[1] نحو الشرق، فقال عنترةُ وهو ينظرُ إليها:

ـ ليت لى جناحَ هذا الطيرِ فأذهبَ حيث شئت وأتنقلَ مع سرعة خاطرى إلى حيث تتوقُ نفسى. بل ليت لى مثل جناحها فأحلقَ فوق هذه الأرضِ لكى أرنو[2] إلى عبلةَ من السماءِ قانعاً بنظرةٍ أصيبها[3] كلَّ يوم منها.

وسكت لحظةً ثم قال فى صوتٍ حانق:

ـ إن كلَّ الناس لا يزالون ينظرون إلىّ كما ينظرون إليك. إننى ابنُ زبيبةَ الأمةِ حتى وإن نسبنى شدادُ إلى عبس.

فقال شيبوب ضاحكاً:

ـ أما أنا فلستُ أبالى كيف ينظرون إلىّ.

فقال عنترةُ فى رفقٍ:

ـ لقد كدتُ أحسدُك على ما أنت فيه يا شيبوبُ. فإنى مازلتُ حيث كنتُ بعيدًا عن سعادتى، كنتُ من قبل ألمحها أمامى وهى لا تزالُ أمامى كأنها تهربُ منى كما يهربُ الجبانُ الذى يركبُ مهرًا سريعًا. لم يكن الرقُ هو الذى يحولُ بينى وبين سعادتى. ليس الرقُّ سوى لفظٍ يسترون به ما فى نفوسهم من الكبرياء. ليس الرق هو الذى كان يشقينى، بل هو الوهم الذى يرضى به الضعفاءَ أنفسَهم ويسترون به ضعفَهم. فهم لا

---

(١) ميممة: متجهة. (٢) أرنو: أنظر. (٣) أصيبها: أنالها.

يجدون ما يميزون به أنفسَهم ولا ما يسمون به إلى المكارِم، فيأبون إلا أن يهبطوا بمثلى إلى ما دونهم، حتى يلوحوا فى الأعين أعظمَ من عنترةَ.

فقال شيبوبُ:

ـ أنت تحس الذلَّ لأنك تحتاجُ إليهم. إن هذا الغُلَّ[1] الذى تضعه حول عنقك هو الذى يُذلك، وليس ما تحسبه من كبريائهم إن هذا الحبَّ الذى تتحركُ فيه لا أسميه أنا إلا الرقَّ والذل فعجبًا منك إذ تقوى على الحروب تخوضُها، ولا تقوى على قيدك الذى تقيدك به فتاة.

فقال عنترةُ:

ـ لستُ ألومك يا شيبوبُ، لأنك لا تحملُ مثلَ نفسي ولو كان لك قلبُ لما تحرك إلا كما يتحرك قلبى. أنت تخدع نفسَك حتى ترضى بما أنت فيه فدعنى وشأنى.

فقال شيبوب: إنما العبد من يستمدُّ من الناس حريتَه إنى أعيشُ لنفسى. وإذا نظرت إلى هؤلاء الناس لم أكد أرى منهم أحدًا سواك أنت وأمى وإخواتى.

فهز عنترة رمحه وقال:

ـ إنه قضائى. وليكن لك ما ترى. لست ألومُك على شىءٍ مما تقولُ، ولكنى سأذهبُ إليها لعلى أنظرُ إلى وجهها، ولعلى أجد الدمع قد جف من مقلتيها. ولن أزال بهذا الرجل مالك بن قراد حتى أتملقَ كبرياءه، ولن أزال بابنه الأحمق عمرو حتى أهدهدَ[2] غروره. سوف أتذلل حيناً، وسوف أبكى حينًا، ثم سوف أقتحم اللججَ والنيران حيناً.

سوف أخدم بنى شيبان وأرعى لهم غنمهم وإبلهم كما كنت أرعى غنم شداد وإبله لكى يرضوا بمقامى قريباً منها.

فرد شيبوب قائلاً:

ـ أحمقُ ورب الكعبة، إنهم لا يريدون إلا بعدَك. ولو وجدوا فيك فرصةً لزجوا بك فى المهالِك حتى لا يروا لك وجهاً وأما أنا فإنى لن أعدلَ بهذه الحياة شيئاً، هى عندى خيرٌ من عبلة وكل قومها. أنا أعرفُ كيف أحيا وكيف أنعم بطعامى وشرابى. أما أنت فلا أظنك تحرصُ إلا على الخيال الذى يصورُه لك الوهمَ. اذهب كما شئت والتمس ما شئت فأنا أحبُّ أن أكونَ معك، ولن أتخلى عنك ولن أدع صحبتَك. إنك تحبُّها لأنك تطلبُ علالةً[1] لحياتِك. أنت تجدُ لذتَك فيما تأملُ وما ترجو وما تسعى له من آمالِك وأما أنا فإنى أجد لذتى فيما أذوقُ بلسانى وما ألمسه بيدى وما أقارفه[2] فى يومى. أنت تسعى وتتألم فى سبيل وهم باطلٍ، وأنا أحيا وأتنعم فيما أحسُّه حقيقةً فى يدى.

* * *

(١) الغل: القيد.

(٢) أهدهد غروره: أجعله يهدأ.

(١) علالة: ما يتلهى به.

(٢) أقارف: أخالط.



أسئلة الفصل التاسع
رحيل عبلة

١ ـ «وضاق المقام بأبيها مالك، وحار في أمره، كيف يطيق الحياة وهو يسمع الناس ينشدون شعر عنترة في ابنته، ويستعيدونه في مجالسهم، فكانت أنفته تثور.....
ولم يجد مخرجا من الأمر إلا أن يعلن قومه بأنه لن يزوج ابنته لعمارة ولا غير عمارة، ثم غادر أرضه، ورحل إلى أرض أصهاره بني شيبان».

(أ) هات معنى (أنفة) في جملة، ومضاد (يعلن) في جملة أخرى.

(ب) أحس مالك بالعار: لأن عنترة كان ينشد الشعر في ابنته ـ لأنه سيزوج ابنته لعنترة ابن زبيبة ـ لأن عَمْرَ بن مالك يؤثر صديقه عمارة.
اختر أدق سبب لإحساس مالك بالعار من الأسباب السابقة.

(جـ) كيف أثر هذا الموقف على عبلة؟ صف حالها.

(د) أدى الشعر دوره في تسلية عنترة . وضح.

(هـ) اكتب من أبيات عنترة ما يدل على المعاني الآتية:
« شهادة الخيل لعنترة بالبطولة في المعارك»
« شهادة أبطال المعارك لعنترة بقوة الاقتحام وعفة اليد » .

٢ ـ قال شيبوب: «... أنت تجد لذتك فيما تأمل، وما ترجو وما تسعى له من أمامك، وأما أنا فإني أجد لذتي فيما أذوق بلساني، وما ألمسه بيدي، وما أقارفه في يومي. أنت تسعى وتتألم في سبيل وهم باطل، وأنا أحيا وأتنعم فيما أحسه حقيقة في يدي...».

(أ) أترى في ترتيب الأفعال (تأمل، ترجو، تسعى) قيمة؟
(أقارف) أدخل الفعل السابق في جملة من عندك.

(ب) في العبارة موقفان متناقضان من الحياة، وضحهما، وبين إلى أي الرأيين تميل؟

(جـ) كان عنترة ممزق النفس مضطربًا اذكر بعض المواقف التي تثبت ذلك.

(د) «سبيل وهم باطل» اجمع الكلمتين (سبيل ووهم) وغير ما يلزم.

(هـ) هات من العبارة السابقة خبرًا جملة، وظرفًا وبين نوعه.

• • • •



(١٠) حيـــاة الغربـــاء

كان مقامُ مالك بن قراد وأهلِه فى بنى شيبانَ كريمًا إذ نزل جارًا عند سيدِ القوم قيس بن مسعود، فلم يَجدْ فى جوارِه إلا العزَّ والمَنَعَةَ والمروءةَ الكاملةَ. ولكنه مع ذلك لم يكن سعيدًا ولا راضيًا، لأنه لم ينس أنه رجلٌ من عبس ضاق به المقام فى قومه فاضطر إلى أن يهاجرَ بأهله، ويحل ضيفاً على أصهاره. وكان يتنسمُ الأنباءَ عن عبس، فإذا ما أتت قافلةٌ من الحجاز إلى العراقِ خرج يسألُ أهلَها فى لهفةٍ عن إخوتِه وعن أبنائهم وعن أصحابه الذين طالما شاركهم وشاركوه فى السراءِ والضراءِ وفى النصرِ والهزيمةِ. وامتلأ صدرُه بشعورٍ يشبهُ الندمَ على أنه تركَ وطنه وأهله من أجل عارضٍ عَرضَ له كان أولى به لو صبرَ عليه أو فسح له من صدرِه، ولم يُطع فيه كبرياءه وكبرياءَ ولده. وكثيرًا ما حدثته نفسُه بالعودةِ إلى أرضِ الشربةِ والعلم السعدى، فأفضى برأيه إلى ولدِه عمرو، ولكن ولدَه كان صارمًا صلبًا فلم يتزعزع عن رأيه، وبقى على عزمِه الأول أنه لن يعود إلى عبس حتى يحلَّ العقدةَ التى بينه وبين عنترةَ.

كان عمرو بن مالك لا يكادُ يطيقُ أن يسمعَ ذكرَ عنترةَ، فإذا ما ذكره أحد أمامه عفواً لم يملك نفسَه واندفعَ فى سخطه عليه لائمًا حانقًا. وكان لا يزالُ مصراً على تسميته العبدَ ابنَ زبيبةَ. وقد توثقت الصداقةُ بين عمرو بن مالك وبين بسطام بن قيس وكان شابًا فى مثل سنه منعماً جميلاً، يقضى حياتَه كسائر أبناءِ السادة فى صيد أولهو، فإذا عزم قومُه على غزوةٍ سارع إليها وكان فى صدرِ الكتائبِ يكسبُ المجدَ فى الحربِ ليمهدَ لنفسه السيادةَ فى شيبانَ.

وأفضى بسطام إلى عمرو أنه يريدُ الزواجَ من أخته الجميلةِ عبلةَ، فرحب عمرو به لما كان بينهما من المودةِ، ووعده أن يكونَ رسولَه إلى أبيه مالكٍ، ووعده أن يبذلَ ما فى وُسعِه ليحملَ أباه وأختَه على الرضاءِ، ودخل عمرو على أبيه فى بيتِه عشيةَ يومٍ فقال له:

ـ لقد كنتُ أحبُّ أن أفضىَ إليك بحديثٍ يا أبى.

فمد مالك طرفَ ثوبٍ كان جالسًا عليه وقال له:

ـ تعالَ يا ولدى فاجلس هنا؛ فإنى أحسُّ فى صدرى وحشةً منذُ الليلةِ.

فجلس عمرو إلى جانبه وصمتَ حينا ثم قال:

ـ أريدُ أن أحدثَك فى شأنِ عبلةَ.

فالتفت إليه أبوه قائلاً:

ـ هل لعبلةَ شأنٌ آخرُ فى شيبانَ؟

فقال عمرو:

ـ وهل يفرغُ للبنات شأنٌ يا أبى؟ أليس همُّ الأبِ والأخِ أن ينظرا فى أمرهن؟

فقال مالك:

ـ لا بعدت يا عمرو، امض فى الحديث.

فقال عمرو: إلى متى تبقى عبلةُ بغيرِ زواجٍ؟

فقال مالكُ وقد فاجأه هذا القولُ:

ـ أتريد أن تزوجَها ونحن هنا ضيوفٌ؟ أليست هى عبلة ابنة مالك بن قراد؟ إنا هنا ضيوف يا ولدى عند أصهارنا، ولا ينبغى أن يأتى الخاطب إلا إلينا فى ديارِنا. ولقد كنتُ أفكر فى هذا الأمر قبل أن تأتىَ إلىَّ، وهو الذى بعث الوحشة إلى صدرى.

فقال عمرو:

ـ ألست ترضى بسْطَام بْنَ قيس؟

فقال مالك فى شبه فزع:

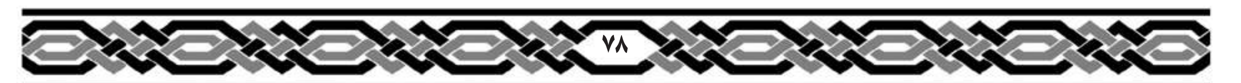
لقد أضلك الهوى يا عمرو، وأراك لا تهتدى. ما سؤالك هذا فيما كنا نتحدثُ فيه منذ لحظة؟ إن بسْطَام بن قيس رضا وابن رضا، وهو خير من تُزف إليه بنت سادةٍ أحرار. ولكنى لا أتحدثُ عن بسْطَام وكفاءته، فنحن هنا ضيوفٌ فى غير قومِنا، وما أحرى الناسَ أن يقولوا : لقد أخذ قيس بن مسعود عبلةَ من أبيها. وقد يقولُ العربُ : إن قيسًا طلب عبلة لابنه بسطام، فلم يستطع أبوها أن يمنَعها.

وقد يقولُ هذا الأسودُ يوما إننى هربت بها حتى.....

فقاطعه عمرو فى حَنَقٍ:

ـ وما لنا وذلك الأسود؟ إنك يا أبت لا تزالُ تذكُره كأنك لا تريد أن تُخلى قلبَك منه. لقد تركنا له قومَنا ووطننا، فهلا طرحته من نفسك فلا تعودَ إلى ذكره؟

فقال مالكٌ:



- كأني بك تريدُ منى أن أغمضَ عينى حتى لا أرى ما هو ماثل أمامى.

فقال عمرو فى ضيقٍ:

- إنك لتشعرُنى الذلةَ كلَّ يومٍ وأنت تلهجُ باسمِ عنترةَ، كأن صورته قد جاءت وراءنا إلى أرضِ شيبانَ لتزعجَنا، فما فراقُنا أرضَ عبس إذا كان عنترةُ لا يزالُ معنا؟ زَوِّجْ عبلةَ لبسطام، فَوحَق مناةَ إن عنترة لن يستطيعَ أن ينطقَ بعدُ باسمها.

فضحك مالكٌ ساخرًا وقال:

- إنك لا تعرف عنترةَ يا ولدى كما عرفته لستُ أدافع عنه، ولست أحبُّه، بل إنى أمقته[1] مقتاً لا تستطيع أنت أن تحسَّه. إننى أمقته، ولو قدرت على أن أوردَه المهالك لما ترددت لحظةً فى أن أوردَه. ولكم حاولت أن أردَّه عن عبلةَ بالمكرِ والخديعةِ والمؤامرةِ حتى شاع كرهى له، وعجزى عنه. ولكنه يحبُّ عبلةَ يا ولدى، ولن أستطيع أنا، ولن تستطيع أنت ولا أحدٌ من عبس أو شيبانَ أن يكممَ فمه عن النطقِ بها، وإنشادِ الشعرِ فيها.

وأطرق حزينا صامتا، فتحرك عمرو فى قلقٍ وقال فى حقدٍ:

- إذا كنتَ أنت يا أبىِ قد عجزت عنه فدع من يستطيعُ أن يلقاه ويكفيك شرَّه.

فرفع مالك رأسه، وقال ساخرًا:

- أذلك بسطام بن قيس؟

فقال عمرو متحديًا:

- نعم ذلك بسطام. إنه يريدُ عبلةَ ولا يحجمُ[2] عن الذهاب إلى أقصى الأرض؛ لكى يأتىَ إليك برأسِ ذلك العبدِ.

فضحك مالكٌ، وقال:

- أيذهبُ فى جيشٍ من شيبان لغزو عبس؟

أهذا ما يريد بسطام؟

فقال عمرو:

- بل يذهب إليه وحده، لينازله، ويأتيك برأسه فوق سنانِ رمحِه[3]، وسوف تكونُ مفخرةَ الأبد!

---

(١) أمقت: أكره. (٢) يحجم: يمتنع.

(٣) سنان الرمح: حده.

فقاطعه مالك حانقا:

- بل تكون مذلةَ الأبدِ يا عمرو: سيقولُ العرب عنى وعنك إننا عجزنا عن عنترة، فبعنا عبلة لبسطام حتى ينتصفَ لنا، لكن ما بالك تحدثنى عن بسطام وعن عنترةَ؟ هذه أختك لا تزالُ باكيةً فى صباحها ومسائها لا تذوق للحياة طعما. أهذا لأنها تكره زواج عنترة؟!

فتحرك عمرو مرةً أخرى فى قلق وقال:

- وماذا يعنيك من عبلة إذا كانت تبكى فى صباحها ومسائها؟ إنها فتاةٌ حمقاءُ سخيفةٌ، قد أوحش قلبها من صاحباتها فى عبس.

فقال مالك فى حرارة:

- لقد عرفت ابنتى عبلةَ، وما أحبُّ لها أن توصفَ بالحمق والسخفِ. إنها زينةُ فتيات عبس، وليس فى قبائلِ العرب فتاةٌ تعدلها عقلاً، ولا أقولُ حسنًا.

فقاطعه عمرو فى حَنَق:

ألم تكن هى التى أطمعت عنترةَ فينا؟ ألم تكن هى التى جرأته على التطلعِ إليها؟ أليست هى تهواه، وترضى أن يكونَ العبدُ ابن زبيبة زوجَها؟

فصمت مالكٌ وجعل ينكت[1] الأرضَ بعصا صغيرة فى يده.

واستمر عمرو يقول:

- وليس أدل على حمقها وسخفها من أنها لا ترضى ببسطام بن قيس زوجا لها.

فصاح مالكٌ فى دهشةٍ:

- أعرضت عليها زواجَ بسطام؟

فقال عمرو:

- بل ذَكَرْتُه لها أمى فى ثنايا حديثها، فأعرضت عنها، وبكت، وقامت إلى مخدعها فاعتكفت به.

فقال مالك فى حزن:

- إنكم تعذبون الفتاة وما لكم تريدون أن تكرهوها على زواجٍ من لا ترضى؟ لقد آليتُ على نفسى أن أجعلَ أمرَها لنفسِها. ألا تذكرُ يوم أن عرضت عليها عمارةَ بن زياد؟ ألم تقل لى إنها لا ترى إلا ما يرى أبوها وأخوها، وإن كانت لا تحبُّ الزواج من عمارة؟

---

(١) ينكت الأرض: ينبش الأرض.



فصاح عمرو:

ـ وإذا كانت لا تريد سوى عنترةَ:

فتردد مالك حيناً ثم قال:

ـ وأين عنترةُ اليوم منها؟

فقال عمرو:

ـ إنك إذا كنت لا تريدُ تزويجَها إلا بمن تريدُ هى فإنها لن ترضى بغير عنترةَ.

فصمت مالكٌ لحظةً ثم قال:

ـ إن فى العربِ مَن يُرضيها.

فقاطعه عمرو قائلا:

فإذا كانت لا تَرضى إلا بعنترةَ. أتزوجُها له؟

فقال مالك فى ثبات:

ـ أزوجُها له.

ثم وضع وجهَه بين يديه كأنه يواريه من معرةٍ.

فصاح عمرو فى حَنَقٍ:

ـ إذًا فلن يبقى هذا العبد لكى يَمْزِجَ دماءه بدمائنا، ويحملَ نسلُنا أبد الدهر عارَه.

واندفع خارجاً من الخيمةِ ذاهبا إلى منازلِ قيس بن مسعود.

تحرك فى تلك اللحظةِ شبحٌ فى الظلامِ من وراءِ الخيمةِ فتسلل إلى الخيمةِ التى تليها وكانت خيمةُ عبلةَ فأتى إليها من جانبها زاحفاً فى سكونٍ، وجعل يتسمعُ حينا، ثم رفع طرفَ الخيمةِ، وأطل برأسِه فى داخلها مترفقًا حذرًا. فلما اطمأنَّ إلى أن ليس بالخيمةِ أحدٌ يخشاه همس قائلا:

ـ عبلةُ، لا تراعى[1] فأنا شيبوب؟

فقالت عبلة فى صيحة مكتومة:

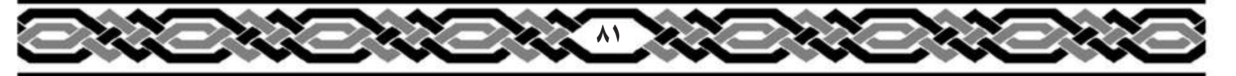
ـ ويحك يا شيبوبُ، أأنت هنا؟

وقامت إليه تهمسُ:

ـ متى جئت؟ وفيم سعيت؟ وهل جئت وحدك؟

---

(١) لا تراعى: لا تخافى.



فقال شيبوب:

ـ جئت الساعةَ وتجسست على أخيك وأبيك وهما يسبان عنترةَ، ثم جئت لأخبرك أن عنترةَ قريبٌ من هنا. وقد جاء يعتذر إليك، ويطلب عفوك. إنه لا يكاد يذوقُ طعاما، ولا يفتأ يلهجُ بذكرك فى نهارِه وفى ليله.

فقالت عبلةُ فى نغمةِ حزن:

ـ أما كفاه طردى وتشريدى؟ أما كفاه غربتى وتعذيبى؟ هل أتى ليعيدَ على أذنى تقريعَه وتعنيفَه؟ ومع ذلك كله فقد نسينى ولم يعد يذكرنى. إنه اليومَ لا ينشدُ الشعرَ إلا فى شكوى زمانِه وفى ذمِّ قومى.

فقال شيبوبُ:

ـ بل هو لا يفترُ عن الإنشادِ باسمك في كل صباح وكل مساء. إنه يجعلُ ذكرَك غذاءه الذى يتغذى به، وسَمَره الذى يؤنسه. إنه لا يعيشُ إلا على ذلك يا عبلة.

فوضعت عبلةِ رأسَها بين يديها، وجعلت تبكى وقالت فى تهاتفها:

ـ وأين تركته يا شيبوبُ؟ قل له يعد من حيث أتى. فإن القومَ هنا أعداؤه وكلُّهم يتمنى أن يراه معفرا فى الترابِ.

فقال شيبوبُ مسرعا:

ـ لن أستطيعَ ردَّه عن رؤيتِك يا عبلةُ. لن أستطيع ردَّه إلا إذا استطعتُ أن أردَّ السيلَ المتدفقَ أو الصخرةَ المنحدرةَ من قمةِ الجبلِ.

وسمع عند ذلك صوتَ أقدامٍ فهمست عبلةَ فى خوفٍ:

ـ أسرع يا شيبوبُ فاخرج.

فأسرع شيبوبُ زاحفًا من جانبِ الخباءِ، ولكنه تعثر فلم ينجُ حتى دخلَ عمرو بن مالكٍ فلمحَه، وصاح بأخته فى غضب:

ـ من يكون هنا يا عبلة؟

فصاحت به عبلةُ:

ـ إنه أحدُ بنى شيبانَ جاء إلى خبائى. أهذا يَسُل[1] حقدَك علىَّ، ويطمئن فؤادَك؟

(١) يسل حقدك: يخرجه من صدرك.



ووجد شيبوبُ أنه إذا أسرعَ هاربا ترك عبلةَ وحدها لغضب ذلك الفتى المتجبر، فزحف راجعا حتى دخلَ الخباءَ، ووقف أمام وجه عمرو وقال له:

- لعلك تعرفُ من أنا يا عمرو بن مالك. لعلك تصرفُ غضبك إلىّ أنا. فأنا الذى جئت إلى هنا، وتجسست عليك إذ كنت تشتمُ أخى وتتمنى له الهلاكَ. وأنا الذى كنتُ دخلت إلى خباءِ أختك خفيًا من تحت الأستارِ لأحدثَها. فاصرفْ غضبك إلىَّ فإنى أعزلُ.

فصاح به عمرو:

- وفيم جئتَ إلى هنا أيها العبدُ؟ أما وجدتَ فى صحبةِ أخيك خيرا فجئتَ إلينا لتعكرَ علينا مقامَنا فى شيبانَ؟

فقال شيبوبُ:

- أما وقد ذكرتَ مقامك فى شيبانَ فإنك أنت الذى سعيت إلى التغرب هربًا من أن يكونَ لك شرفُ المقامِ فى قومِك، أتهربُ خوفًا من أن يكونَ صهرك عنترة الذى يفخرُ العرب جميعا بأن يكونَ بينهم؟

فصاح عمرو

- أيها العبد، لتجدن هنا عقوبتك. ولو كنتَ من أندادِ الأحرارِ لأعطيتك سيفا، وبرزتُ إليك فى البراحِ لأعاقبك على جرأتِك. ولكن انتظر.

ثم التفت نحو عبلةَ وصاح بها:

- هاتى حبلاً يا عبلةُ حتى أشدَّ وثاقَ هذا العبدِ.

فقهقه شيبوبُ وقال:

- لستُ فارغًا لك اليوم يا عمرو بن مالك. فانتظرنى أنت حتى أعودَ إليك يا ابنَ الأحرار. سوف أعودُ إليك قريبًا فلستُ أُحبُّ أن يطولَ انتظارُ عنترةَ.

ثم انطلق خارجًا من الخباءِ ولم تمض لحظةٌ حتى كان خارجَ المنزل يعدو فوق الرمال كالظليم[1].

◆ ◆ ◆ ◆

(١) الظليم: ذكر النعام والجمع ظلمان.



أسئلة الفصل العاشر
حياة الغرباء

١ ـ «وكثيراً ما حدث مالك نفسه بالعودة إلى أرض الشربة والعلم السعدى فأفضى برأيه إلى ولده عمرو، ولكن ولده كان صارمًا صلبًا فلم يتزعزع عن رأيه، وبقى على عزمه الأول أنه لن يعودَ إلى عبس حتى يحل العقدة التى بينه وبين عنترة».

(أ) (أفضى ـ صارمًا) هات مرادف الكلمة الأولى فى جملة، واستخدم كلمة صارماً مع العاقل مرة، وغير العاقل مرة أخرى.

(ب) لماذا كان يريد مالك العودة إلى موطنه؟

(جـ) ما مظاهر حقد عمرو بن مالك على عنترة؟ وما سبب ذلك؟

(د) كان بسطام بن قيس أهلا للزواج من عبلة فصل القول فى ذلك.

٢ ـ كشف حوار مالك مع ابنه عن اتجاهات كل منهما . وضح ذلك .

٣ ـ عَيِّن الصواب فيما يلى :

- كانت عبلة تريد الزواج من بسطام.
- من عادة العرب عدم تزويج بناتهم فى الغربة.
- اشترك مالك مع ابنه فى كُرْهِ عنترة.
- مالك يرضى بقتل عنترة بيد بسطام.
- مالك يريد تزويج ابنته لعنترة.

٤ ـ قالت عبلة في حزن: «أما كفاه طردى وتشريدى؟ أما كفاه غربتى وتعذيبى؟ هل أتى ليعيد على أذنى تقريعه وتعنيفه؟ ومع ذلك كله فقد نسينى، ولم يعد يذكرنى. إنه اليوم لا ينشد الشعر إلا فى شكوى زمانه، وفى ذم قومى».

(أ) هل فى عطف تشريدى على طردى، وتعذيبى على غربتى قيمة؟

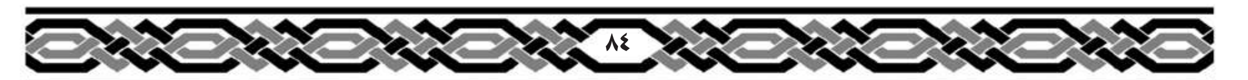
(ب) تصور العبارة حالة عبلة فى غربتها وضح ذلك.

(جـ) ما الرسالة التى كان يحملها شيبوب لعبلة؟

(د) كيف انتهى لقاء عمرو مع شيبوب؟

٥ ـ لخص هذا الفصل فى صفحة واحدة.

◆ ◆ ◆





(١١) الفـــارس النبيــل

قضت حِلة قيسِ بن مسعودٍ ليلتَها فى اضطرابٍ عندما علمت بأن بسطامَ بنَ قيس قد خرج يسعى إلى لقاءِ عنترةَ. فقد أعلمه عمرو بنُ مالك بقدوم عنترةَ، وزين له أن يخرجَ إلى ذلك اللقاءِ.

وكان بسطامُ بنُ قيس فارسَ شيبان وفتاها. ولكن لقاءَ عنترةَ لم يكن كلقاءِ الفرسان. وقد كان أبوه يحرصُ على بقائه؛ ليكونَ أميرَ القومِ بعده، وكانت أمُّه التميمية تحاذرُ عليه وتخشى أن تصيبَه الكوارثُ، فقد كان لها فتى وحيدا نشأ فى بيتها مدللا حتى كره أبوه تدليله، وغضب عليها؛ لأنها كانت تنشئه بين النساءِ والفتياتِ، لا تعرضه للمشقةِ وتشفق عليه من مخاطرِ الفتيانِ. وهمَّ قيسٌ يوماً أن يوقِعَ بها وبه خوفَ أن يشبَّ الفتى طريا ضعيفاً وهو أكبرُ ولده. فلم يحمه من غضب أبيه إلا أن بعثت به أمه إلى إخوتِها فى تميم، فأخذ يخرجُ مع فتيانهم إلى الصيد والغزو، حتى شب فارساً بارعاً لا يرهبُ نزالاً ولا يترددُ فى صدام. فلما عاد إلى قومِه شيبانَ لم يلبث أن ظهرَ فيهم وتكشفت لهم فروسيتُه وصاروا يهتفون باسمِه كلما ألمت بهم[1] نازلةٌ.

ولكن الجزعَ دَاخلَ أباه وأمه وعمَّ كلَّ قومِه عندما ذاع بينهم أنه قد خرج إلى عنترةَ، عازما ألا يعودَ حتى يقهرَ منافسه الذى جاء ينتزع منه عبلةَ.

فخرج قيسُ بنُ مسعود فى أهله لاحقًا بابنه، لعله يدركُه قبل أن يصطدمَ بذلك الفارسِ المخيفِ الذى عرفوا جميعاً أن الاصطدامَ به موتٌ غيرُ مردودٍ. ولم تطق أمُّه البقاءَ خلفهم فسارت معهم متلهفةً تبكى كأنها قد ثكلته[2].

وطلع الصباحُ عليهم، وهم يسرعون فى الطريق يتعقبون آثار بسطام، لعلهم يدركونه قبل النزالِ. وأراد عمرو بن مالك أن يخرجَ معهم، فرده قيس فى شيءٍ من العنفِ؛ لأنه هو الذى زيَّن لابنه الخروجَ للقاءِ غريمهِ المخيفِ. وقد عزم قيسٌ فى نفسه إذا عادَ إلى منازله أن يردَّ جوارَه عن مالكٍ وأهله حتى يخرجوا عن قومِه تشاؤمًا بمقامهم بين ظهرانيهم، وحميت شمسُ النهارِ وكانوا لا يزالون يضربون فى الصحراءِ

---

(١) ألمت بهم نازلة: أصابهم مكروه. (٢) ثكلته: فقدته.

على غير هدى، فقد كان سيرُهم بطيئًا وهم يتتبعون آثارَ فرسِ بسطام فوقَ الأرضِ الصخريةِ الصلبة.

ونشتت العبيد فى شعابِ الطريقِ لعلهم يعرفون موضعَ سيدهم فكانوا يعودون واحدًا بعد واحدٍ بعد أن يُوغلوا فى جوانبِ الفلاةِ فلا يهتدون إلى يقين.

وكانت الشمسُ تتكبدُ[1] السماءَ عندما عاد أحدُ العبيد مسرعًا يلوح بردائه فى الهواء. فأسرع ركبُ قيس إليه فصاح العبدُ من بعيدٍ:

أبشروا بسلامةِ بسطام.

فصاح قيسُ بنُ مسعود:

- أو قتل عنترةَ؟

فصاح العبدُ:

- بل لم يَقتلْه عنترةُ.

ولما وصل العبدُ إليهم حدثهم عن سيدِه. فقال إنه قد رآه مشدودا فى وثاقِه عند عنترةَ، ولكنه كان سليمًا لم يُصبه شىءٌ فى النزالِ ثم قصَّ عليهم قصته.

ذهب بسطام إلى عنترةَ فى أول الصباح. فناداه ودعاه إلى قتاله، وحاول عنترةُ أن يدفعَه عنه قائلا إنه لم يأت إلى شيبانَ مُغيرًا ولا عدوًا، ولكن الفتى أصرَّ فى عنادٍ، وأقبل عليه شاهراً رمحَه.

فلم يملك عنترةُ إلا أن يبرزَ له، ولكنه طاوله واقتصر على الدفاعِ عن نفسه حتى أصابه منه جرح فى ذراعِه فصاح به:

- أما كفاك أن جرحت عنترةَ؟

فصاح بسطامُ مباهياً:

- بل جئتُ أطلب رأسك أيها العبدُ؛ لأعودَ به على سنانِ رمحى.

فملك عنترةُ غضبَه ومضى فى قتالِه مدافعا مطاولاً، فما كان يجب أن يقتلَه وعبلةُ مقيمةٌ فى شيبان. وما كان يجب أن يعودَ أدراجه[2] بغير أن يلم بأرضِ شيبانَ؛ ليرى عبلةَ فيها، ويطلبَ عفوها، ويستعيدَ رضاها.

فمازال بالفتى حتى استطاع أن يدفعه بزجِّ رمحِه دفعةً أطاحته عن فرسه، ووقف فوق رأسه بسيفِه مجردًا.

(١) تتكبد السماء: تتوسطها. (٢) يعود أدراجه: يعود من حيث جاء.



فنظر بسطامُ نحوه ساكنًا يتوقع منه طعنةً تنفذ فى صدرِه، أو ضربةً نحو رأسِه، ولكن عنترةَ قال له:

ـ قم أيها الفتى واستأنف قتالك إذا شئتَ فإنى لا أُجهِزُ[1] على صريعٍ.

فقام الفتى يجمعُ نفسَه وهو حانقٌ والخجلُ يزيدُه حرصًا على النزالِ.

وقال له فى غضبٍ:

ـ ويلك أيها العبدُ.

فقال عنترةُ:

ـ وما الذى يحملُك على قتالى أيها الفتى؟ إنك تُحرضنى على الغضب، وأنا أكرهُ أن أقتلك.

فقال بسطامُ:

ـ أغركَ أن وجدت منى غِرةً[2] فتريدَ بها أن تذلَّنى، وتطمعَ أن يتحدثَ العربُ أنك عفوت عنى؟

فقال عنترةُ:

ـ بل قم إلى فرسِك فاستأنف قتالى.

كان جرح عنترةَ يشخب[3] دماً، فشق شملته وربط بها الجرحَ ثم ركب واستأنف القتالَ، ولكنه عاد يدافعُ الفتى ويطاولُه، حتى وجد منه فرصةً أخرى، فدفعه بزج رمحه فطرحه عن فرسِه حتى تدأدأ[4] على الرمل صريعًا، ووقف عنترةُ مرةً أخرى عند رأسه والسيفُ فى يمينه قائلاً:

ـ أيسرُّك أن أحزَّ رأسَك حتى لا أباهى بإذلالك؟

فوقف الفتى ونظر إليه حيناً فى صمتٍ ثم قال:

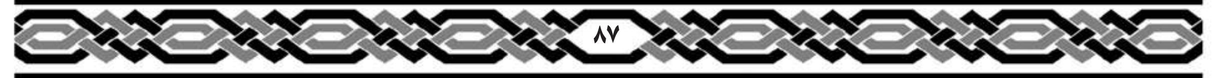
ـ ألا تخبرُنى ما الذى يدعوك إلى مدافعتى فى القتالِ ومطاولتى. لقد عرفتُ أنك لا تريدُ قتلى فكان ذلك سببَ هزيمتى.. ولو رأيتك تحرصُ على أن تضعَ رمحَك فى مقاتلى لاسْتَبْسَلْتُ فى قتالِك وانتصفت منك. إنك أيها الرجل قد خدعتنى عن نفسى.

فقال عنترة فى هدوء:

ـ لم أخدعك؛ لأننى لم أحب قتلَك.

---

(١) أجهز على صريع: أقتل من سقط على الأرض. (٢) غرة: غفلة.
(٣) يشخب: ينفجر. (٤) تدأدأ: تدحرج.



فقال بسطام:

- وكيف وقد خرجتُ لا أريد إلا قتلك.

فقال عنترة:

- إنما أتيت أقطعُ الصحراءَ إلى منازل أبيك يا بسطام، لا أرجو إلا أن أكون صديقًا. جئت لأرى ابنةَ عمى وأطلبَ عفوها وأتذلل لها. فقال بسطام:

- وما لجاجتُك فى الزواجِ ممن لا يرضونك صِهرًا؟ أأنت تحبها أم تريدُ أن تشرف بزواجِ مالك بن قراد؟

فقال عنترةُ فى هدوء:

- إنك أيها الفتى تنطقُ بغير لسانِك. ولستُ أحبُّ أن أطيلَ معك الحديثَ. فهل تريدُ أن تستأنفَ قتالى؟

فقال بسطامُ منكسرًا:

- لا أريدُأن يسخرَ الناسُ منى. أتعفو عنى مرتين ثم أقاتلُك؟

فنظر عنترةُ إلى أخيه شيبوبَ وقال له:

- أَوثق[1] يا شيبوبُ أسيرى.

ثم مضى عنه، وشيبوبُ يشدُّ يديه وقدميه بالحبال.

ولما أتم العبدُ تلك القصةَ التى سمعها من شيبوبَ، قال له قيسُ بن مسعود متجهما[2].

- سر أمامنا حتى نصلَ إلى عنترةَ.

وما هى إلا ساعةٌ قصيرةٌ حتى بلغ الركبُ خيمة عنترةَ وكان شيبوبُ عند بابها جالسا. فهب للقاءِ القومِ فنظر إليه قيسٌ قائلاً:

أأنت عنترةُ؟

فضحك شيبوب وقال:

- بل عنترةُ أخى. أأنت قيس بن مسعود؟

فقال قيسٌ عابسًا:

- أنا قيس وقد جئت لأرى ولدى.

---

(١) أوثق: قيد. (٢) متجهما: غاضبا.

وكان عنترةُ قد سمع الحديثَ، فخرج إلى القومِ، ونظر إلى الشيخِ قائلاً:

ـ مرحبًا بشيخ شيبانَ.

وانفرجت أساريرُ قيس عندما وقعت عينهُ على عنترةَ.

وأدخله عنترةُ إلى خيمة ابنه، وقال له:

ـ هذا أسيرى أيها السيدُ فحله إن شئت بيديك. ما كنتُ أُريدُ قتاله فسله عنه وعنى.

ثم خرج وتركه، لكى يسمعَ من ولده وصفَ ذلك القتالِ وخرج قيس من الخيمة بعد حين وبسطام يسيرُ وراءه فأقبلت أمه عليه صائحة:

ـ ولدى.

ثم احتضنته وقبلته بين عينيه وذهبَ قيس نحو عنترةَ فمد إليه يده قائلاً:

ـ أتحب أن تكون ضيفى؟

فصافحه عنترةُ قائلاً:

لقد جئت إليك يا سيد شيبان لائذًا[1].

وركب الجمعُ عائداً إلى منازلِ قيس، وكانت الشمس تميل إلى الغروبِ عندما نزل قيس مع عنترةَ فى بيته الفسيحِ، وأمر بأن تعدَّ وليمةٌ للضيفِ الكريمِ.

أسئلة الفصل الحادى عشر
الفـارس النبـيـل

١ ـ «وطلع الصبح عليهم وهم يسرعون فى الطريق يتعقبون آثار بسطام، لعلهم يدركونه قبل النزال. وأراد عمرو بن مالك أن يخرج معهم، فرده قيس فى شىء من العنف؛ لأنه هو الذى زين لابنه الخروج للقاء غريمه المخيف».

(أ) تخير الإجابة الصحيحة مما يأتى :

ـ مرادف كلمة «يتعقبون»: (يعاقبون ـ يتبعون ـ يجازون).

ـ مضاد كلمة «العنف»: (اللين ـ السماحة ـ الفرح).

ـ جمع كلمة «غريم»: (غرمى ـ غرماء ـ غوارم).

(١) لائذا: لاجئا.



(ب) تدل العبارة على عاطفتين مختلفتين: خوف وتقدير وضح.

(جـ) ماذا قرر قيس عند عودته؟ وما سبب هذا القرار؟

(د) البحث في الصحراء محفوف بالمخاطر صور ذلك.

٢ ـ «فملك عنترة غضبه، ومضى في قتاله مدافعًا مطاولاً، فما كان يجب أن يقتله، وعبلة مقيمة في شيبان، وما كان يجب أن يعود أدراجه بغير أن يلم بأرض شيبان؛ ليرى عبلة فيها،ويطلب عفوها، ويستعيد رضاها».

(أ) في حديث شريف «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب» أيتفق معنى هذا الحديث مع سلوك عنترة؟

(ب) (مدافعًا مطاولاً ـ يعود أدراجه ـ يلم بأرض) هات جملا تستخدم فيها التعبيرات السابقة من إنشائك.

(جـ) ما الاعتبارات التي حكمت الصراع بين عنترة وبسطام؟

(د) علام تدل نتيجة هذا الصراع؟

(هـ) استخرج من الفقرة السابقة:

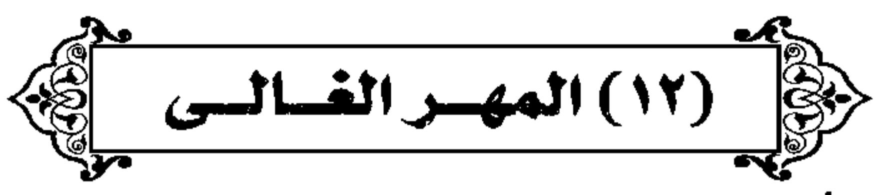
ـ حالا مفردة.

ـ مضارعًا صحيحًا وآخر معتلاً.

ـ اسمًا مقصورًا.

٣ ـ لماذا أعد قيس وليمة لعنترة؟ وما وقع ذلك على مالك وابنه؟

◆◆◆◆



(١٢) المهـر الغـالـى

أقام عنترةُ فى بنى شيبان مكرمًا، وكان قيس بن مسعود ينصره ويقيمُ حجته[1] على مالك بن قراد. ولم يستطع عمرو أن يحجبَه عن أخته عبلةَ بعد أن خاب سعيه فى أن يجعل بسطامَ بن قيس حائلاً بينه وبينها.

ولم يستطع مالك أن يرد عنترة عن خطبةِ ابنته بعد أن ملكها أمرَها فاختارت ابنَ عمها. ولكن عمرو بن مالك كان لا يفتأ[2] غاضبًا حانقًا، فأبى إلا أن يطلب أبوه من عنترة مهراً غالياً. واجتمع عنترة بعمه مالك وابنه عمرو فى بيت قيس يتحدثون فى زواجِ عبلةَ فقال عمرو لأبيه:

ـ إنك هنا فى شيبانَ غريبٌ وسوف يتحدثُ العربُ عنك أنك خضعت لعنترة عجزاً وذلاً.

فقال عنترة:

ـ كنت أحبُ لو قلت لك يا ابن عمى.

فصاح مالك:

قلها، ولا تخش يا عنترةُ، فأنت ابنُ شداد.

فقال عمرو:

ـ وما يمنعك من ذلك وقد أبيح لك كل ما كان عليك حرامًا.

فقال عنترةُ:

ـ لقد كنتُ يوماً أغضبُ كلما سمعتُك تقولُ مثل هذا ولكن يا عمرو لا أحبُ اليوم أن أغضبك. وددتُ لو رضيتَ بأن أناديك «يا ابن عمى» لكى أستلَّ منك هذا الحقد الذى يملأ قلبك. إن قلبى لا يحملُ لك إلا ما يحمل لآل قراد.

فأدار الفتى وجهه فى غيظٍ وقال:

ـ واذلّ آلِ قراد!

فصاحَ به أبوه:

ـ أما أنك منذ اليوم تجبهنى[3] فى مجلسى.

---

(١) يقيم حجته: يقف فى صفه وينصره. (٢) لا يفتأ: لا يزال. (٣) تجبهنى: تجبه تقابل شخصا بما يكره.

ثم اتجه إلى عنترةَ قائلاً:

ـ لا عليك يا عنترةُ من هذا. فإنه مازال يجرعنى من حمقِه ما يجرعنى.

فقال عنترةُ:

ـ بل أحبُّ أيها العمُّ أن يتشددَ عمرو فى خطابى. إنه يزعمُ أن العربَ سوف تتحدثُ بأنك قد رضيت بى مكرهاً. وهو يزعمُ أن عنترةَ يعجزُ عن أن يغلىَ لك المهرَ كما أغلاه لك السادةُ وأنتَ فى عبس. إنه قد صدق. ولن يرضى إلا أن يكونَ مهرُ عبلةَ أغلى المهورِ.

ثم اتجه إلى عمرو وقال فى هدوء:

ـ قل واحتكم يا عمرو فإنى عند ما تريدُ.

قال قيس بن مسعود:

ـ لقد أنصفك عنترةُ يا عمرو بن مالك.

فنظر عمرو إلى الشيخ وقال فى تحد:

ـ لقد بذل عمارةُ ألفًا من النوق العصافيرِ مهراً لعبلة.

فصاح الشيخُ فى دهشةٍ:

وهل يملكُ عمارةُ النوقَ العصافيرَ؟

فقال عمرو:

ـ لقد رَضىَ بأن يهبَ كلَّ أمواله ليشتريها.

فقال قيس:

أيبيعها الملكُ النعمانُ؟ ليس فى العرب من يملكُ منها ألفَ ناقة إلا الملكُ النعمانُ. وقد كذبَ من ادعى أنه يستطيعُ أن يمهرَ فتاةً بألفٍ منها.

فقال عنترةُ:

ـ أما وقد نطق عمرو بهذا فلن أرضى بغيره مهراً. سوف أمهرُ عبلةَ ألفاً من النوقِ العصافير.

فالتفت إليه الشيخ قيسُ بنُ مسعودٍ فى دهشةٍ وقال:

ـ إنك تطلبُ يا عنترةُ المحال.

وكان مالك مطرقاً فى أثناء هذا الحديثِ فاتجه إليه قيس وقال له:

ـ كأنى بابنِك يحتكمُ بما لا يطيقُ.

فقال مالك:

- ولكن عنترةَ قبلها. ولن أرضى يا أبا بسطام أن تتحدث القبائل بعجزى.

فقام عنترةُ إلى قيس فمدَّ له يدَه قائلا:

لك شكرى أيها الشيخُ على فضلِك وإكرامِك ولن أعاودَ عمى فى حكمه ولن أعود إلى طلبِ عبلةَ إلا إذا كان ما يطلبُ من المهرِ فى يدى. ولم يرض عنترةُ أن يبقى فى شيبانَ بعد ذلك، فانطلق من ليلته مع أخيه يقصدان أرضَ العراقِ ليأتيَ بالنوقِ العصافير. ولكنه قبل أن يفصِلَ[1] من منازل شيبانَ عرّجَ[2] على بيتِ مالك ليودعَ عبلة. ولما أراد السيرَ فى رحلتِه قالت له عبلةُ هامسةً:

- سوف أنتظرُك حتى تعودَ وإن طالت غيبتك.

فقال لها عنترةُ:

وسوف أحفظ كلمتَك هذه فى سويداءِ قلبى، فتكون المخاطر أشهى الأمورِ إلى نفسى.

فنظرت إليه بعينين دامعتين ومدت يدَها إليه بصرةٍ صغيرةٍ فأخذها عنترةُ فى لهفة فإذا هى تميمةٌ كانت منذ الصبا فى قِلادتها. فوضعها عنترة عند شفتيه ثم قال:

- لن يصيبنى شرٌ ما دامت هذه معى.

وانطلق إلى راحلتِه فركبها، وكان يلتفتُ بين حين وآخر إلى ورائه ناظرًا إليها وهى واقفةٌ عند بابِ الخباءِ حتى غابت عنه المنازلُ، فوضع التميمةَ على شفتيه مرة أخرى، ثم شدها على ذراعِه اليمنى، وقال لشيبوبَ:

- انطلق يا ابنَ أمى، فوحق مناةَ لن يصيبنى شرٌ ما دامت هذه التميمةُ فوق يمينى.



(١) يفصل من: يبتعد عن.

(٢) عرج على: مال.



أسئلة الفصل الثاني عشر
المهر الغالي

١ ـ «أقام عنترة في بني شيبان مكرمًا، وكان قيس بن مسعود ينصره، ويقيم حجته على مالك بن قراد، ولم يستطع عمرو أن يحجبه عن أخته عبلة بعد أن خاب سعيه في أن يجعل بسطام بن قيس حائلاً بينه وبينها».

(أ) تخير الإجابة الصحيحة مما يأتي، واكتبها:

ـ معنى «يقيم حجته» : (ينصره ـ يستقر معه ـ يحج معه).

ـ مضاد «يحجب» : (يعلن ـ يظهر ـ ينشر).

ـ جمع كلمة «مكرما» : (مكارم ـ مكرمات ـ مكرمون).

(ب) موقف عنترة من بسطام له آثار مختلفة على:

ـ قيس بن مسعود.

ـ مالك بن قراد.

ـ عبلة ابنة مالك. وضح هذه الآثار.

(جـ) بم تصف موقف عمرو بن مالك من عنترة؟ وكيف استطاع عنترة أن يكسب المعركة أمام عمرو؟

(د) حول المصادر المؤولة في العبارة السابقة إلى مصادر صريحة وأعد كتابة الفقرة.

٢ ـ «فقال قيس: أيبيعها الملك النعمان؟ ليس في العرب من يملك منها ألف ناقة إلا الملك النعمان، وقد كذب من ادعى أنه يستطيع أن يمهر فتاة بألف منها».

(أ) الغرض من الاستفهام: النفي ـ التعجب ـ التعظيم

تخير أدق إجابة مما سبق، واكتبها.

ـ أفي العبارة كشف لكذب عمارة أم لكذب عمرو؟ وضح.

(ب) لو أن الموقف حدث في عصرنا الحاضر فماذا كان يطلب عمرو مهرًا لأخته؟

(جـ) قبول عنترة لهذا المهر أهو جنون أم ثقة زائدة بالنفس؟

(د) ماذا أهدت عبلة عنترة عند وداعه؟





(١٣) رحلة المخاطر

خرج عنترةُ إلى العراقِ يطلبُ المهرَ الذى طلبه أبو عبلةَ من النوقِ العصافير التى كانت عند الملِك النعمان. ولم تكن فى قبائلِ العرب قبيلةٌ تملكُها فقد كانت هذه النوق بيضاءَ مثل وعولِ الجبال، خفيفةً كأنها الغزلان، طيبةَ الألبانِ كالبقرِ، حلوةَ المنظرِ كالمها[1]، طيبةَ اللحمِ كأنها الحملان.

وسار عنترةُ يضربُ فى الصحارى نحو العراق، وصورةُ عبلةَ ماثلةٌ أمام عينيه عند كل ثنيةٍ وعند كل مَرقَب؛ وما كان أحب إليه من تلك المخاطرة الجريئة التى اعتزم أن يخاطرَ بها. كان كلما فكر فى المخاطر التى يتعرضُ لها فى سبيل الحصولِ على مهر عبلة أحس سعادةً كبرى؛ لأنه كان يشعرُ أنه يقتحمُ مجداً جديدًا يسمو به إلى الحبيبة التى كان لا يرى فى الحياةِ شيئًا يستحقُّ أن يحرصَ عليه إلا حبها. وكان فى أثناء سيره فى الصحارى الجاهمة يرددُ كلماتِ عبلةَ التى قالتها وهى تودعهُ أمام بيت أبيها فى بنى شيبانَ إذ قالت له: «سوف أنتظرُك حتى تعودَ وإن طالت غيبتُك» وكان بين آنٍ وآنٍ يلمسُ بكفه اليسرى موضعَ التميمةِ التى شدها على ذراعِه فيشعرُ كأن روحاً يسرى فيه فيهزُّه ويملؤه قوةً.

وكان يعيدُ كلماتها التى سمعها منها وهى لا تزالُ مسطورةً على قلبه، يدخرُها كأثمنِ الكنوزِ، كما يدخرُ المقطوعُ فى الصحراءِ بقيةً من الماءِ وجدها فى الأحواضِ البراقةِ الملساءِ فى بطونِ الجبالِ ليطفئَ بها حرورَ الهجير[2]. وكان يتمثل صورتَها ونظراتِها العاطفةَ نحوه وهو يثبُ على فرسِه الأبجرِ، فكأنه سائحٌ ضل السبيلَ فى مهمه[3] قفر فى ليلةٍ ظلماءَ فطلع عليه القمرُ يهدى سبيله. كانت صورةُ بسماتها ونظراتِها تتردد فى قلبه كأنها الأغانى تحدو له سيرَه فى الطريقِ الوعر، وتقصّرُ عليه مسافةَ السفرِ الطويلِ. كان يقوّى بها نفسَه إذا جهدَه الحرُّ، ويغذى بها روحَه إذا أمضه[4] الجوعُ ويجعلها سحره إذا شرب الخمرَ، وحديثه إذا جلس إليه أخوه وصاحبه شيبوب.

---

(١) المها: البقر الوحشى.
(٢) حرور الهجير: شدة الحر.
(٣) مهمه: صحراء.
(٤) أمضه: آلمه.

ولكنه ذهب إلى العراقِ يطلبُ مطلباً عسيرا، إذ أقدم على مراعى النعمان وأراد أن يستاقَ[1] منها ما شاء من الإبل العصافير. فما هو إلا أن أحسَّ الرعيان به حتى أرسلوا النذر إلى الملِك العظيم فى الحيرةِ. واستاق عنترة الإبلَ، مسرعاً نحو الصحراءِ، ولكن الملك أدركه فى كتيبة من الفرسانِ وأحاطوا به وبالنوقِ التى استاقها. وكانت معركة هائلة بين فارس مستيئس وجيش لجب[2] من الشجعان فلم يستطع إلا أن يقاتل ما بقى السيفُ فى يده، وما استقام الرمحُ فى قبضته، ولكن الرمحَ انقصف، والسيفَ تحطم فوق الدروعِ السابغةِ، وأثخنته[3] الجراح فَخَرّ صريعا، وحُمِل إلى الحيرةِ بين الموتِ والحياةِ.

ورآه شيبوبُ يقاتل وسط الحلقة المائجةِ المخيفةِ فلم يقدر على أن ينصرَه. وعجز عن أن يخلصَ إليه إذ كان الموتُ يحولُ بينهما. ورأى السيوفَ تلمعُ والرماحَ تتعانقُ فى معركةٍ مروعةٍ، فلم يجد خيرًا له من أن يندسَّ بين الصخورِ يرقبُ القتالَ من بعيدٍ ثم رأى عنترة يخرُّ عن جواده صريعاً، فزحف متوارياً بين الحجارة حتى بَعُدَ عن ميدان المعركةِ، ثم جعل التلال بينه وبين مجالِ الموتِ وأطلق ساقيه للرياحِ عائداً إلى الحجاز.

ألقى عنترةُ فى سجن النعمان فأقام فيه ليالى ما كان أطولَها فكان يتوجع من جراحِ جسمِهِ وجراحِ قلبِهِ أشدُّ ألمًا، وكان أشدَّ ما أصابه أنه خاب فى أن يحوزَ مهر عبلةَ، وأنه قد حيل إلى الأبد بينه وبينها. وكان شعاعٌ ضئيلٌ من النور يدخلُ إليه فى سجنه مترددًا من فرجات ضيقة بين قضبانِ الحديدِ، فكان صدرُه يضيقُ، ويهم بأن يحطم رأسه فى الجدارِ المصمتِ الرطبِ الذى يملأ قلبه يأسًا. وكان ينظرُ إلى النجوم إذا طلعت فيناجيها. ويرى صورةَ عبلة فى نورها، ويستعيدُ نظراتِهَا وبسماتِها فى لألائها، ويسمعُ فى نجواها أصداءَ صوتِ عبلةَ العذب، ويرسلُ على شعاعِها تحياتِ بائس لعلها تصلُ إليها، ولكنه كان كلما رأى تميمةَ عبلةَ فوق ذراعِه عاد الأملُ إليه فملأ قلبَه قوةً.

ومضت عليه تلك الأيامُ الطوالُ ثم أرسل إليه النعمانُ يطلبُه للمثول[4] بين يديه، بعد أن التأمت جروحُه، واستطاع أن يسير على قدميه. وكان النعمان شديدَ الشوقِ إلى رؤيةِ

(١) يستاق: يسوق. (٢) لجب: كبير.
(٣) أثخنته الجراح: أضعفته. (٤) المثول: الوقوف.

ذلك الرجلِ الذى جاء إليه وحده غازيًا، وحمله النحس، أو دفعه الغرور إلى أن يطلبَ المحالَ، ويجرؤَ على استباحةِ حِماه. فقد كانت تلك أول مرة أقدم رجل من العربِ على غارةٍ مثلها وهو وحده، ويعلم أنه يطلبُ مطلبًا وعرًا[1].

وأُدخل عليه عنترةُ مقيداً فى سلاسلِه، وكان شيوخُ تغلبَ وبكر يجلسون حول الإيوان[2]، والملك جالس فوق عرشه. وارتفعت العيون نحو عنترةَ وهو داخل يحجل فى القيود، ولونه حائل[3] من أثر السجنِ والهمومِ، وكان الغضبُ بادياً على وجه القومِ، والملكُ يحاول أن يمسكَ نفسه حتى يسمعَ قول الأسير قبلَ أن يوقعَ به العقاب فتأمله ساعة قصيرة وهو صامتٌ ثم قال له:

ـ من أنت أيها البائسُ؟

فقال عنترةُ هادئاً:

ـ أنا أسيرك وترانى أمام عينيك.

فسرت همهمةٌ فى الجلوسِ، وقال الملك فى غضبٍ مكبوح:

ـ أسألُك عن نفسِك أيها الرجلُ. أسألُك عن قومِك إن كان لك قومٌ. وما أحسبُك إلا عبدًا آبقًا[4].

فقال عنترةُ رافعًا رأسَه:

ـ إنما العبدُ غيرى.

فقال الملكُ متعجباً:

ـ أما تعرفُ ما فعلت؟

فقال عنترةُ:

ـ وهل ترى رجلاً يتخبطُ فى الجنون؟

فقال الملكُ:

ـ إنك امرؤٌ بين الجنونِ والحماقةِ.

فقال عنترةُ:

ـ أتسمعُ منى هذراً؟ جئتُ إلى حمى النعمان لأستاقَ ألفًا من نوقِه العصافير.

فقال الملك حانقاً:

---

(1) وعرا: صعبا. (2) الإيوان: مجلس العرش.

(3) حائل: متغير. (4) آبق: خارج عن الطاعة.



- بل أرى أعجبَ من الحمقِ والجنون. إنك رجلٌ واحدٌ تأتي من أقصى الأرض لكي تسوقَ إبلي. أكنت تحسبُ أنك تنجو سالماً؟ أكنت تحسب أن لن يردَّ كيدَك أحد؟ لأقطعن أعضاءك، ولأقذفن بك إلى حيث ينبغي لمثلِك أن يُلقى.

فقال عنترةُ مبادرًا:

- كفكف أيها الملكُ غضبك، فلستَ تأمنُ مثلي أن يردَّ عليك قولاً بمثله. كيف أخشى وعيدَك وأنا في يدِك؟ بل كيف تهددُ رجلاً تراه يرسفُ في الأغلال بين يديك؟ إنه ليحقُّ لي أن أعجبَ منك أيها الملك إذ تراني في أيدي حرسك ثم تهددُني. ولو شئتُ أن أرد عليك قولاً بمثله لكان مجال القول متسعًا، فما كان ينبغي لمثلك أن تأتيَ بي إلى مجلسِك، وتجمعَ هؤلاء الشيوخَ حولك؟ لكي تهددني بتقطيعِ أوصالي والمثلة[1] بجسمي، فهل يمنعُني مانع أن أركبَ معك أوعرَ الوعرِ في الخطابِ، وأنا يائسٌ من الحياةِ؟

فاربد[2] وجهُ الملِك وقال:

- لصٌ جريءٌ.

فقال عنترةُ مندفعاً:

بل مغيرٌ أتى يطلبُ عندك الغنيمةَ.

فقال النعمانُ:

- ألك ثأرٌ عندي؟

فقال عنترة:

- بل جئت إليك كما قلت أطلب نوقَك العصافيرَ كما يطلبُ الأسدُ صيدًا؟

فقال الملكُ ساخرًا:

- إنه لزهوٌ أجوف. قل إنك جئت كما يجيء لصٌ أحمق.

فصاح عنترةُ:

- بل أنا أحدُ هؤلاء العرب الذين يطلب بعضُهم إبلَ بعضٍ في الغزواتِ. فما أنا أيها الملكُ، وما أنت، وما هؤلاء الشيوخ جميعًا سوى عربٍ يترددون بين الأوديةِ في نجد وتهامة وهضاب الدهناء واليمامة وكلهم يسلبُ ويغزو. لست باللصِّ أيها الملكُ إذا لم تكن أنت لصًّا، وإذا لم يكن هؤلاء جميعًا لصوصًا. أليس هذا ردَّ قولك؟

---

(١) المثلة: تشويه الجسد. (٢) اربد وجه الملك: تغير.

فسرت غمغمةٌ عاليةٌ من حول الإيوان وقال الملك فى غضب:

ـ أقصر عن البذاءةِ لا أمَّ لك. وحدثنى إذا لم تكن لصًّا فما شأنُك؟ أبعثك أحدٌ عليَّ عينًا أم استأجرك بعضُ أعدائى ليتحدثَ الناسُ بجرأتِك عليَّ فيغض ذلك من قدرِى؟ قل واصدقنى، ولك منى حياتُك إذ صدقتنى.

فقال عنترةُ ساخرًا:

ـ لم أقدم على حماك وأنا حريصٌ على حياتى. إنما جئتُ إليك لأستاق إبلك لنفسى. وما كنت لأتجرأ عليك من أجلِ أحدٍ يسخرُنى، وما كان مثلى ليدبَّ إليك جاسوساً.

فقال النعمانُ ساخرًا:

ـ مثلك؟ ومن تكون إذا لم تكن أحدَ هؤلاء الصعاليك الذين لفظتهم القبائل لتبرأ من جرائرِهم[1]، فلم تجد سبيلاً لك إلا اقتحامَ المهالِك، وإن فى وجهك الأسودِ لدلالةً على صحةِ رأيى. من أنت أيها الأسود إذا لم تكن عبدًا آبقًا؟

فقال عنترةُ فى حَنَق:

ـ أما وقد ذكرتَ سوادى فاعلم أيها الملك ما يملؤك فزعًا. ثم تضاءل فى نفسِك ومر هؤلاء الشيوخَ الذين ينظرون إلىَّ بأعينٍ تقدحُ الشررَ أن يتضاءلوا فى أنفسِهم. أنا عنترةُ ابنُ شداد.

فسرت ضجةٌ فى الجمع وقال النعمانُ فى صيحةٍ:

عنترةُ؟!

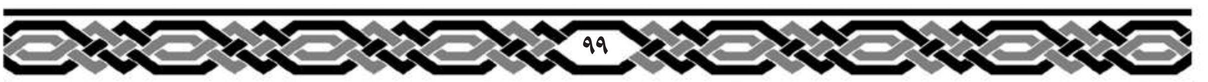
فقال عنترةُ: أنا عنترة بن شداد فاشكر مناةَ على أنك استطعت أن تأسرَنى، أنا عنترةُ الذى سمعتَ عنه، وعرفتَ من هو. إنك سمعتَ الكثير من خبرى فلا حاجةَ بى إلى أن أقصَّ عليك حديثى.

فمال النعمانُ إلى ظهر كرسيه، وقال باسمًا فى سخريةٍ:

لو صدقت أيها الفتى، لسرنى أن أراكَ فى القيودِ أمامى إنك كنتَ تفزعُ الضعفاءَ، وتقطعُ السبيلَ، وكانت القبائلُ تضجُّ من اعتدائِك. نعم لو صدقت لسرنى أن أراكَ مقيداً أمامى، فقد دفعك الغرورُ إلى أن هممت باستباحةِ حماى وانتهاك حرمتى، وحقِّ مناةَ لو كنت عنترة لقد سعيتَ إلى هنا لتلقى عقابك.

---

(١) جرائرهم: شرورهم.



فقال عنترةُ ضاحكًا:

- وهل على امرئ من عارٍ إذا أُخِذَ أسيرًا؟ هل عليَّ من عارٍ إذا أحاط بى الألوفُ من جيشِك فأثخنونى بالجراح حتى استطاعوا الاقترابَ منى؟ لقد جَدلْت من أبطالك من جَدلْت وشردت من شردت، وطاعنتُ حتى لم يبق فى يدى سِنانٌ ولا تحتى فرسٌ.

فقال النعمانُ فى حَنَقٍ:

إنك تملأ فمك بأقوالٍ تزعمُ أنك أهلُ لها. أنت تزعمُ أنك عنترةُ، فمن لى أن أصدقَك؟ وما أحراك أن تقولَ هذا كذباً لأجعلَ لك قدرًا.

فقال عنترة ضاحكًا:

- وهذه أخرى منك أيها الملك ما كان ينبغى لك أن تقعَ فى مثلها. فما الذى يحملُنى على الكذبِ بأن أنتحلَ اسمَ عنترةَ وأنا أعرفُ أن هذا الاسمَ لا يحملُ إلا عداوتَك وكراهتَك؟ لقد كنتُ أطمعُ فى عفوك لو كنتُ بعض صعاليك العربِ فقد كنت جديراً أن تعفوَ عنى إعجابا بما رأيتَ من بلائى فى حربِك. لقد كان ذلك يطمعُنى فى عفوك لعلك تتخذنى سائرَ الحياةِ من أعوانِك. ولكنك تعلمُ أن عنترةَ لا يهبُ سيفَه إلا لعبس ولا يطمع فى النجاةِ من يدِ ملكٍ يحملُ له ذكرى مواقعَ أوقعَ فيها برعاياه وحلفائِه. ولستُ أطمع فى النجاةِ وأنا أجبهُك[1] بقولى فى إيوانِك وبين شيوخِ قومِك.

ثم اندفع كأنه يُنشِدُ قصيدةً فرفع رأسَه وقال مباهيًا: لكم كان لقومى من تارات عندك وعند حلفائِك. لكم وطئنا بلادَ طيئ، وكم أخذنا من غنائِم البحرين وهَجَر والعراق، وكم أغرنا على قوافلِك فى الحجيج، لقد كنتُ أنا فى صدرِ الكتائب فى كل غزوةٍ أحوزُ الغنائم وأشتتِ الجموعَ.

فقال الملكُ غاضبًا وسطَ صخبِ الغيظِ من حوله:

- أتفخر عليَّ وتباهى بقتالى؟ لقد كنتُ أطلبك أيها الشقى لأوقعَ بك العقابَ، فانتظر ما تستحقُّ منه. أتفخرُ على أيها الشقى فى مجلسى؟

فقال عنترةُ: إننى أذكر الحقَّ منذ سألتنى. ولست أخشى أن تقتلَنى، فكم قتلتُ من شجعانك، ولم أشعر بخلجةِ رحمةٍ أو ألم فى فؤادى. لستُ أطمعُ فى الحياة، وأنا الذى أعرف هوانَ الحياةِ.

---

(١) أجبهك: أجابهك فى صراحة.



فقال الملكُ وهو يحاول أن يمسكَ نفسَه:

ـ لم أكن لأطيلَ معك الحديثَ لولا أنني عجبتُ منك، وأردت أن أطلعَ على حقيقةِ أمرِك. أليست عبس اليوم من حلفائى؟ فما مجيئك إلىَّ غازيًا إذا لم يكن فى الأمر سرٌّ يخفى على فهمى؟ أجئت تستزيدُ من الفخرِ بحربى؟ أتريدُ أن تملأ فمَك بأنك غزوت النعمان؟

فقال عنترة فى هدوء:

ـ لا أيها الملك لم أرد بذلك فخرا.

فقال النعمان:

ـ إنك فتى خدعك الناسُ منذ أشادوا بك وتحدثوا عنك، ورددوا شعرك. فحملك زهوك على أن تسعى إلى الأسد فى عرينِه.

فأجاب عنترةُ:

ـ لكم سعيتُ إلى الأسودِ فى عرائنها[1]. ولكنى أيها الملك لا أطمعُ إلى حديث الناس عني؛ فإنه لن يجدينى[2] اليومَ شيئا.

فقال النعمانُ فى مرارةٍ:

ـ ألم يُجدك حديثُ الناس شيئا؟ ألم يلحقك أبوك بعبس بفضل هذه الأحاديث؟ ألم تكن لولا تلك الأحاديثُ عبدَ شداد وابنَ زبيبة؟

فقال عنترةُ فى دفعة:

ـ أتأمنُ أن أذكرَ أمك أيها الملك وأنت تذكر أمى؟

فعادت الغمغمة الحانقة إلى الجمع حتى رفع النعمان يده عابسًا يهدئ الناسَ، ثم قال:

ـ لا بأسَ عليك يا عنترة، فإنها فلتة مني. وما كان ينبغى لى أن أقولَها. اغفر لى يا عنترةُ، فإنها سقطة منى..

فتحرك عنترة فى تأثر وقال له الملك فى لين:

ـ قل لى يا عنترةُ فيم أتيتَ إذا لم ترد فخرًا، فهل يبيتُ قومُك عداوتى. فبعثوك لتثير الحربَ معى؟

---

(١) عرائنها: العرين بيت الأسد. (٢) لن يجدينى: لم يفدنى.

فقال عنترة: لا أيها الملك إن قومي لا يعرفون أين مكاني. وليس بهم حرصٌ إلا على مودتك وطاعتك.

فقال النعمان: إنك أيها الفتي تحيرني: هل أنت مخبرى عن أمرِك؟ أم هو سرٌّ لا ينبغي لك أن تطلعنى عليه؟ أما تطلعنى على الحقِّ ليستقرَّ عليه رأيى؟

فقال عنترةُ مترددًا:

أما وقد أبيت إلا أن تعرفَ الحقَّ فإنى مفض به إليك. أيها الملكُ ما أتيت إلا لأطلبَ مهرَ ابنة عمى.

فقال النعمان فى دفعةٍ: عبلة!

فقال عنترةُ:

ـ نعم عبلةُ أيها الملك.

فتبسم النعمان، ومال على كرسيه مرتاحا وقال: ولم تجد مهرَها إلا من إبلى!

فقال عنترةُ: وأنَّى لى أن أجدَ النوقَ العصافيرَ إلا فى مسارحِك[1]؟ هكذا أغلى أبوها المهرَ، وما أشد حرصى على أن يكون مهرُها غاليًا ؟

فقال النعمانُ: وتأخذُ مهرها على رغم أنفى؟

فقال عنترة: لم أعتد أيها الملك سؤالاً.

فقال النعمانُ: ولو طعنك أحد هؤلاء طعنةً نفذت فى ظهرك، ودقت عظام صلبك.

فقال عنترة: ما كنت إذًا سوى أحد من يقتلون فى الحروب.

فقال النعمان فى سخرية: أما كنت تخشى حزنَ عبلة؟

فقال عنترةُ فى غضب: لو غيرُك قالها أيها الملك؟

فقال النعمان: لا أريدُ أن أغضبك. فقل ولا تحجب عنى شيئًا، لقد قلت فى خطابك لى مالم يجرؤ أحدٌ على قوله. فقل ولا تحجب عنى شيئًا.

فقال عنترة: لستُ أطلبُ سخطَك، ولكنى لا أباليه[2] فقال النعمان مترفقًا:

ـ إنما أردتُ أن أعرفَ مقدارَ حبِّك لها. لقد تحدث الناسُ عنك وعنها حتى أحببت أن أسمعَ منك حديثَها.

---

(١) مسارحك: مراعيك.

(٢) لا أباليه: لا أهتم به.



فأطرق عنترةُ حينا ثم قال:

ـ أما وقد أردتَ أيها الملك أن أحدثَك عن عبلةَ، فإن اسمها ليحلو لى إذا سمعته حتى لأحدثَ به نفسى لأسمعَه خالياً. إنها أيها الملك أعز علىَّ من حياتى، وأحبُّ إلىَّ من جوارحى، ولو كانت حياتى تدفعُ عن عينها دمعةً لجُدْت بها راضيا، ولو اعترضتنى النيرانُ لخضتها فى سبيل تلبيةِ كلمةٍ منها. صورتُها لا تزالُ تؤنسنى، ونغمُ حديثها مايزالُ يترددُ فى أذنى. لا أعرفُ خيرا إلا ما ترضاه، ولا شرا إلا ما تخشاه أو تأباه. ليس فى الحياةِ جمال عندى إلا إذا كان فيه منها شبه. ولو طويت لى الأرضُ لما كان فيها شىء يكافئ رضاها ولو طأطأت لى السماءُ حتى تناولت نجومَها لأهديها إليها لوجدت ذلك دون قدرها.

وكان النعمانُ يسمع حديثه مأخوذا فى دهشة مقبلاً عليه بسمعه وبصره، فلما فرغ من حديثه قال له فى ارتياح:

ـ إنك تتحدثُ عنها حديثًا عجبًا. لقد سمعت شعرَك فيها، ولكن قولَك هذا أبلغُ من الشعرِ، وأطيبُ وقعاً.

فقال عنترةُ فى حماسةٍ:

ـ هذا أيها الملك وصفُ اللفظِ، وليس اللفظ سوى آلةٍ ينقل بها الناسُ ما اعتادوا أن يحسوه من خسيس المعانى. إلا أن ما أحسهُ فى نفسى لعبلةَ يضيقُ عنه اللفظُ. فهو ظلٌّ حائلٌ[1]، وصدى فاترٌ، لا يصفُ حقيقةَ ما أحملُه لعبلةَ.

فقال النعمانُ بلينٍ:

إذًا فقد جئتَ تطلبُ مهرَ هذه الفتاةِ التى شغفتَ بها.

فنظر عنترةُ إليه كأنه يريدُ أن يتبينَ ما يقصدُه بقولِه خاشيا أن يكونَ قد عاد إلى سخريتِه. وأدرك النعمانُ ما يدورُ فى نفسِه فقال مبادرًا:

ـ أتحبُّ أن تعودَ بالنوقِ العصافير من بابى؟

فعاد الهدوءُ إلى عنترةَ، وقال كأنه يحلمُ:

ـ إذن لبقيتُ لك أبدَ الدهرِ شاكرًا.

فالتفت النعمانُ إلى رجلٍ واقفٍ عند رأسهِ وقال له:

---

(١) ظل حائل: متغير.



ـ خذ عنترةَ معك يا أبا الحارث، وامض به إلى بيتك وفك عنه القيود؛ فهو ضيفي.

والتفت إلى عنترةَ قائلاً:

ـ واغدُ على أول شيء في الصباح يا عنترةُ.

فنظر عنترةُ إليه متأثراً، وصاح باسطاً يديه:

ـ أيها الملك، أيها الملك، لقد غمرتني.

ثم طوى نفسَه، وأطرق وأدار وجهَه، وسار يسحبُ قيودَه وأبو الحارث يسيرُ من ورائه يساعدُه على المسيرِ.

أسئلة الفصل الثالث عشر
رحلة المخاطر

١ ـ «... وكانت معركة هائلة بين فارس مستيئس، وجيش لجب من الشجعان فلم يستطع إلا أن يقاتل ما بقي السيف في يده، وما استقام الرمح في قبضته، ولكن الرمح انقصف، والسيف تحطم.. وأثخنته الجراح فخر صريعًا، وحمل إلى الحيرة بين الموت والحياة».

(أ) هات معاني الكلمات الآتية في جمل: لجب ـ أثخنته ـ صريعًا.

ـ لماذا أتى بكلمة انقصف مع الرمح، وتحطم مع السيف؟

ـ نصف عنترة: بالتهور ـ بالشجاعة ـ بالجنون.

(ب) ما دور شيبوب في هذه المعركة؟

(جـ) ما الذى كان يؤنسه في سجنه؟

(د) لماذا كان النعمان شديد الشوق لرؤية عنترة؟

(هـ) ما الفرق بين مستيئس ويائس؟ ضع كلمتين مكان (ما بقى وما استقام).

٢ ـ حوار النعمان مع عنترة تراوح بين الشدة واللين . اذكر من المواقف ما يثبت ذلك.

حتى لأحدث به نفسي لأسمعه خاليًا. إنها أيها الملك أعز علي من حياتي، وأحب إلي من جوارحي، ولو كانت حياتي تدفع عن عينها دمعة لجدت بها راضيا».

(أ) يشيع في هذا الحديث صدق العاطفة فما مظاهر ذلك؟

(ب) ما أثر هذا الحديث على النعمان؟

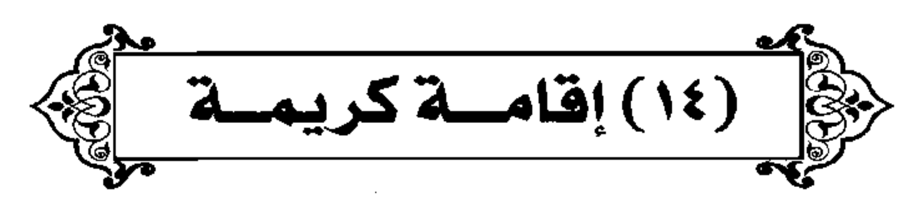
(جـ) ماذا عرض النعمان على عنترة؟ ولماذا؟

(د) لو نفذ النعمان عرضه فكيف تكون نهاية القصة؟

ـ ما رأيك في الحوار بين الملك النعمان وعنترة؟

تخير بعض الجمل التى أعجبتك واكتبها في لوحة بخطك.

* * * *



(١٤) إقامـة كريمـة

بقى عنترةُ فى الحِيرَةِ سنين لم يحسب أنه سوف يقضيها بها. ولقى عند النعمان فى أثنائها مكانةً لم يكن يحلمُ أن الأقدارَ تجرى بها، وحاز من الغنى ما لم يكن يخطرُ بباله، وبلغ من المجد ما لم يبلغْه أحدٌ من سادةِ القبائلِ.

أقام تلك السنين فى جوارِ صديقِه الفارسِ أبى الحارثِ صاحبِ النعمان. وقد أنسَ إليه منذ عاشره، وكان أبو الحارث يطربُ لسماعِ شعرِه، فلا يكادُ يخلو منه مجلسُه إلا إذا سار فى كتيبةٍ إلى غزوةٍ من الغزواتِ، فإذا عاد لازمه فى غدواتِه وروحاتِه وفى أماسيه ولياليه. وكان عنترة بين حين وحين ينظر إلى خلفه، ويذكر أيامَه الخاليةَ كما ينظرُ الواقفُ فوق رأس الجبلِ إلى الوادى البعيدِ الذى يراه دونه عند الأفق، فيراه غائماً غامضا يحيطُ به الضبابُ، ولا تبدو منه إلا أشباحٌ ضئيلةٌ تتحركُ خافتةً مثلَ أشباحِ الجنِّ التى طالما ظهرت له أثناءَ تجواله فى ليلِ الصحراءِ، ولكنه كان يرى فى ثنايا ذلك الماضى الجاهم صورة حبيبة لم تستطع الأيام أن تمحوهَا، صورةَ عبلة التى وهب لها قلبَه، وجعل فيها مناط أملِه. وكان لا يفتأ يتذكرُ كيف رحل من وطنِه يطلبُ مهرَها الغالى، وكيف دفعه ذلك الحبُّ اليائس إلى اقتحام المهالِك حتى جرفته المقاديرُ. فأقام بالحيرة هذه المدةَ الطويلةَ، وضرب فى آفاق العراق وفارس، وحل فى قصور كسرى، وقاتل مع أقوامٍ لم يرهم من قبل، وحارب أقوامًا آخرين لم يكن بينه وبينهم عداوةً، بل لم يخطروا له من قبلُ على بالٍ، فحاربَ فى سبيلِ النعمان تارةً، وفى سبيل كِسرى تارةً كأنه قد أصبح رجلاً صناعتُه سفكُ الدماءِ. وكان كلما تأمل ذلك الزمنُ الماضى أحس شيئًا فى صدرِه يشبه الثورةَ والحنقَ، فإنها الأقدار أقحمته فى عواصِفِها وهو مرغمٌ لا يكادُ يستطيعُ منها انفلاتا، فما كان مقامه عند النعمانِ ومحاربته أعداءه بأقلِّ فى نظره من الرقِّ وإن كان رقًا تحيطُ به هالةٌ كاذبةٌ من زخرفِ الحياةِ. وكان كلما فرغ إلى ذكرياتِ حياته الأولى بدا له رقُّه الأولُ أهونَ قيدًا وأخف ذلا. كان من قبل يغضبُ، لأنه كان عبدَ شدادٍ وابنَ زبيبة. ولكنه كان لا يحاربُ إلا لقومِه لكى يحمىَ حرمَهم، ويدفع الأذى عنهم. كان يحاربُ ليحمىَ عبلَةَ وقومَها.

ويحوزَ الغنائمَ لكى يتفضلَ عليهم بها، ويشفى بإدراكِ الثأر من العدو؛ لكى يهتفوا باسمه قائلين: «ويك عنتر» أقدم. كان يحاربُ من أجلِ عبلةَ وقومها لا من أجلِ هذه الأموالِ التى كان النعمانُ يُغدِقُها عليه، وهذا المجدُ الذى كان يُلقيه إليهِ أجراً على ضربات سيفه.

وأخذ يحس المللَ يَدبُّ[1] إليه شيئًا فشيئًا، ووجد أن ذكرى أرض الشربة تعاودُه بين حينٍ وحين، فلا يكاد يمرُّ به يومٌ بغير أن تتحركَ شجونه، فإذا خلا إلى نفسِه بعد زحمةِ اليوم جاشت[2] همومُه، وساورته[3] حتى جعلت الحيرةَ تصغرُ فى عينيه وتضيقُ به. وهانت عنده الأموالُ التى حازها والجواهرُ التى ازدحم بها منزلُه، وخيل إليه أن تلك الإبلَ وتلك النوقَ العصافيرَ التى تُعَدُّ بالألوفِ تثقله وتقعدُ به عن العودةِ إلى موطنِ سعادتِه، فاستأذن النعمان مرةً بعدَ مرةٍ فى السفرِ، ولكنه كان يدافعُه ويتمسكُ به حتى بلغ الضيقُ منه مبلغَ التبرمِ، فأشفق عليه صديقُه أبو الحارث فشفع له عند الملك حتى أذن له بالعودة إلى وطنِه، وما كاد يأذنُ له حتى سارع إلى الاستعدادِ، وانتظر بقلبٍ واجفٍ[4] يومَ الرحيلِ.

وأعد له أبو الحارثِ مأدبةً فى ليلةِ الوداعِ، واجتمع له فيها شيوخُ الحيرةِ وفرسانُها. وكانت مأدبةً صاخبةً وشارك عنترةُ بإنشادِه من شعرِه، وألقى قطعاً منه للفتياتِ يغنين بها حتى مضى أكثرُ الليلِ، وذهبَ الضيوفُ، ولم يبقَ فى المجلسِ مع عنترةَ إلا صاحبُ الدارِ.

فقال عنترةُ:

ـ لئن شكرتك يا أبا الحارثِ فلستُ بقادرٍ على أن أوفيك حقَّك، ثم فتح ذراعيه، وعانقه عناقًا طويلاً:

فقال أبو الحارث: لئن كان فى أيامنا مدةٌ فإن أمنيتى أن أراك.

فأجاب عنترة: ولئن تفرقنا فلقد عرفت فيك كيف يكونُ الصديقُ. لقد علمتنى فى الحياة معنى جديدًا يا أبا الحارث.

ثم صافحه، ومضى خارجًا، وخرج صديقُه يشيعُه صامتا إلى المِربدِ[5] فى الفضاءِ الفسيحِ.

---

(١) يدب: يتطرق. (٢) جاشت همومه: كثرت. (٣) ساورته: غالبته.
(٤) واجف: خافق مضطرب. (٥) المربد: الفضاء المتسع يستخدم جرنا أو مناخا للإبل.



أسئلة الفصل الرابع عشر
إقامة كريمة

١ ـ «فما كان مقامه عند النعمان ومحاربته أعداءه بأقل فى نظره من الرق، وإن كان رقا تحيط به هالة كاذبة من زخرف الحياة، وكان كلما فرغ إلى ذكريات حياته الأولى بدا له رقه الأول أهون قيدا. وأخف ذلا..»

(أ) تخير الإجابة الصحيحة مما يأتي، واكتبها:

ـ معنى كلمة «هالة» : (نجم ـ دائرة حول القمر ـ كوكب).

ـ جمع كلمة «زخرف» : (زخرفات ـ زواخر ـ زخارف).

ـ الكلمتان: «قيداً وذلاً» يشتركان فى الإعراب وهو:(تمييز ـ مفعول به ـ حال).

(ب) لماذا أحس عنترة وهو حر عند النعمان أنه أكثر ذلاً؟

(جـ) عَيِّن الصواب مما يأتي:

ـ كان أبو الحارث صاحب النعمان يطرب لسماع شعر عنترة.

ـ حارب عنترة فى سبيل قيصر تارة وفى سبيل المقوقس تارة أخرى.

ـ الأقدار أقحمته فى عواصفها، وهو مرغم لا يكاد يستطيع منها انفلاتاً.

ـ نسى عنترة أرض الشربة ونسى حبه لعبلة.

ـ رضى عنترة أن يكون مرتزقًا.

(د) ـ استخرج أسلوب تفضيل وعين المفضل والمفضل عليه.

ـ جملة تقع صفة.

ـ أسلوب شرط وعين أجزاءه.

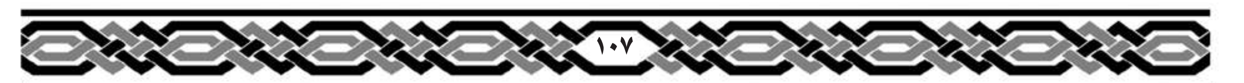
٢ ـ «وأعد له أبو الحارث مأدبة فى ليلة الوداع، اجتمع له فيها شيوخ الحيرة وفرسانها، وكانت مأدبة صاخبة، وشارك عنترة بإنشاده من شعره...»

(أ) تبين العبارة العلاقة القوية بين أبى الحارث وعنترة . وضح .

(ب) تبرز العبارة بعض العادات الجاهلية وتقاليدها . فما مظاهر ذلك ؟

(جـ) ما أمنية أبى الحارث؟ ومتى تتحقق؟

(د) ما علاقة الحيرة بقبائل شبه الجزيرة؟





(١٥) عودة إلى الديار

سار عنترةُ فى ركبه العظيم يضربُ فى الصحراءِ عائدا إلى أرضِ الشربةِ والعلمِ السعدى، حتى قطع فيافى اليمامةِ[١] ونجد ودخل إلى أرضِ الحجازِ ولكنه كان كلما اقتربَ من وطنه خالجته الشكوكُ والأوهامُ. وأحس كأن الشعلةَ المتقدةَ فى صدرِه تضمحلُ وتخبو. فكان بين حين وآخر يسألُ نفسَه عما هناك فى تلك الأرضِ التى كان يتحرق لكى يعودَ إليها. وهل إذا عاد إليها وجد عبلةَ لا تزالُ مقيمةً على عهدِها؟ لقد كان لايزالُ يحملُ التميمةَ التى أهدتها إليه يومَ وداعِها، وكانت ألفاظُها لاتزالُ فى أذنيه كلما تذكرَها. ولكن ألا تزالُ بعد تلك السنين تذكرُه، وتحملُ له الوفاءَ؟ وكان أحياناً يبلغ من الشك أن يسألَ نفسَه أهو حقا يحبُّها كما خيلَ إليه؟ أم هى لجاجةُ الوهمِ تزعمُ له أنه كذلك، وما هى إلا الكبرياءُ والعنادُ والتطلعُ إلى الممنوعِ.

وكان يتمثلُ نفسَه كأنه لقيها وحدثها، فلا يدرى كيف يكونُ حديثُه بعد أن فارقها تلك السنين الطويلةَ؟

هل يستطيعُ إذا رآها أن يتذللَ لها كما كان يتذللُ ويسمى نفسه عبدَها؟ هل يستطيع أن يجدَ المتعةَ فى كلمةٍ يسمعُها، أو بسمةِ عطف تجودُ بها عليه فتضىء قلبه وتنقلُه إلى عالمٍ سحرىٍّ من السعادةِ.

ولم يخلُ قلبه من القلقِ كلما تأمل قومَه بعد أن غاب عنهم تلك السنين. فهل يعود إلى عمارةَ بن زياد ومالكِ بن قراد وعمرو بن مالك وكل هؤلاء؟ وهل يستطيع أن ينظرَ إليهم كما كان ينظرُ، وأن يغضبَ إذا غاضبوه، وأن يرضى إذا أقبلوا عليه؟ هل يستطيعُ أن يعودَ إلى معاشرتِهم وأن يفهمهم إذا حدثوه وأن يفهموه إذا تحدث إليهم؟

كان كلما اقترب من وطنه ثارت الشكوكُ فى نفسِه حتى كان يحسُّ أنه صار غريباً عن قومِه وأنه لن يستطيعَ الحياةَ بين ظهرانيهم.

وكان يخيلُ إليه أنه قد أخطأ إذ أطاع وهمَه الكاذبَ فعزم على العودةِ إلى عبس وفارقَ أصحابَه الذين كان يعيشُ بينهم سيِّدًا واعتاد أن يَسمُرَ فى أنديتهم ويعاملَهم

(١) فيافى اليمامة: صحاريها.



ويخاطبَهم ويحاربَ معهم وهو عنترةُ بطلُ العربِ. فهؤلاء الذين عرفوه في الحيرةِ والمدائنِ ولم يقولوا له يوماً يا ابن زبيبة، ولم يعيروه يومًا بسواد لونه ولا بهجنة[1] نسبه، بل كانوا يعدونه سيدًا كريمًا، لأنه كان سيدًا كريمًا؛ فقدموه وأعلوا مكانه، لأنه كان جديراً بالتقديم والتمجيد. فما الذي حمله على أن يضيق بالمقام فيهم لكي يعود إلى هؤلاء الذين نشأ فيهم عبدًا رقيقًا وقضى معهم الحياةَ في نضالٍ وكفاحٍ حتى خرج عنهم يضربُ في الأرضِ يطلبُ مهرَ عبلةَ من عرينِ الأسدِ؟ أليس هؤلاء هم الذين لم يرضوا به زوجًا لعبلةَ حتى يكلفوه بلوغَ المحالِ؟

حدثته نفسه مرارًا أنه أخطأ وأن الأولى به أن يعودَ أدراجَه إلى الحيرةِ حيث يقيمُ عزيزاً ويغالبُ هذا القلبَ الذي طالما أذله وعذبه. ولكنه مع ذلك كله سار في طريقِه يدفعُه دافعٌ غامضٌ كأن الأقدارَ هي التي كانت تسيِّرُه نحو غايةٍ لا يدركُها.

ولما صار في أرضِ الشربةِ بعد طولِ السيرِ رأى أن يعرِّجَ على الوادي الرملي الذي طالما شهدَ ملاعبَ صباه ومراتعَ فتوته. ذلكِ الوادي الذي رعى فيه إبلَ شدادٍ، وصارعَ فيه رفاقَه، وتعلم فيه الصيدَ والركوبَ. فإلى ذلك الوادي كان يفزعُ كلما ضاق بعنفِ أبيه أو كبرياءِ عمه أو ظلم حاسديه.

ولما بدت له ناصيةُ الوادي خطر له ذكرُ أخيه شيبوب الذي أحبه وصاحبه، وكان في كل مكان مثلَ ظله. كان تارةً جاسوسه وتارةً رسولَه، وكان حيناً خادمه وحيناً سميرَه، وكان آخر عهده به في رحلتِه إلى العراق إذ بقي معه حتى استحر[2] القتال بينه وبين جيشِ النعمان، ثم اختفى عنه إذا أحاط به الفرسانُ وجعلوا يطعنونه حتى صرعوه عن فرسهِ الأبجر. ولم يدرِ عنترةُ وهو يذكر أخاه شيبوبَ أكان لا يزال حيًا يرعى إبلَ سادتهِ أم قد مضى في سبيلهِ كما مضت عن الدنيا أجيالُ الناس من قبله وكما تمضي من بعده. وخفق قلبه عندما تذكرَ ذلك الأخَ الوفي، فقد عاش ما عاش معه عبداً مرحاً ينعم في رقّة، ولا يعبأ إلا بطعامِه وشرابه وصيده ولا يرى من الحياة إلا مهزلةً لا تستحقُ شيئاً سوى أن يسخرَ منها ويلهوَ فيها ثم يمضي عنها مرحًا إذا حان أجلُه.

---

(١) بهجنة نسبه: يعني ابن أمه.

(٢) استحر: اشتد.



ولما اقتربت القافلةُ من الوادى رأى عنترةُ على البعد شخصًا على ربوةٍ[1] فعادت إليه صورُ الماضى كأنه لم يفارق تلك الأرضَ إلا منذُ ليلةٍ. لقد كان كل شىءٍ على عهده لم يتغير منه شىءٌ، فالسماء لا تزال زرقاء صافية، والرمالُ لا تزال صفراء لامعة، وصعد بصرَه إلى الشخصِ الذى فوق الربوةِ وأحس قلبه يتحركُ إليه. فقد كان فيه شىءٌ يذكره بوقفةِ شيبوبَ. وهمز جوادَه مسرعًا نحوه وكان الشخصُ لا يزال ينظرُ نحوه متكئاً على رمحه، فلما صار من الربوةِ على مرمى قوسين تبين وجه أخيه شيبوبُ ينظرُ إليه، وإلى القافلة العظيمةِ التى أتت تنحدر إلى الوادى من ورائه. ولكن مظهره كان يدلُّ على أنه كانَ متعباً لا يدرى من يكونُ صاحب هذا الموكب العظيم. فلما صار عنترةُ على مسمع منه ناداه باسمه، فما كاد شيبوبُ يسمع صوتَه حتى وثب نازلاً فى قفزات واسعةٍ وهو مشمر عن ساقيه الطويلتين فاتحاً فمه الواسع فى بسمةٍ كشفت عن أسنانه النضيدةِ البيضاءِ. وترجل عنترةُ فوجد نفسه بين ذراعى أخيه وهو يقبلُ وجهه وكتفيه ويتشممه باكيا يصيحُ:

عنترةُ أخى عنترةُ؟

- فقال عنترةُ وهو يضمُّه فى حرارةٍ:

- أنت هذا يا شيبوبُ مرةً أخرى. إنك لأولُ من أرى وإنك لأولُ من أحببت أن أرى.

فقال شيبوبُ بصوتٍ مختنقٍ:

- وأنت هذا، أنت هذا حىٌّ ألمسُكَ بيدىَ، وأضمُك إلى صدرى، وأحسُ دفءَ أعضائِك.

ثم أرسله من ذراعيه ونظر إليه فى دهشةٍ وقال؟

- إنى لا أكادُ أصدقُ عينى.

وجعل يصعد فيه بصرَه ويصوبُه[2]، فقال عنترةُ وهو يأخذ بذراعِه:

- أترى فىَّ ما تنكرُ يا شيبوبُ؟ ألا تصدقُ أننى أخوك؟ فقال شيبوبُ فى مرحِه المعتاد:

- كيف أكذبُ نفسى وأزعم أنك عنترةُ؟

---

(١) ربوة: مرتفع من الأرض.

(٢) يصعد بصره ويصوبه: يرسل بصره إلى أعلاه تارة وإلى أسفله تارة أخرى.

لقد رأيتك والفرسان يحيطون بك، فقلت إنك هالكٌ لا محالةَ.

فقال عنترةُ وهو يسيرُ به بعيداً عن الطريق:

ـ لقد افتقدتك يا شيبوبُ واشتقت إلى حديثك. فمل بنا إلى هذه الربوة، فإنّ بي شوقاً إلى الجلوسِ معك على ربوةٍ مثلِها.

فقال شيبوبُ وهو ينظرُ نحو القافلةِ العظيمةِ التي كانت تقبلُ مبطئةً:

ـ أهذه القافلة لك؟

فأجاب عنترة:

ـ أتعجبُك يا شيبوبُ؟ ومع ذلك فإن بي شوقاً إلى أن أضطجعَ على هذه الرمال، وأستقبلَ نسيمَ الصَّبا في الأصيلِ.

وصعد في الربوة فاستلقى على سنامها ثم قال:

ـ أكمل قصتَك يا شيبوبُ. ماذا فعلت بعد أن رأيت الفرسان يحيطون بي؟ لقد كنتُ أحسبُك أنك ذهبت في رماحِ القوم.

فقال شيبوبُ وهو يمسحُ دمعةً في عينه:

ـ رأيتُ الرماح تتهاوى إليك وأنت تسقطُ صريعاً فتمزقَ قلبي. نعم تمزق قلبي، فقد علمت أنني سوف أقضي سائر الحياة وحيدًا لا أجدُ عنترة إلى جانبي. فأطلقت ساقيّ للريح أطلبُ النجاةَ.

فضحك عنترة وقال:

ـ إنك لتحبُّ الحياةَ يا شيبوبُ.

فأجاب شيبوبُ باسمًا: هيَ أحب إليَّ من طعنات الرماحِ يا عنترةُ. لقد كانت الأسنة تلمعُ في نورِ الشمس قاسيةً مخيفةً. وماذا كنتُ أغني عنك لو قُتِلتُ إلى جانبِك؟ أطلقت ساقيّ للريحِ وعدتُ إلى قومي.

فأجاب عنترةُ: أهم قومُك يا شيبوبُ؟

وسكت حينًا وأخذ يعبثُ بكفه في الرمالِ الناعمةِ ثم استأنفَ فقال:

ـ لقد كنتَ خيرًا مني إنك لم تحقد على عبس كما حقدتُ أنا عليهم. كنت تقولُ إنك تكذبُ عليهم وتسخر منهم، ولكنك عدتَ إليهم لأنهم قومك.

فقال شيبوب: عدت إلى قومي؛ لأنعاك إليهم، فما كل يوم يقتلُ منهم مثلُ عنترةَ.

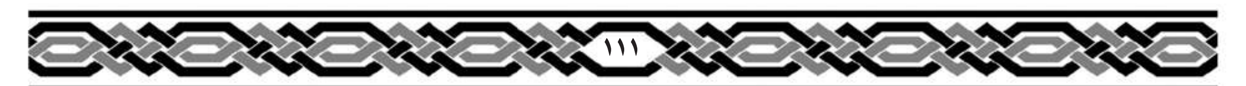
فقال عنترة:

ـ ونعيتني إليهم؟

ـ فأجاب شيبوب؟

ـ قضينا شهرًا نبكي. لكم بكت زبيبةُ ولا تزالُ تبكي ولا تُصدقُ أبداً أنك هلكت، فهي إلى اليوم تزعمُ أنك عائدٌ إليها.

فقال عنترةُ في رقة: مسكينة زبيبةُ ما أحبَّ إليَّ أن ألقاها وأمسك لحظةً وهو مطرقٌ ثم قال كأنه يحدِّث نفسه:



ـ لم يبكنى فى عبس إلا زبيبة؟

فقال شيبوب باسماً:

ـ لقد بكوك جميعاً. أعرف أنك تقصد عبلةَ يا عنترة. لقد بكتك كما بكيناك. بل لقد كانت زبيبة تذهب إليها لتسكنَ روعها زاعمةً لها أنك عائد إليها.

فأسفر[1] وجه عنترة وقال:

ـ أحقاً ما تقولُ يا شيبوبُ؟ وكيف هى اليوم؟ حدثنى يا شيبوبُ عنها.

فقال شيبوبُ فى خبث:

ـ وماذا أحدثُك عنها؟ إننى لا أكادُ أراها. لقد عادت مع أبيها إلى أرض الشربة بعد خروجك إلى العراق ولكنى كنت لا أراها. وماذا يعنينى منها إلا أنك كنت تتعلقُ بها وأنت حى؟

فقال عنترة ضاحكًا:

ـ أراكِ لم تُصَدقْ بعدُ أننى لا أزالُ حيا.

فقال شيبوب: ما كنت أحسبُ أن أراك أبداً. فكنت إذا مررت على منازل مالك أحسستُ دافعاً يبعدنى عنها، فأسرع كأننى أهربُ من رؤيتها.

فقال عنترةُ: وهى؟ حدثنى عنها هى. ألم تسمع زبيبةَ تتحدثُ عنها؟

فأجاب شيبوب: هى امرأة. ليست عبلة سوى امرأةٍ.

لقد بكت ثم جففت دمعها ثم نسيت.

فتحرك عنترة فى قلق وقال:

ـ امض فى قولك وحدثنى عنها. أما سمعت صوتَها؟ أما رأيتَها يوماً؟ انقل إلىّ أحاديثَ زبيبةَ عنها.

فأجاب شيبوب:

ـ إنك لا تزالُ تتعلق بها. لقد حسبت أن هذه السنين قد أنستك ذكرَها. فما هى إلا امرأةٌ من النساءِ. كنتُ بالأمس أمر على خبائها فسمعت غناءَ صاحباتها.

فقال عنترةُ فى لهفة:

ـ أكانت تغنى؟ أهو شىءٌ جديدٌ؟

ـ فأجاب شيبوبُ:

ـ نعم هو عمارةُ بن زياد فما كاد يسمعُ نبأ موتِك حتى ذهب إلى أبيها وساق إليه المهر ثانياً. وهل كان مالك ليأبى عمارة وهو يسوق إليه ألفَ ناقةٍ مرةً أخرى. إنه لم يسأل هذه المرة إذا كانت النوق من العصافيرِ أم هى من النسور.

فسكت عنترة حينا ثم قال فى فتورٍ:

---

(١) أسفر وجه عنترة: أشرق.



- وهى؟ أتقولُ إنها تغنى؟

فقال شيبوبُ:

لم أقل إنها تغنى. إننى سمعت الغناء من خبائها.

ثم نظر إلى القافلة العظيمة وقال:

- ولكن خبرنى كيف بلغت هذا؟

فقال عنترةُ فى حزن:

اسأل الأيامَ كيف تعبثُ بنا؟ إنها تعبسُ أحيانًا وتُدبِر وتضمنُ فلا تكادُ تدعُ للمرء أملاً. ثم تضحك أحيانًا وتسخو وتقبلُ فلا تدرى أكانت جادة فى إقبالها أم فى إدبارها. لقد رأيتنى والفرسانُ يطعنوننى وقد سقطت بينهم صريعًا. وهأنت هذا ترانى أعود إليك وهذه القافلة العظيمة تسير ورائى.

وأطرق حينًا، ثم قال كأنه يحدث نفسه:

- باطلٌ وغرورٌ وسخريةٌ مِن الحمقى.

فقال شيبوب متعجبًا:

- لشد ما تغيرت يا أخى!

فأجاب عنترةُ: لقد تقلب بى الدهرُ وهزنى. كم حروب شهدتها وكم بلادٍ رأيتها. قضيت هذه السنين لاهياً عن نفسى لا أكاد أحيا لها . وذُقت ما ذُقت من نعيمٍ ولهو ولكنى لم أحس يوماً أننى سعيد. قل لى يا شيبوب كم غَزَوتُم وكم غُزِيتُم؟ وماذا غنِمتُم وماذا غَنِمِ الأعداء منكم؟ وحدثنى أما ذكرتم يومًا عنترةَ؟

فقال شيبوب فى حرارةٍ:

- مازلتُ أذكرك فى صباحى ومسائى. وكم ندمت على أننى لم أَبق معك حتى نقتلَ جميعاً. كانت الحياة عندى كئيبة موحشةً يا عنترةُ. ولكنك هكذا تعود مرة أخرى. أأنت عنترة حقا؟ وحق مناةَ لستَ عنترةَ الذى عرفت.

فأطرق عنترةُ غائبًا فى فكرِه واستمر شيبوبُ:

- لشد ما تغيرت حتى كأنك لستَ أخى.

فلم يملك عنترةُ أن ضحكَ وقالَ:

- كفى حديثًا عنك وعنى. لقد سألتك أن تحدثنى عن عبلةَ.

فقال شيبوب:

ـ وماذا أقولُ لك عنها. سوف يكونُ زفافُها بعد ثلاثٍ. سيكونُ زفافها يومَ عروبة[1].؟

فصاح عنترةُ:

أتقولُ إنها رَضيتْ:

فقال شيبوب: لم أقل رَضيت، وماذا يَعنيني إذا كانت رضيت أو أبت. لقد رَضي أبوها ولسوف أحرق قلبَها وقلبَ مالك بن قراد وعمرو بن مالك، بل سوف أحرقُ قلب عمارةَ ابن زياد عندما أزوجُك من هند بنت زهير. أما قلت لك إن أباها زهيرًا قد قُتل؟ لقد صار ابنه قيس سيد عبس.

فقال عنترةُ: أقتلَ زهيرٌ؟ أما إنه قد كان سيدًا كريمًا.

وسكت لحظةً ثم قال في هدوء: هند، قيس، زهيرٌ، هذه كلها أسماء أسمعُ لفظَها.

ولكن عبلة قد تزوجت. أما تقول إن زفافَها يوم عروبة؟

فقال شيبوبُ: نعم يوم عروبة.

وجعل يعد الأيامَ على أصابعه وقال:

ـ بعد ثلاثةِ أيام!

فأطرق عنترةُ ومضى شيبوبُ في حديثه يذكرُ حوادثَ تلك السنين في سياقٍ مضطربٍ متدفقٍ. وكان عنترةُ يغمغمُ في إطراقهِ بنغمٍ حزينٍ ثم رفعَ رأسَه بعد حين وقال:

ـ إذًا سوف أعودُ إلى عبس فأمر بعرسِها آخر الأمرِ، كأنني مكدودٌ[1] سار يطلبُ الحجَّ إلى الكعبة فمر في طريقه بقصرِ بخيل يحيي وليمةً. فجعل ينظرُ إلى الأضواءِ المنبعثةِ من القصرِ، ويسمعُ أصواتَ الغناءِ والمرحِ والقصفِ، وهو يسيرُ ضعيفًا محرومًا خافتَ الأنفاسِ.

إنك قد ملأتَ قلبي حزنًا يا شيبوبُ، وأحس كأن هذا الفضاءَ يضيقُ بي أقلت آنفًا إن عبلةَ كانت تغني؟

فقال شيبوبُ في رفق: لم أقل إنها كانت تغني. لقد سمعتُ الغناء من خبائها. ولكنها امرأةٌ وأحب أن أراها تأكل قلبها غيظاً من الحزن، إذا رأتك وأنت تعودُ إلى عبس بهذه القافلةِ كلها.

فقال عنترة: أمسك ويلك يا شيبوبُ، فإن الجرحَ لا يزالُ داميًا. كنت حسبت أنه قد اندمل[2] وكنت أسألُ نفسي كيف أكون إذا عدتُ إلى أرضي ورأيتها. وها أنت هذا تعيدُني إلى نفسي القديمة فجأةً، كأن تلك السنواتِ قد طُويت كلُّها في يوم فأنا اليومَ كما كنتُ من سنين لم يتغير في قلبي شيءٌ.

---

(١) يوم عروبة: يوم الجمعة. (١) مكدود: مرهق. (٢) اندمل: برئ.



فقال شيبوبُ: وأما أنا فإن قلبى ممتلئ حقداً كما كان ممتلئاً حقداً. فهل تريد أن تعود إلى هؤلاء، تتذللُ لهم وتطلبُ منهم بناتهم فيقولون لك إنك ابنُ زبيبة؟

فقال عنترةُ: لست أدرى كيف ألقاهم وكيف يلقوننى. إننى نسيتهم حينا، وخيل إلى أننى لن أحسَّ لهم خلجةً فى طياتِ نفسى.

ولكنى لست أدرى..

وأمسكَ عن الكلامِ حينا وتبللت عيناه بالدمع ثم قال:

ـ لن أرضى أن تكون عبلةُ امرأتى إذا هى رضيت بغيرى.

فصاح شيبوبُ: أو ترضى بها أنت إن رضيت بك؟

فقال عنترةُ فى رقةٍ: أتقولُ إنك لم ترها؟ ألم تقع عينُك عليها يوما تطلع كالشمس، وتزهر كالقمر ويفوح نسيمُها كالزهر؟

أما سمعتها تتحدثُ؟ أما سمعت زبيبةَ تتحدثُ عنها؟ ولكننى لن أرضى بها إلا إذا كانت هى ترضى بى.

فضحك شيبوبُ قائلاً:

ـ هذا خطبُ يسيرٌ يا عنترةُ. اطلع عليها بهذه الإبلِ ولسوف تفوزُ برضاها.

فأمسك عنترةُ بذراع أخيه وقال له جادًّا:

ـ قلت لكَ إنك تثيرُ نفسى، وتملأ صدرى غضبًا. اسمع أيها.. اسمع يا شيبوبُ ولا تتردد فى حرفٍ مما أقولُ. اسمع وأطعنى فيما أقولُ حرفاً حرفاً.

فنظر إليه شيبوب خاضعًا وقال:

ـ ستجدنى مطيعاً.

فقال عنترةُ:

ـ لست أحبُّ أن أعودَ إلى عبس إلا كما خرجتُ منها، لسوف أعودُ إليها ألتمس قوتى بقوسى وسهمى وسيفى. لن أحرصَ على جاهٍ ولا على نسبٍ فإنى رأيت من الحياة ما زهدنى فى كل جاه ونسب. لقد كنت أغضب لأشياء أراها اليومَ لا تغضبنى. كنت أغضب إذا لم أجد لى بين الناس مكانًا. ولكنى اليوم لا أبالى أين أكونُ بين الناس. لا أبالى بشىء من كل ذلك يا شيبوبُ فاسمع وأطع كما قلتُ لك.

ثم التفت إلى القافلةِ العظيمةِ، وكانت تسيرُ فى طريقها نحو أرض الشربة وقال:

ـ أترى هذه القافلة التى تملأُ البطاحَ؟ اذهب وراءها إلى منازل عبس حتى إذا ما جئتها فناد المساكين الذين كانوا يسيرون ورائى ويحاربون معى. وادع الصعاليكَ الذين كانوا يلوذون بى، ففرق هذه الأحمال فيهم حتى لا تبقى منها شيئا. كل عبيدى هؤلاء أحرارٌ. ولهم من القافلة ما شاءوا. ثم امض بهذه الإبل التى تراها بين سوداء وبيضاء ففرقها بين الضعفاء حتى لا تبقى منهم واحداً فقيرا. فإذا بقيت منها بعد ذلك بقيةٌ فانحرها وألق بها فى القفر، لتكون وليمةً لوحشِ السباع، وهذه النوقُ العصافير التى أتيتُ بها لتكونَ مهرَ عبلةَ، اذهبِ بها إلى مالكِ بن قراد، وقل له هى هديةٌ لعبلةَ لينحرَها يوم زفافها، ويطعم منها قومَ عمارةَ بنِ زياد ومن يجىء من أحياءِ العرب ليشهدوا عرسه ثم احمل هذه الأحمال التى تراها فى آخر القافلة على الإبل السوداء. فقد أودعت فيها تحفاً من طرائفِ العراق وفارسٍ وأذربيجان؛ لتكون هدية لعبلة يوم جلوتها[1]. فخذ هذه واذهب بها إليها هى وأبلغها أننى كنتُ وعدتها يوماً فى غضبى أن أهدى إليها هديةً يومَ زفافها. قل لها هذه هديتى بدل تلك التى وعدتها. قم منذُ الساعةِ ولا تنطق بحرف وسأنتظر هنا حتى تنفذ أمرى وتعود إلى بعد ثلاث.

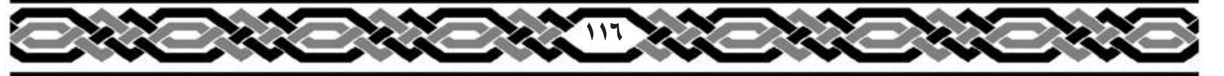
وأراد شيبوبُ أن يتكلمَ فأشار إليه عنترةُ يأمره بالسكوت قائلا:

ـ أما وعدت أنك تطيعنى. اذهب وافعل ما أمرتك ولا تنطق بحرفٍ يا شيبوبُ.

ثم وثب على فرسِه، وأغمد فى جنبه الركابَ فانطلق به فى الوادى. ووقف شيبوبُ حينا ينظر إليه، ثم هز رأسَه وسار يقودُ القافلةَ نحو ديارِ عبس.

* * *

(١) جلوتها: عرسها وزفافها.





(١٦) خاتمـة سعيـدة

أمضى عنترةُ الأيامَ الثلاثةَ يضربُ فى فجاجِ[1] الصحراءِ يصيد طعامَه كما كان يفعل من قبلُ، وكان فى أثناء ذلك موزعاً بين موجاتٍ عنيفةٍ من أشجانٍ متصادمةٍ فكان حينا يثورُ به الحزنُ والجوى حتى يرى الفضاء يضيق به، وحينا تدفعه موجة أخرى من الغضبِ حتى يهبَّ فينطلقَ بجوادِه فى البراحِ سواء أكان فى ليل أم نهار. وكانت تعتريه بين هذه وتلك حالاتُ هدوءٍ ساهمٍ واجمٍ، فيحسُّ كأن قلبَه قد جمدَ وسلا، فلم يبق فيه ما يحمله عن حزنٍ ولا على غضبٍ. وكان فى أثناء ذلك كله ينتقلُ من مكانٍ إلى مكانٍ حيث كان ينتقل من قبل إذ كان يرعى إبل شدادٍ، وهو بين حين وآخر يغنى بشعر يتدفق به مستعيدًا ذكرياته. كان يعرِّجُ على الصخور الملساء التى طالما توغلَ فيها[2] بعدَ زوال المطرِ وشربَ من مائها الباردِ الصافى، ويعرّجُ على بطونِ الأوديةِ التى تشقق طينها الأصفرُ بعد أن جف وكان يميلُ بين حين وآخر على زهرةٍ من العَرار بين الشوكِ أو عودٍ من الخُزامى[3] بين الصبير أو أقحوانةٍ بين الحنظلِ فيتأمل شكلَها ويشمُّ رائحتها كأنه يسألها: كيف يثوى[4] الزَّهرُ بين الشوك؟ والمراد كيف تعيشُ عبلةُ فى عبس؟ وكانت تلك الجولاتُ تعيدُ إليه اطمئنانَه بعد أن يملأَ صدره من الهواءِ كما كان يملؤه إذ كان فتى خالياً.

وكان كلما تذكر أنه قد تخلصَ من الأموالِ العظيمة التى حملها معه من المدائنِ والحيرةِ أحس ارتياحاً كأنه قد تخلص من ثقل كان يجثم فوق صدره، ودب إليه شعورٌ عجيبٌ بأنه قد استعاد روحَه الذى كان قد فارقه منذ دخل أرضَ العراق.

وعند ذلك كانت تلك السنواتُ التى قضاها بعيداً عن أرضه تلوحُ له كأنها سنواتُ سجنٍ ضيق شاهت[5] فيها نفسهُ حتى كاد ينكرُها، وتغيرَ فيها قلبُه حتى كاد لا يعرفُ نبضَه، وخيل إليه أنه قد فارق ذلك السجنَ إلى حيث يستطيعُ أن يعرفَ النورَ وحيث يرى النجومَ الساطعةَ والبدرَ المتألقَ والشمسَ التى تبسمُ حيناً وتَحرِقَ حيناً والهواءَ الذى يعصفُ مرةً ويهبُّ فى وداعةٍ مرةً أخرى.

---

(١) الفج: الطريق الواسع بين جبلين. (٢) توغل فيها: صعد فيها.
(٣) الخزامى: نبات طيب الرائحة. (٤) يثوى: يقيم ويسكن. (٥) شاهت فيها نفسه: قبحت.

ولم يخل قلبُه في كل تلك الجولاتِ من ذكر عبلة، ولكنه كان كلما ذكرها عجبَ أشدَّ العجبِ من هدوئه كأنه كان واثقاً من أنها لا تزال تنتظره. فإذا تذكر عمارةَ بن زياد لم يغْضَبْ ولم يحقد، بل كاد قلبهُ يعطفُ عليه كأنما يواسيه عن انصراف عبلة عنه. وكان يناجي صورتها، ويتمثلُها تقبلُ عليه باكيةً معتذرةً تعيدُ عليه كلمتَها يومَ ودعته في شيبان «سوف أنتظرك وإن طالت غيبتك».

ومضى اليومَ الثالثُ وانقضى يومُ عروبة وعاد إلى الربوةِ التي لقي عليها شيبوبَ يومَ عاد إلى أرض الشربة في قافلته العظيمةِ.

وهبط عليه الظلامُ فجأةً بعد غروبِ الشمسِ فدخل إلى صدره شيءٌ من الوحشةِ وسأل نفسه: ليت شعري ما الذي عاق شيبوبَ فلم يعدْ إليّ؟ أتكونُ عبلةُ قد زُفّت حقاً إلى عمارةَ؟

ثم طلع القمرُ فأضاء الفضاءَ وأخذ عنترةُ فضلةً من لحمِ غزالٍ بقيت عنده، وقضى الليلةَ متغنياً بشعرِه حتى طلع الفجرُ فأغفى إغفاءة أفاق منها على صوتٍ يناديه والشمس ترسلُ شعاعها عليه من وراء التلال، ثم رأى زبيبة، فقام مسرعاً يثب فوق الرمال حتى أحس بنفسه بين ذراعي أمه. وأرسلت زبيبة ابنها ممن بين ذراعيها وجعلت تنظر إليه في دهشة وإعجاب، ثم زغردت وألقت نفسَها عليه مرةً أخرى وهو يمسحُ على رأسِها بعطفٍ، وتبللت عيناها دمعاً وقالت بصوتٍ مختنقٍ:

ـ لقد كنتُ أحسُّ منذ فارقتني أنك عائد إليَّ يوماً. لم أصدق ما قال شيبوبُ ولا ما قال الناس عنك.

ولم يجد عنترةُ في دفعةِ اللقاء ما جعله يفرغ إلى تأمل ملابسِ أمه وأخيه، فقد كانا يلبسان تلافيقَ عجيبة من الثيابِ اختارها كل منهما طوعَ هواه من أحمالِ القافلة.

فكانت زبيبة في حلةٍ حمراءَ، وفي قدميها خفٌّ من الفرو الأسود وتمنطقت[1] بمنطقةٍ فضيةٍ نزعتها من حمائِل سيف، وتقلدت ببعض قلائدَ من العقيقِ والمرجان، وجعلت على يديها أساورَ من الفضة والذهب والكهرمان.

وكان شيبوبُ يلبسُ عمامةً ذاتَ ريشةٍ عالية، ولآلئ تبرق من تحتها، وتلفع بثوب محلى بالقصبِ وجعل في وسطه سيفاً محلى بالذهب والفضةِ، ولم يبخل على رمحه بحلية من عقود المرجان وشرائطِ الحرير.

وتبسم عنترةُ عندما تنبه إلى مليسهما، ولكنه لم يجد متسعا للحديثِ، فقد رأى ركبا عظيماً يقبل عليه وراء ثنية الوادي. فنظر إلى القادمين وتهلل وجهُه فرحاً وهمس إلى شيبوب:

ـ أكان الزفافُ يومَ عروبة؟

فغمزَ شيبوبُ بعينه مرحًا وقال في خبث:

---

(١) تمنطقت: شدت وسطها.



- سوف أحدثك طويلاً.

وجاء القومُ جمعا بعد جمع يحيون عنترةَ وكان الفتيانُ فوقَ الخيولِ يملئون البطحاء الممتدة بين الكثبان، يهتفون باسم عنترةَ ويلوحون بالسيوف والرماح. وجاء في صدر الجموع قيس بن زهير سيدُ عبس في آل جذيمةَ وآل شداد، وجاء من بعدهم سادة عبس وفيهم عمارةُ بن زياد. وكان عنترةُ يلقاهم باسماء، ويحييهم وهو متحركُ الشجون. وكانوا ينظرون إليه في عجب: أذاك هو عنترةُ؟ وكان النساءُ والفتياتُ يقبلن عليه ضاحكات يرحبن به ويرفعن أيديهن إلى نحورهن بلمس العقودِ المتلألئةِ التي بعث بها إليهن، ويلوحن بمعاصمهن ليظهرن الأساورَ التي أخذنها من هداياه.

ثم جاءت أختُه مروةُ وإلى جانبها عبلة تمشي على استحياء فرآهما وما يرى فيهما سوى عبلة تنظر نحوه في خفرٍ[1] وتكاد تتعثر في مشيتها. وكان يبدو على وجهها ما يشبه أن يكونَ ابتسامة ولكنها كانت بسمةً مترددةً فيها شيءٌ من الارتباكِ وشيءٌ من الخشيةِ.

وحيا عنترة أختَه باسما عاطفا. ولكنه كان مشغولاً فيما يقوله إذ سلمت عليه عبلةُ. ومرت عليه لحظةٌ قصيرةٌ طويلةٌ ثم سمع أخته تضحكُ وتقولُ له في عبثها كعادتِها:

- لقد حسبتُ أنك سوف تخطفُ عبلةَ منذ تقعُ عينُك عليها.

فنظر إلى عبلةَ وابتسمَ لها، وما كاد يأخذُ يدها حتى وجد أنه يقاومُ دافعاً قوياً لا يقوى عليه.

وسمعها تقول في همس:

- مرحبًا بك عنترة.

فهم أن يرفعَ يدها إلى شفتيه فأحست بحركته فقبضت يدَها في رفق، وحاولت أن تجدَ لفظاً تتوارى[2] به عن أعين الذين أحست نظراتهم جميعا تقع عليها. ولكنها لم تجد لفظاً، فأطرقت وغمغمت ببعضِ ألفاظٍ مضطربةٍ، وخيلَ إليها أن تلك اللحظة القصيرة قد امتدت دهراً، فلوت رأسَها تريد أن تفسح لغيرها ممن ازدحمن حولها لتحية عنترة.

فقال عنترة كأنه ينطق بغير وعيِه:

سيدتي؟

وما كاد يتمُّ كلمتَه حتى صاحت أختُه مروة ضاحكةً في خبثها:

- أما سمعتم قوله: عنترةُ عبد عبلة؟

فانفجرت ضحكةٌ من الحاضرين ونظرت إليه عبلةُ عاتبةً واحمر وجهُها. ولكن سحابةَ الوجومِ انقشعت عند ذلك، وانطلق عنترةُ يقولُ لأخته في مرحٍ وهو لا يزال ممسكا بيد عبلة:

- إنك أيتها الأختُ الحبيبةُ تذكرينني بأيامي السعيدة. أيامَ كان عبثُك يغيظني.

فقالت ضاحكةً:

---

(1) خفر: حياء. (2) تتوارى: تختفي.

- أما يغيظُك اليومَ؟

واتجهت إلى عبلة فى خفةٍ قائلة:

- ولكنه مازال يغيظها. انظر إليها كيف ينطق وجهُها بكراهتى.

ثم اتجهت إلى عنترةَ قائلةً:

- ما هذا اللقاءُ الفاترُ يا عنترةُ؟

ثم عادت إلى عبلة فقالت لها:

- ها هو ذا دونك فتعلقى برقبته. أما كنت تقولين لى متى أراه.

فعاد الضحكُ إلى الجميعِ.

وغربت شمسُ ذلك اليوم مرةً أخرى كما غربت سائرُ الأيام. وكانت النيران توقد فى شِعب الجواء. وأصداءُ الغناءِ تتردد بين الخيامِ من كل جانبٍ بشعرِ عنترة. واجتمع فتيان عبس على الخيل فى الفضاء الفسيح حول الحِلة، يتطاردون ويتراقصون فوق الجياد، بعضهم واقف على ظهرِها وبعضهم يتقلبُ فوقها ويدور من تحت بطولنها، وخرج فيهم عنترة وكانت عبلة على جوادِها إلى جانبه حتى إذا صار فى وسطِ الحِلة تقدمَ عنترةُ شاهراً سيفَه فى ضوء النيران الموقدةِ، وركض جواده فى وسط الحِلة منشداً:

أرضُ الشربَّةِ تربُها كالعنبرِ
ونسيمُها يسرى بمسكٍ أذفرِ[1]

يا عبلَ كم من غمرةٍ باشرتُها
بمثقفٍ[2] صلبِ القوائمِ أسمرِ

فأتيتُها والشمسُ فى كبدِ السما
والقومُ بين مقدمٍ ومؤخرِ

وكانت الأصداءُ تترددُ فى الفضاء من إنشاد الفتيان فى نواحى الميدان:

أنا فى الحربِ العوان
غيرُ مجهولِ المكان
أينما نادى المنادى

(١) أذفر: طيب الرائحة.
(٢) بمثقف: رمح معتدل.



فــــى دجـــى الــنـــقـــع يــرانـــى
خُـــلِــــقَ الـــرمــــحُ لــكـــفـــى
والــحـســـامُ الـــهـــنـــدوانـــى
وهـــمـــا فـــى الــمـــهـــدِ كـــانـــا
فـــوق رأســـى يـــؤنـســـانـــى

ولما انتهى الحفلُ الصاخبُ فى مطلع الفجرِ ركبَ عنترةُ وزوجُه إلى السرادق العظيم الذى أقامه شيبوب لهما فى أقصى الحِلة، ذلك السرادقُ الذى أهداه إليه كسرى ومازالت قبائل العرب تتحدث عنه، كأنه المدينة إذا أقيمت قوائمه. كانت جوانبه محلاةً بنقوشِ الذهب، ودعائمُه ملبسةً بصفائحِ الفضةِ، فإذا أضاءت فيه المصابيحُ فى الليل تلألأت أنوارُها فوق فصوصِ الجواهرِ المنثورةِ على جوانبِه.

وسار شيبوبُ وراءهما يشيعهما حتى دخلا فى السرادق فقال ينادى عنترة:

ـ أما كنت تريدُ أن أحدثك طويلاً؟

فنظر عنترةُ إليه باسماً ثم التفت إلى عبلةَ وأمسكَ بكتفيها ناظراً إلى عينيها وقال:

ـ لا بأسَ عليك يا شيبوب فإنى أحب سماعَ الحديثِ منها.

* * * *

أسئلة الفصل الخامس عشر والسادس عشر خاتمة سعيدة

١ ـ «حدثته نفسه مراراً أنه أخطأ، وأن الأولى به أن يعود أدراجه إلى الحيرة حيث يقيم عزيزاً، ويغالب هذا القلب الذى طالما أذله، وعذبه، ولكنه مع ذلك كله سار فى طريقه يدفعه دافع غامض، كأن الأقدار هى التى كانت تسيره نحو غاية لا يدركها».

(أ) (أخطأ ـ يغالب ـ عزيزاً)

هات مضاد الكلمة الأولى، ومرادف الثانية ، وجمع الثالثة فى جمل من إنشائك.

(ب) ما الدافع الغامض الذى يجعله يعود إلى موطنه؟

(جـ) وازن عنترة بين حاله فى الحيرة وحاله فى الشرية، فما نتيجة هذه الموازنة؟

(د) لعنترة ذكريات فى الوادى الرملى بأرض الشرية، فما هى؟

٢ ـ ما الذى كشف عنه حوار عنترة مع شيبوب؟

٣ ـ قال عنترة: «لقد تغلب بى الدهر وهزنى، كم حروب شهدتها، وكم بلاد رأيتها. قضيت هذه السنين لاهيًا عن نفسى، فكنت لا أحس إلا أننى تاجر دماء أقتل وأقتل وأقتل، ولا أكاد أحيا لنفسى، وذقت ما ذقت من نعيم ولهو ولكنى لم أحس يوما أننى سعيد».

(أ) ماذا أفادت«لقد ـ كم؟» ولماذا كرر الفعل أقتل؟

(ب) لماذا حُرِم السعادة؟

(جـ) اكتب الصواب من العبارات التالية:

ـ كان شيبوب يذكر عنترة صباح مساء.

ـ إن عنترة لم يتغير.

ـ إن عبلة تزوجت منذ ثلاثة أيام.

(د) ما موقف عبلة من زواجها؟

٤ ـ ما رأيك فى ختام القصة؟

* * * *



تذييل وتعقيب

بقراءتك القصة وتحليلها لعلك لمحت ولحظت:

١ ـ أن القصة تاريخية اجتماعية.

٢ ـ أن البطل شاعر فارس، اعتنق المبدأ السامى: حب الحرية وبذل الغالى والرخيص فى سبيل الحصول عليها.

٣ ـ كان عفيفا فى لفظه وقوله، صادقًا فى مشاعره، قويًا فى حياته، معبرًا عما يحس ويشعر ويرى فى شعره.

٤ ـ أن القصة وضعت أيدينا على بعض مثالب هذا العصر الجاهلى، والتى كانت ظروف الحياة تضطر من عاش فى هذا العصر إليها: مثل: الإغارة على الأعداء، تبادل الحروب لأتفه الأسباب، وسلب الأموال، إهانة الضعفاء والعبيد، الاهتمام بالطبقية، أسر النساء والأولاد، تمجيد القوة ولو كانت ظالمة.

٥ ـ كما بينت القصة بعض الإيجابيات: مثل البطولة، والدفاع عن القبيلة أى الوطنية والقومية والانتماء، والوفاء، والشجاعة، تمجيد البطولة والاهتمام بالأبطال، الهروب من المكان أو الفعل الذى يؤدى إلى خفض الجباه وتنكيس الرأس، حب الحرية والدفاع عنها، وتعليم النشء الفروسية والدفاع عن النفس والأهل والوطن.

٦ ـ ومن العادات: الغناء للإبل حتى تسير القافلة فى نشاط، الطرب لسماع الحداة والمغنين، ركوب النساء الهوادج للصيانة والراحة.

الأنفة من أن ينسب إلى الآباء أحد الأبناء من الإماء.

تعيير العبد باسم أمه ونسبه إليها.

قيام العبيد بأعمال لا يقوم بها السادة.

الاحتفال بالمناسبات السعيدة والأعياد، واجتماع رجال القبيلة وسادتها شيوخًا وشبابًا فى تلك المناسبات.

وجود رئيس قوى حكيم للقبيلة ينفذ حكمه ويطاع.

المطاردة بين الشباب تدريبًا وإظهارًا للبراعة وإتقان فنون الحرب والقتال.

تنشئة الأطفال الذكور على ما يجعلهم رجالاً فرسانًا فى مستقبل حياتهم.

الاهتمام بالجوار أى حماية من يطلب حمايتهم أو يلجأ إليهم.

تقدير الأشهر الحرم ومنها رجب، حيث لا ينشب قتال فيها بين القبائل وإن تجاوز هذا الحد بعض القبائل للحصول على ثأر المقتولين منهم. ارتجاز الشعر قبل الحرب وعند الاصطفاف للقتال ووقت القتال.

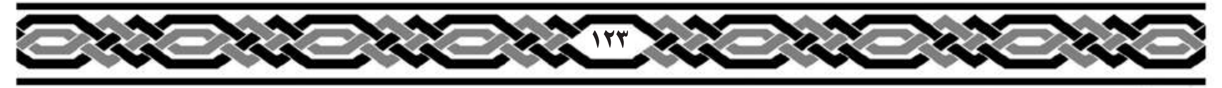
٧ ـ رأى مختصر: وفق الكاتب فى قصته، تعبيرًا، وتصويرًا، وتفكيرًا، وتشويقًا.

استخدم الكاتب بعض الألفاظ التى كانت مستخدمة وقت حدوث القصة، ولهذا احتاجت إلى استخدام المعجم، ولعله أراد الربط بين الماضى والحاضر، كما أراد إحياءها فى التعبير؛ لتبقى اللغة غنية بمفرداتها.

سجل المؤلف بعض أشعار عنترة فى قصيدة، وكانت قليلة ومفيدة.

والقصة مفيدة جدًا، وذات أثر فى تنمية النشء وتربيته إذا أحسن الإشراف والتوجيه.

تم بحمد الله



فهـــرس

المواصفات الفنيـة

مقاس الكتـاب	عدد الصفحات بالغلاف	طبـع المتـن	طبع الغلاف	ورق المتـن	ورق الغـلاف	رقـم الكتـاب
١/٨ (٥٧ × ٨٢) سم	١٢٨ صفحة	١ لون	٤ لون	٧٠ جم	١٨٠ جم	٢٠٧/٢٠/٣/٣٣/١/١٠١

http://elearing.moe.gov.eg